

يوسف القرضاوي

# الحلال والحرام في الإسلام

الطبعة الثانية

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

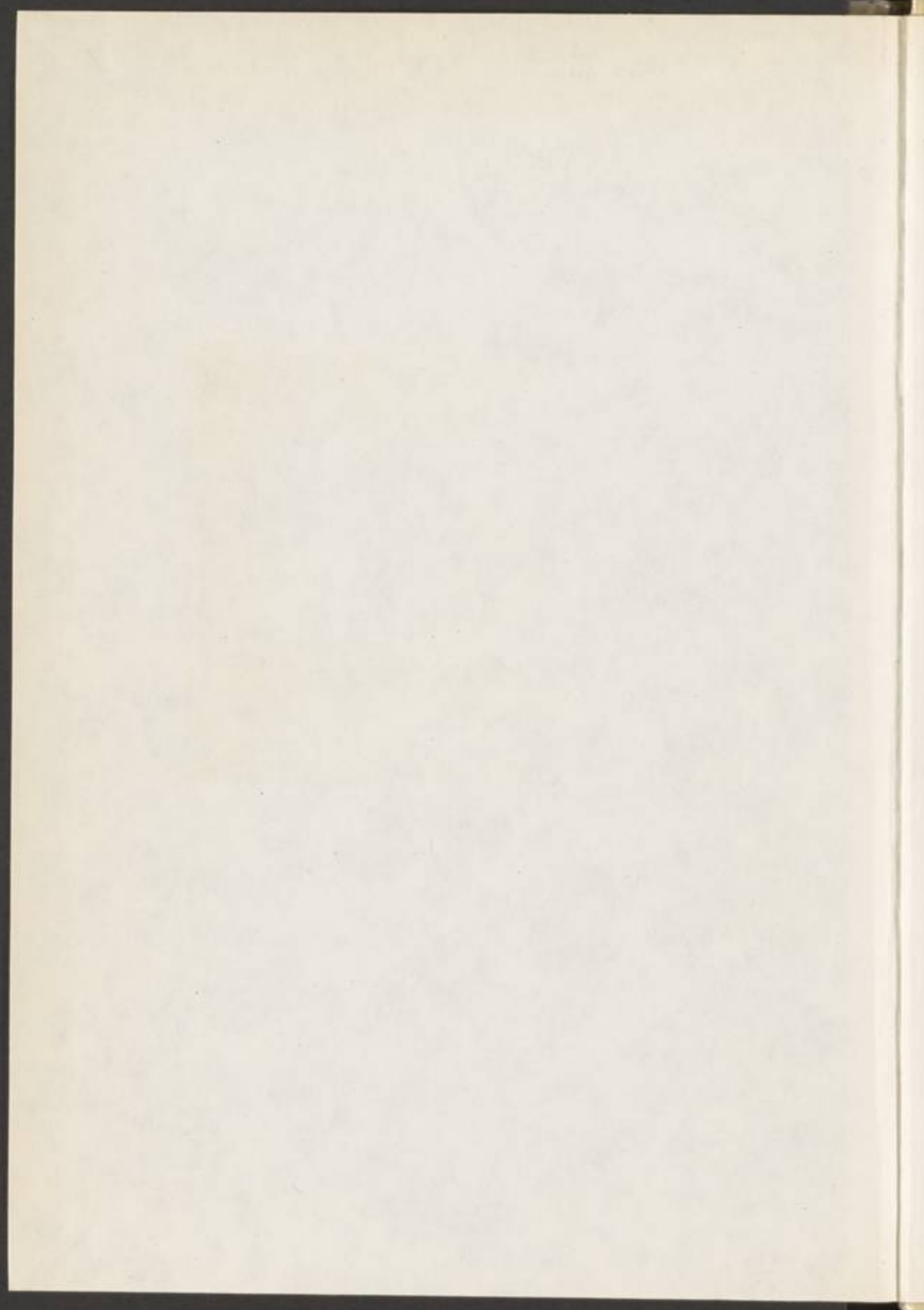
منشورات المكتب الإسلامي بدبيشق

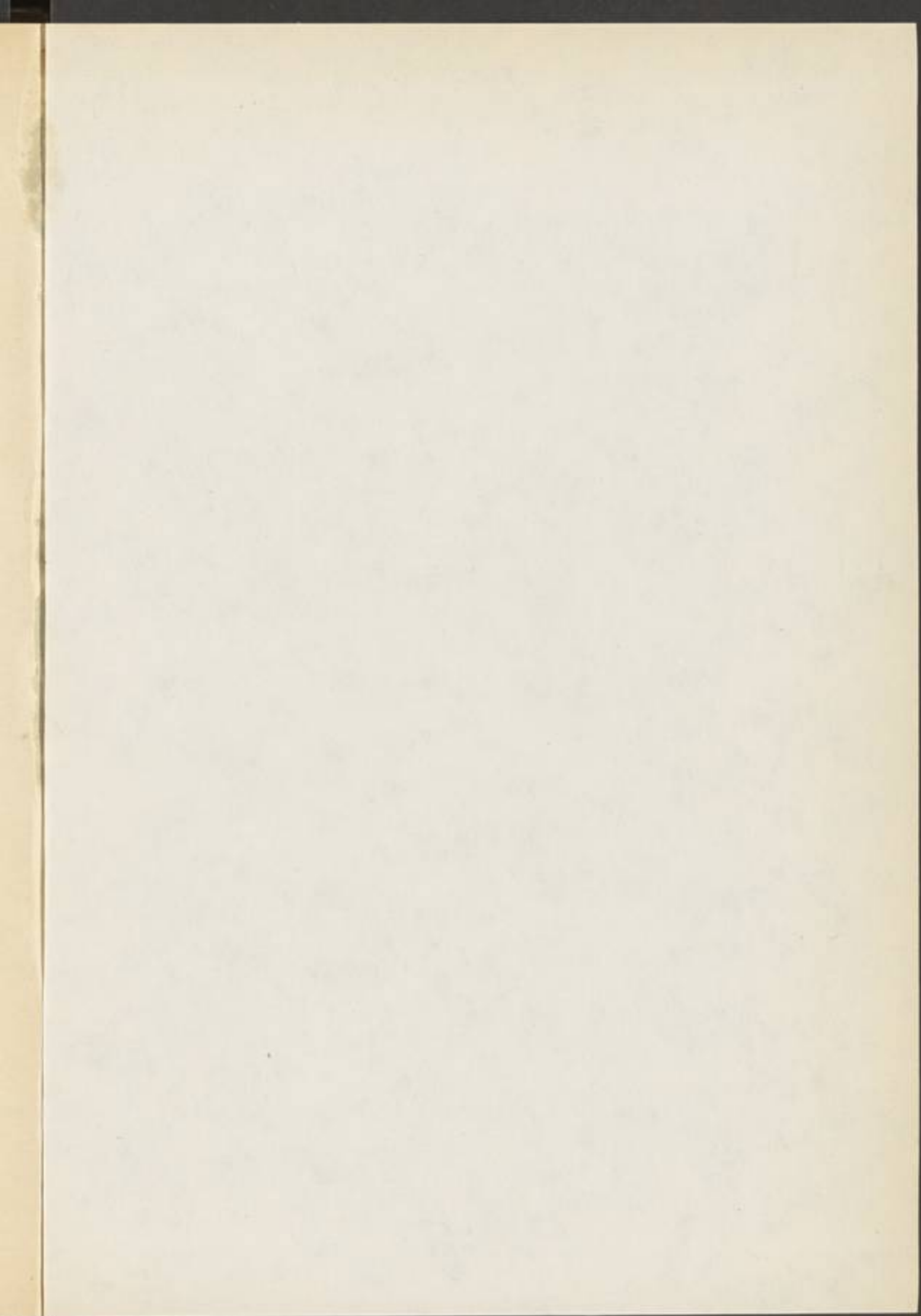


**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

---





يوسف القرضاوي

al-Qaradāwī, Yūsuf

الحلال والحرام في الإسلام

al-Halāl wa-al-ḥarām fī al-Islām

الطبعة الثانية

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

front

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES  
NEAR EAST LIBRARY

المكتب الإسلامي  
للطباعة والنشر

فولجوات

فولجوات

West East

BJ

1291

.Q3

1962

c.1

1962 - 1961

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARY  
WEST EAST LIBRARY

فولجوات

من الدستور العربي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَالْإِثْمَ ، وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » . [ سورة الأعراف : ٣٢ - ٣٣ ]





## مُقدِّمة الطبعَة الأولى

أبلغتني الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف ، رغبة مشيخة الجامع الأزهر أن أسام في مشروع علمي يتضمن تأليف كتب أو كتيبات ، مبسطة ، تترجم إلى اللغة الإنجليزية ، للتعريف بالإسلام وتعاليمه ، في أوروبا وأمريكا ، تبصرة للمسلمين هناك ، ودعوة لغير المسلمين .

والحق أن مشروع هذه الكتب والكتيبات مشروع نبيل المهدف ، جليل الشأن ، وكان من الواجب أن يتحقق منذ زمن بعيد . فالمسلمون في أوروبا وأمريكا لا يعرفون من الإسلام إلا أقل القليل ، وهذا القليل لم يسلم من المسخ والتشويه . ومن وقت قريب كتب إلينا صديق أزهرى مبعوث إلى ولاية من الولايات المتحدة يقول : إن معظم المسلمين في هذه الولاية يتكسبون من فتح البارات والتجارة في الخمور ، ولا يشعرون أن ذلك من أكبر المحرمات في الإسلام .

ويقول : إن الرجال المسلمين يتزوجون بمسيحيات ويهوديات - وربما بوثنيات - ويتروكون بنات المسلمين يتعرضن لكساد ما حق ، ويفعلون ويفعلون ...

وإذا كان هذا شأن المسلمين فما بالك بغير المسلمين؟ إنهم لا يعرفون إلا صورة دمية الوجه ، شائثة الحلقة عن الإسلام ورسول الإسلام ، وأتباع الإسلام . صورة تعمل الدعايات التبشيرية والاستعمارية المسمومة على تثبيتها وزيادة تشويها ، باذلة في ذلك كل جهد ، سالكة كل سبيل . في الوقت الذي نحن فيه عن هذا غافلون . وفي غمرة ساهون .

أما وقد آن الأوان للبدء في هذا المشروع ، وتحقيق هذا الأمل الذي توجه الدعوة إلى الإسلام ، وتلح في القيام به ، فإنها خطوة مباركة جدية أن نحى القائمين على رعايتها وتنفيذها في الأزهر وخارجه ، طالبين منهم المزيد من هذه العناية ، راجين لهم دوام التوفيق .

هذا وقد كان الموضوع الذي عهدت إلى إدارة الثقافة أن أكتب فيه هو : «الحلال

والحرام في الإسلام» وأوصت في كتابها إلى أن يراعى في الكتابة التبسيط ، وسهولة الإقناع ، والمقارنة مع الأديان والثقافات الأخرى .

وربما بدا موضوع « الحلال والحرام » سهلاً لأول وهلة ، ولكنه في الواقع صعب المرتقى ، فلم يسبق لمؤلف في القديم أو الحديث أن جمع شتات هذا الموضوع في كتاب خاص . ولكن الدارس يجد أجزاءه موزعة في أبواب الفقه الإسلامي كلها ، وبين ثنايا كتب التفسير والحديث النبوي .

ثم إن موضوعاً كهذا يضطر الكاتب أن يحدد موقفه من أمور كثيرة اختلف في حكمها علماءنا القدامى ، واضطربت فيها وفي تعليلها آراء المحدثين .

وترجيح رأي على غيره في مسائل الحلال والحرام يحتاج إلى آناة وطول بحث ومراجعة ، بعد أن يتجرد الباحث لله في طلب الحق ، جهد الإنسان .

وقد رأيت معظم الباحثين العصريين في الإسلام ، والمتحدثين عنه يكادون ينقسمون إلى فريقين :

فريق خطف أبصارهم بريق المدينة الغريبة ، وراعهم هذا الصنم الكبير ، فتعبدوا له ، وقدموا إليه القرابين ووقفوا أمامه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة هؤلاء الذين اتخذوا مبادئ العرب وتقاليده قضية مسلمة لا تعارض ولا تناقض ، فإن وافقها الإسلام في شيء علموا وكبروا ، وإن عارضها في شيء وقفوا يحاولون التوفيق والتقريب ، أو الاعتذار والتبرير ، أو التأويل والتحريف ، كأن الإسلام مفروض عليه أن يخضع لمدينة الغرب وفلسفته وتقاليده . ذلك ما نلسه في حديثهم عما حرم الإسلام من مثل : السكاكيل والياصب والفوائد الربوية والخلوة بالأجنبية ، وتمر المرأة على أنوثتها ، وتحلي الرجل بالذهب والحرير . . . الخ ما نعرف . وفي حديثهم عما أحل الإسلام من مثل الطلاق وتعدد الزوجات . . . كأن الحلال في نظرهم ما أحله الغرب والحرام ما حرمه الغرب . ونسوا أن الإسلام كلمة الله ، وكلمة الله هي العليا دائماً ، فهو يتبع ولا يتبع ، ويعلو ولا يُعلى ، وكيف يتبع الرب العبد ، أم كيف يخضع الخالق لأهواء المخلوقين ؟ ( وَتَوَلَّى أَسْبَغَ الْحَقِّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ) ( قل هل من شئ كائنكم من يهدي إلى الحق ؟ قل الله يهدي للحق أقمن

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ أَنْ لَا يَهْدِيَ إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ  
تَحْكُمُونَ ) هذا فريق . والفريق الثاني جمد على آراء معينة في مسائل من الحلال والحرام ،  
تبعاً لنص أو عبارة في كتاب ، وظن ذلك هو الإسلام ، فلم يترشح عن رأيه قيد شعرة ،  
ولم يحاول أن يمتحن أدلة مذهبه أو رأيه ، ويوازنها بأدلة الآخرين ويستخلص الحق بعد  
الموازنة والتمحيص .

فإذا شئ عن حكم الموسيقى أو الغناء أو الشطرنج أو تعليم المرأة أو إبداء وجهها  
وكفيا أو نحو ذلك من المسائل ، كان أقرب شيء إلى لسانه أو قلمه كلمة «حرام» ونسي  
هذا الفريق أدب السلف الصالح في هذا ، حيث لم يكونوا يطلقون الحرام إلا على ما علم  
تحريمه قطعاً . وما عدا ذلك قالوا فيه : نكره ، أو لا نحب ، أو نحو هذه العبارات .  
وقد حاولت ألا أكون واحداً من الفريقين .

فلم أرض لديني أن أتخذ الغرب معبوداً لي ، بعد أن رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ،  
وبمحمد رسولاً .

ولم أرض لعقلي أن أقلد مذهباً معيناً في كل القضايا والمسائل أخطأ أو أصاب ؛ فإن  
المقلد - كما قال ابن الجوزي - «على غير ثقة فيأقلد فيه ، وفي التقليد إبطال منفعة العقل ؛ لأنه  
خلق للتأمل والتدبر . وبيح بن أعطي شعبة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة (١) » .  
أجل ، لم أحاول أن أقيد نفسي بمذهب فقهي من المذاهب السائدة في العالم الإسلامي .  
ذلك أن الحق لا يشتمل عليه مذهب واحد . وأئمة هذه المذاهب المتبوعة لم يدعوا لأنفسهم  
العصمة ، وإنما هم مجتهدون في تعرف الحق ، فإن أخطأوا فلهم أجر ، وإن أصابوا فلهم أجران .  
قال الإمام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبي ﷺ . وقال الإمام الشافعي :  
رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب . وغير لائق بعالم مسلم يملك  
وسائل الموازنة والترجيح أن يكون أسير مذهب واحد ، أو خاضعاً لرأي فقيه معين . بل  
الواجب أن يكون أسير الحججة والدليل . فما صح دليله وقويت حجته ؛ فهو أولى بالاتباع  
وما ضعف سنده ، وهتت حجته ؛ فهو مرفوض منها . من قال به ، وقديماً قال الإمام  
علي رضي الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال ، بل اعرف الحق تعرف أهله .

وقد حاولت أن أراعي ماطلبت به إدارة الثقافة قدر ما استطعت فعنيت بالتدليل والتعليل والموازنة ، مستعيناً بأحدث الأفكار العلمية والمعارف العصرية . وقد كان جانب الإسلام والحمد لله مشرقاً وضاء يحمل الدليل الناصع ، على أنه دين الإنسانية العام الخالد « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً » .

والحلال والحرام معروف في كل أمة من قديم ، وإن اختلفوا في مقدار المحرمات ، وفي نوعها ، وفي أسبابها ، وكان الكثير منها مرتبطاً بالمعتقدات البدائية والخرافات والأساطير . ثم جاءت الأديان السماوية الكبرى بتشريعات ووصايا عن الحلال والحرام ارتفعت بالإنسان من مستوى الخرافات والأساطير والحياة القبلية إلى مستوى إنساني كريم ، ولكنها كانت في بعض ماأحلت وحرمت مناسبة لعصرها وبيئتها ، متطورة بتطور الإنسان ، وتغير الأحوال والأزمان . فكان في اليهودية مثلاً محرمات مؤقتة عاقب الله بها بني إسرائيل على بغيهم ، فلم تكن تشريعاً قصد به الخلود ولهذا ذكر القرآن قول المسيح لبني إسرائيل : ( وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّا بَنَدِيٍّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحْيِلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ) . فلما جاء الإسلام كانت البشرية قد بلغت أشدها ، واصلحت لأن ينزل الله عليها رسالته الأخيرة ، فتم تشريعه للبشر بشريعة الإسلام الشاملة الكاملة الخالدة . وفي هذا نقرأ قوله سبحانه بعد أن ذكر ما حرم من الأطعمة في سورة المائدة : ( الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ) .

وفكرة الإسلام في الحلال والحرام فكرة بسيطة واضحة . إنها جزء من الأمانة الكبيرة التي أبت السماوات والأرض والجال أن يحملنها وأنفقن منها وحملها الإنسان . أمانة التكليف الإلهية واحتمال مسؤولية الخلافة في الأرض ، تلك المسؤولية التي على أساسها يثاب الإنسان ويعاقب ، ومن أجلها منح العقل والإرادة وبعثت له الرسل ، وأنزلت الكتب ، فليس له أن يسأل : لم كان الحلال والحرام؟ ولم لم أترك طليق العنان؟ فهذا من تسمية الابتلاء الذي خص به المكلفون وتميز به هذا النوع من مخلوقات الله الذي ليس روحاً خالصة كالملك ، ولا شهوة خالصة كالبهيمة ، وإنما هو شيء وسط ، يستطيع أن يرتقي فيكون كالملائكة ، أو خيراً وأفضل ، وأن يهبط فيكون كالأنعام أو أضل سبيلاً .

ومن جهة أخرى فإن الحلال والحرام يدور في فلك التشريع الإسلامي العام، وهو تشريع قائم على أساس تحقيق الخير للبشر، ودفع الحرج والعنت عنهم، وإرادة اليسر بهم. يقوم على درء المفسدة وجلب المصالحة: مصلحة الإنسان كله: جسمه وروحه وعقله ومصالحه الجماعة كلها: أغنياء وفقراء وحكاماً ومحكومين، ورجالاً ونساء. ومصالحه النوع الإنساني كله: يختلف أجناسه وألوانه، وفي شتى أقطاره وبلدانه، وفي كل عصوره وأجياله.

فقد جاء هذا الدين رحمة إلهية شاملة لعباد الله في آخر طور من أطوار الإنسانية. وأعلن الله ذلك لرسوله فقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) وقال رسوله: «لئن أنا رحمة مهداة»<sup>(١)</sup>.

وكان من آثار هذه الرحمة أن وضع الله عن هذه الأمة الحائقة كل آصار التعنت والتشديد، وأوزار الإباحية والتحلل، التي أدخلها الوثنيون والكتابيون على الحياة، فصرموا الطيبات وأحلوا الحائث قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ: يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) .

وكان دستور الإسلام في الحلال والحرام يتمثل في هاتين الآيتين اللتين صدرتا بهما هذا الكتاب ( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ )... ( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم، والبغى بغير الحق، وأن تمشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ) .

وبعد فأعتقد أن أهمية موضوع الحلال والحرام تجعل هذا الكتاب على صغره يسد فراغاً في مكتبة المسلم الحديثة ويحل مشكلات كثيرة تعرض للمسلم في حياته الشخصية والأسرية

(١) رواه الحاكم عن أبي هريرة وروحه وأمره الذهبي .

والعامة ويوجب على أسئلته الكثيرة : ماذا يجلي لي ؟ وماذا يحرم عليّ ؟ وما حكمة تحريم هذا ، وإباحة ذلك ؟

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر لمشيخة الأزهر وإدارة الثقافة الإسلامية ما أولياني من ثقة باختيارى للكتابة في هذا الموضوع البكر . وأرجو أن أكون بما كتبت قد أدبت ضريبة الثقة ، وحققت الغرض المنشود .

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يرزقنا السداد في القول والعمل ، ويحببنا شطط الفكر والقلم ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشداً . إنه سميع الدعاء .

يوسف الفرضاوي

صفر ١٣٨٠ هـ  
أغسطس ١٩٦٠ م

\* \* \*

## تعريفات

الحلال : هو المباح الذي انحلت عنه عقدة الحظر ، وأذن الشارع في فعله .

الحرام : هو الأمر الذي نهى الشارع عن فعله نهياً جازماً ، بحيث يتعرض من خالف النهي لعقوبة الله في الآخرة ، وقد يتعرض لعقوبة شرعية في الدنيا أيضاً .

المكروه : إذا نهى الشارع عن شيء ولكنه لم يشدد في النهي عنه فهذا الشيء يسمى « المكروه » وهو أقل من الحرام في رتبته ، وليس على مرتكبه عقوبة كعقوبة الحرام ، غير أن التادي فيه ، والاستهتار به من شأنه أن يجرىء صاحبه على الحرام .

والعلماء وغيرهم من أئمة الدين والفقهاء في جميع الأقطار من  
عراق وبلخ والكوفة

والسفر في كل سنة من بلاد الهند إلى بلادنا من بلاد الهند  
والإفريقية واليونان والقسطنطينية وذلك بموافقة الأمير والملك  
والسلاطين في كل سنة بموافقة الخليفة العباسي

والعلماء من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا  
وهذا العلم الذي ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز

من بلادنا من بلادنا من بلادنا

من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا

من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا  
من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا

من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا  
من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا

من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا  
من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا من بلادنا



## الفصل الأول

### مبادئ الإسلام في شأن التحلل والتحريم

- |                                   |                                 |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| - ما أدى إلى الحرام فهو حرام      | - الأصل في الأشياء الإباحة      |
| - التعايل على الحرام حرام         | - التحليل والتحريم حق الله وحده |
| - اتقاء الشبهات                   | - تحريم الحلال قرين الشرك بالله |
| - لا محاباة ولا تفرقة في المحرمات | - التحريم يتبع الحبث والضرر     |
| - الضرورات تبيح المحظورات         | - في الحلال ما يغني عن الحرام   |

كان أمر الحلال والحرام كغيره من الأمور التي خل فيها أهل الجاهلية خلاً بعيداً ، واضطربوا في شأنها اضطراباً فاحشاً فأحلوا الحرام الخبيث ، وحرّموا الحلال الطيب ، يستوي في ذلك الوثنيون وأهل الملل الكتابية .

وكان هذا الضلال يمثل الانحراف والتطرف في أقصى اليمين ، أو الانحراف والتطرف في أقصى اليسار .

ففي أقصى اليمين وجدت البرهمية الهندية القاسية ، والرهبانية المسيحية العاتية ، وغيرهما من المذاهب التي تقوم على تعذيب الجسد ، وتحريم الطيبات من الرزق ، وزينة الله التي أخرج لعباده . وقد بلغت الرهبانية المسيحية ذروة عتوها في القرون الوسطى ، وبلغ تحريم الطيبات أشده عند هؤلاء الرهبان الذين كانوا يعدون بالألوف ، حتى جعل بعضهم غسل الرجلين إثماً ، ودخول الحمام شيئاً يجلب الأسف والحسرة .

وفي أقصى اليسار وجد مذهب «مزدك» الذي ظهر في فارس ، ينادي بالإباحة المطلقة ، ويطلق العنان للناس ليأخذوا كل شيء ، ويستيجوا كل شيء ، حتى الأعراض والحرمات المقدسة بالفطرة عند الناس .

وكانت أمة العرب في الجاهلية مثلاً واضحاً على اختلال مقاييس التحليل والتحريم بالنسبة للأشياء والأعمال ، فاستباحوا شرب الخمر وأكل الربا أضعافاً مضاعفة ، ومضارة النساء وعضلن و... وأكثر من ذلك أن شياطين الإنس والجن زينوا لكثير منهم قتل أولادهم وفلذات أكبادهم ، فأطاعوهم . وخالفوا نوازع الأبوة في صدورهم كما قال تعالى :  
(وَكُنْذَلِكْ زَيْنٌ لِّكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرَدُّوهُمْ  
وَلِيَلْبِئْسُوا عَلَيَّهِمْ دِينَهُمْ) سورة الأنعام ١٣٧

وقد سلك هؤلاء الشركاء من سدنة الأوثان وأشباههم مسالك عدة في تزيين هذا القتل للأبواء . فمنها : اتقاء الفقر الواقع أو المتوقع . ومنها : خشية العار والاحتراز منه إذا كان المولود بنتاً . ومنها : التقرب إلى الآلهة بنحر الأولاد ، وتقديمها قرباناً إليها .

ومن العجيب أن هؤلاء الذين استحلوا قتل أولادهم ذبحاً أو وأداً حرّموا على أنفسهم كثيراً من الطيبات من حرث وأنعام ، والأعجب أنهم جعلوا هذا من أحكام الدين ، فنسبوه

إلى الله تعالى حكماً وديانة ، فرد الله عليهم هذه النسبة المفتراة ( وَقَالُوا : هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرِّثُ حَيْجَرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ تَشَاءُ - بِيْزَعْمِهِمْ - وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ، وَأَنْعَامٌ لَا يَذُّ كُرُونُ أَسْمِ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ، سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) سورة الأنعام : ١٣٨

وقد بين القرآن ضلالة هؤلاء الذين أحلوا ما يجب أن يحرم ، وحرّموا ما ينبغي أن يحل ، فقال : ( قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ . قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ) سورة الأنعام : ١٤٠

جاء الإسلام فوجد هذا الضلال والانحراف في التحريم والتحليل ؛ فكان أول ما صنعه لإصلاح هذا الجانب الخطير من التشريع أن وضع جملة من المبادئ التشريعية ، جعلها الركّز التي يقوم عليها أمر الحلال والحرام ، فرد الأمور إلى نصابها ، وأقام الموازين القسط ، وأعاد العدل والتوازن فيما يحل وما يحرم . وبذلك كانت أمة الإسلام بين الضالين والمنحرفين - ميمناً أو شمالاً - أمة وسطا ، كما وصفها الله الذي جعلها ، خير أمة أخرجت للناس .

### ١ - الأصل في الأشياء الإباحة

كان أول مبدأ قرره الإسلام : أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع ، هو الحل والإباحة ، ولا حرام إلا ما ورد نص صحيح صريح من الشارع بتحريمه ؛ فإذا لم يكن النص صحيحاً - كبعض الأحاديث الضعيفة - أو لم يكن صريحاً في الدلالة على الحرمة ، بقي الأمر على أصل الإباحة .

وقد استدل علماء الإسلام على أن الأصل في الأشياء والمنافع الإباحة ، بآيات القرآن الواضحة من مثل قوله تعالى « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » سورة البقرة : ٢٩ « وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ » سورة الجاثية : ١٣ « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » سورة لقمان : ٢٠

وما كان الله سبحانه ليخلق هذه الأشياء ويسخرها للانسان ويمن عليه بها ، ثم يجرمه منها بتحريمها عليه . وكيف وقد خلقها له ، وسخرها له وأنعم بها عليه ؟  
ولمّا حرم جزئيات منها لسبب وحكمة سنذكرها بعد .

ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الإسلام ضيقاً شديداً ، واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً . ذلك أن النصوص الصحيحة الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جداً ، وما لم يجيء نص بإباحته أو حرمة ، فهو باق على أصل الإباحة ، وفي دائرة العفو الإلهي . وفي هذا ورد الحديث « ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ، وتلا ( وما كان ربك نسياً ) (١) سورة مريم : ٦٤

وعن سلمان الفارسي : سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجن والفراء فقال : « الحلال ما أحل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا لكم » (٢) فلم يشأ عليه السلام أن يجيب السائلين عن هذه الجزئيات ، بل أحالهم على قاعدة يرجعون إليها في معرفة الحلال والحرام ، ويكفي أن يعرفوا ما حرم الله ، فيكون كل ما عداه حلالاً طيباً .

وقال ﷺ : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنهكوها ، وسكت عن أشياء . رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » (٣) .

(١) رواه الحاكم وصححه واخرجه البزار . (٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

(٣) رواه الدارقطني وحسنه النووي .

## ٢ - التحليل والتحرير من الله وحده

المبدأ الثاني : أن الإسلام حدّد السلطة التي تملك التحليل والتحرير فانتزعها من أيدي الخلق ، أيّاً كانت درجاتهم في دين الله أو دنيا الناس ، وجعلها من حق الرب تعالى وحده . . . فلا أحرار أو رهبان ، ولا ملوك أو سلاطين ، يملكون أن يحرّموا شيئاً محرّماً دينياً مؤبداً على عباد الله . ومن فعل ذلك منهم فقد تجاوز حده واعتدى على حق الربوبية في التشريع الديني ، ومن رضي بعملهم هذا واتبعه فقد جعلهم شركاء لله واعتبر اتباعه هذا شركاً (أمّ لهم شرّكاهم شرّعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) سورة الشورى : ٢١ . وقد نعى القرآن على أهل الكتاب ( اليهود والنصارى ) الذين وضعوا سلطة التحليل والتحرير في أيدي أحرارهم ورهبانهم ، فقال تعالى في سورة التوبة ( اتّخذوا أحرارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ) ، وما أمرُوا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) سورة التوبة : ٣١ .

وقد جاء عدي بن حاتم إلى النبي ﷺ - وكان قد دان بالنصرانية قبل الإسلام - فلما سمع النبي يقرأ هذه الآية ، قال : يا رسول الله ؛ إنهم لم يعبدوهم ! فقال : « بلى ؛ إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » (١) . وفي رواية أن النبي عليه السلام قال تفسيراً لهذه الآية : « أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه » .

ولا زال النصارى يزعمون أن المسيح أعطى تلامذته - عند صعوده إلى السماء - تقويضاً بأن يخللوا ويحرّموا كما يشاؤون ، كما جاء في إنجيل متى ١٨ : ١٨ « الحق أقول لكم ، كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء » .

كما نعى على المشركين الذين حرّموا وحلّلوا بغير إذن من الله .

(٢) الحلال والحرام

(١) الترمذي وغيره وحسنه .

قال تعالى : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ، قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ) سورة يونس : ٥٩  
وقال سبحانه : ( وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ : هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ؛ لِيَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ) سورة النحل : ١١٦ .

ومن هذه الآيات البينات، والأحاديث الواضحات عرف فقهاء الإسلام معرفة يقينية أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يحل ويحرم، وأن مهمتهم لا تعدو بيان حكم الله فيما أحل وما حرم ( وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ) سورة الأنعام : ١١٩ . وليست مهمتهم التشريع الديني للناس فيما يجوز لهم وما لا يجوز . وكانوا - مع إمامتهم واجتهادهم - يبرون من الفتيا ، ويجعل بعضهم على بعض ، خشية أن يقعوا - خطأ - في تحليل حرام أو تحريم حلال .

روى الإمام الشافعي في كتابه «الأم» عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة أنه قال<sup>(١)</sup> : «أدركت مشايخنا من أهل العلم يكرهون الفتيا . أن يقولوا : هذا حلال وهذا حرام إلا ما كان في كتاب الله عز وجل بينا بلا تفسير . حدثنا ابن السائب عن الربيع بن خيثم - وكان أفضل التابعين - أنه قال : إياكم أن يقول الرجل : إن الله أحل هذا أو رضى به ؛ فيقول الله له : لم أحل هذا ولم أره ! أو يقول : إن الله حرم هذا ، فيقول الله : كذبت ؛ لم أحرمه ولم أنه عنه . . وحدثنا بعض أصحابنا عن إبراهيم النخعي - من كبار فقهاء التابعين بالكوفة - أنه حدث عن أصحابه أنهم كانوا إذا أفتوا بشيء أو نهوا عنه قالوا : هذا مكروه ، وهذا لا بأس به ، فأما أن تقول : هذا حلال وهذا حرام فما أعظم هذا !!  
هذا ما نقله أبو يوسف عن السلف الصالح ، ونقله عنه الشافعي وأقره عليه ، كما نقل ابن مفلح عن شيخ الإسلام ابن تيمية : أن السلف لم يطلقوا الحرام إلا على ما علم تحريمه قطعاً<sup>(٢)</sup> .

(١) الأم ج ٧ ص ٣١٧

(٢) ويؤيد هذا ما روي أن الصحابة لم يمتنعوا الحمر اجتناباً كلياً بعد نزول آية البقرة ( يسألونك عن الحمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس ) لأن الآية لم تكن عندم فاطمة في التحريم حتى نزلت آية المائدة .

وهكذا نجد إماماً كأحمد بن حنبل يُسأل عن الأمر فيقول: أكرهه أو لا يعجبني،  
أو لا أحبه أو لا أستحسنه .

ومثل هذا يُروى عن مالك وأبي حنيفة وسائر الأئمة رضي الله عنهم<sup>(١)</sup> .

### ٣ - تحريم المحل قربن الشرك

وإذا كان الإسلام قد نعى على من يجرمون ومن يخللون جميعاً، فإنه قد اختص المحرمين  
بجملة أشد وأعنف، نظراً لما في هذا الاتجاه من حجر على البشر وتضييق لما وسع الله عليهم  
بغير موجب، ولموافقة هذا الاتجاه لنزعات بعض المتدينين المنتظعين. وقد حارب النبي ﷺ  
نزعة التطع والتشدد هذه بكل سلاح، وذم المنتظعين وأخبر بهلكتهم إذ يقول: «أهلك  
المنتظعون، أهلك المنتظعون، أهلك المنتظعون»<sup>(٢)</sup>

وأعلن عن رسالته فقال «بعثت بالحنيفية السمحة»<sup>(٣)</sup> فهي حنيفية في العقيدة والتوحيد،  
سمحة في جانب العمل والتشريع. وضد الأمرين الشرك وتحريم الحلال وهما اللذان  
ذكرهما النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال «إني خلقت عبادي حنفاء  
وإنتهم أتتهم الشياطين، فاجتالهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما احللت لهم، وأمرتهم أن  
يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» رواه مسلم .

فتحريم الحلال قربن الشرك؛ ولهذا شدد القرآن النكير على مشركي العرب في شر كهم  
وأوثانهم وفي تحريمهم على أنفسهم من الطيبات من أنواع الحرث والانعام ما لم يأذن به الله،  
ومن ذلك تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فقد كثروا في الجاهلية إذا ولدت الناقة  
خمساً أبطن آخرها ذكر، شقوا أذنها ومنعوا ركوبها، وتركوها لآلهم، لا تتحر ولا  
يحمل عليها، ولا تطرد عن ماء أو مرعى، وسموها «البحيرة» أي مشقوقة الأذن، وكان  
الرجل إذا قدم من سفر، أو برأ من مرض أو نحو ذلك سبب ناقته وخلها، وجعلها كالبحيرة

(١) فليعرف هذا المفلدون الذين يسارعون باطلاق كلمة «حرام» بدون ان يكون معهم دليل

ولا شبه دليل . (٢) رواه مسلم واحمد وأبو داود . (٣) رواه احمد .

وتسمى « السابئة » . وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم ، وإذا ولدت ذكر فهي لأهلهم وإن ولدت ذكراً وأنتى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لأهلهم ، وتسمى الوصيلة . وكان الفحل إذا لقح ولد ولده قالوا : قد حمى ظهره ، فلا يركب ولا يحمل عليه الخ ويسمى « الحامي » وفي تفسير هذه الأربعة ، أقوال كثيرة تدور حول هذا المحور .

أنكر القرآن عليهم هذا التحريم ، ولم يجعل لهم عذراً في تقليد آباءهم في هذا الضلال ( مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ، وَالَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ، وَكَثُرُوا لَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أُولَئِكَ كَانُ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ؟ ) [سورة المائدة : ١٠٣ ، ١٠٤ ] وفي سورة الأنعام مناقشة تفصيلية لما زعموا تحريمه من الأنعام من إبل وبقر وخأن ومعز ، سابقها القرآن في أسلوب نهكي ساخر ولكنه مفحم ( ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ . وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلَذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأَنْثِيَيْنِ . أَمْ مَا اسْتَمَاتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيَيْنِ ؟ تَبَوَّءُوا فِي عِلْمِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلَذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأَنْثِيَيْنِ ؟ ) الآية سورة الأنعام ١٤٣ ، ١٤٤ .

وفي سورة الأعراف مناقشة أخرى ينكر الله فيها على المحرمين ، ويبين فيها أصول المحرمات الدائمة .

( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) سورة الأعراف : ٣٢ - ٣٣ .

وهذه المناقشات في السور المكية التي تعنى دائماً بإثبات العقيدة والتوحيد والآخره ، حسب أهمية الموضوع الذي تعالجه .

وفي المدينة ظهر بين أفراد المسلمين من يميل للتشدد والتزمم وتحريم الطيبات على نفسه ،



فأنزل الله تعالى من الآيات المحكمة ما يقفهم عند حدود الله ، ويردهم إلى صراط الإسلام  
( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ،  
إن الله لا يحب المعتدين . وكنلوا بما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا  
الله الذي أنتم به مؤمنون ) سورة المؤمنون : ٨٧-٨٨

#### ٤ - التحريم ينبع الحب والضرر

من حق الله تعالى - كخالق للناس ومنعم عليهم بنعم لا تحصى - أن يحل لهم وأن  
يحرم عليهم ما يشاء - كما له أن يتعبد لهم من التكاليف والشعائر بما يشاء - وليس لهم أن  
يعترضوا أو يعصوا ؛ فهذا حق ربوبيتهم ، ومقتضى عبوديتهم له . ولكنه تعالى رحمة منه  
بعباده ، جعل التحليل والتحريم لعل معقولة ، واجعة لمصلحة البشر أنفسهم ، فلم يحل  
سبحانه إلا طيباً ، ولم يحرم إلا خبيثاً .

صحيح أنه تعالى قد حرم على أمة اليهود بعض أصناف من الطيبات ، غير أن ذلك  
كان عقوبة لهم على بغيهم وانهاكهم حرمان الله ، كما قال تعالى : ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا  
حَرْمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرْمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا  
مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ  
بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) سورة الأنعام : ١٤٦

وقد بين الله صوراً من هذا البغي في سورة أخرى فقال تعالى : ( قَيِّظْكُمْ مِنَ  
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّمْ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ كَثِيرًا . وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ، وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ  
بِالْبَاطِلِ ) سورة النساء : ١٦٠-١٦١

فلما بعث الله خاتم رسوله بالدين العام الخالد ، كان من رحمته تعالى بالبشرية - بعد أن  
نضجت وبلغت رشدتها - أن يرفع عنها إصر التحريم الذي كان تأديباً موقتاً لشعبات ،  
صلب الرقبة - كما وصفته التوراة - وكان عنوان الرسالة المحمدية عند أهل الكتاب - كما

ذكر القرآن - أنهم : ( يَجِدُوهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ،  
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ  
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ )  
[سورة الاعراف : ١٥٧] .

وشرع الله لكفيرة الخطيئة في الاسلام أموراً أخرى غير تحريم الطيبات ، فهناك التوبة  
النصوح التي تمحو الذنب كما يمحو الماء الوسخ ، وهناك الحسنات اللاتي يذهبن السيئات ،  
وهناك الصدقات التي تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وهناك الحن والمصابب التي  
تتناثر بها الخطايا كما يتناثر ورق الشجر في الشتاء إذا يبس .

وبذلك أصبح معروفاً في الاسلام أن التحريم يتبع الحث والضرر ، فما كان ضرره  
أكبر من نفعه فهو حرام ، وما كان نفعه أكبر فهو حلال ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم  
في شأن الحمر والميسر ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ  
كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ) سورة البقرة ٢١٩

كما أصبح من الأجوبة الصريحة - إذا سئل عن الحلال في الاسلام - أنه « الطيبات »  
أي : الأشياء التي تستطيبها النفوس المعتدلة ، ويستحسنها الناس في مجموعهم . قال تعالى  
( يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحِلَّ لَّهُمْ ؟ قُلْ : أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ) سورة المائدة : ٥  
وقال : ( الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ) سورة المائدة : ٥

وليس من اللازم أن يكون المسلم على علم تفصيلي بالحث أو الضرر الذي حرم الله  
من أجله شيئاً من الأشياء ؛ فقد يخفى عليه ما يظهر لغيره ، وقد لا ينكشف حث الشيء في  
عصر ، ويتجلى في عصر لاحق ، وعلى المؤمن أن يقول دائماً : ( سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ) .

ألا ترى أن الله حرم لحم الخنزير ، فلم يفهم المسلم من علة تحريمه غير أنه مستقذر ،  
ثم تقدم الزمن فكشف العلم فيه من الديدان والجراثيم القتالة ما فيه ؟

ومثل ذلك أن النبي ﷺ قال : « اتقوا الملاعن الثلاث ( أي التي تجلب على فاعلها اللعنة

من الله والناس): البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل<sup>(١)</sup> فلم يعرف أحد في القرون الأولى إلا أنها أمور مستقدرة، يعافها الذوق السليم، والأدب العام. فلما تقدم الكشف العلمي عرفنا أن هذه «الملاعن الثلاثة» من أخطر الأشياء على الصحة العامة، وهي المصدر الأول لانتشار عدوى الأمراض الطفيلية الخطيرة كالانكلستوما والبلهارسيا.

وهكذا كلما نفذت أشعة العلم، واتسع نطاق الكشف تجلت لنا مزايا الإسلام في حلاله وحرامه، وفي تشريعاته كلها. وكيف لا وهو تشريع علم حكيم رحيم بعباده (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [سورة البقرة ٢٢٠]

### ٥ - في الحلال ما يغني عن المحرم

ومن محاسن الإسلام ومما جاء به من تيسير على الناس: أنه ما حرّم شيئاً عليهم إلا عوّضهم خيراً منه بما يسدّ مسدّه ويغني عنه، كما بيّن ذلك ابن القيم رحمه الله<sup>(٢)</sup>.  
حرّم عليهم الاستقسام بالأزلام<sup>(٣)</sup> وعوّضهم منه دعاء الاستخارة<sup>(٤)</sup>.  
وحرم عليهم الربا، وعوّضهم التجارة الربحية.  
وحرم عليهم القمار وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيال والإبل والسهام.  
وحرم عليهم الحرير وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن.  
وحرم عليهم الزنا واللواط وأعاضهم منها بالزواج الحلال.  
وحرم عليهم شرب المسكرات، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن.  
وحرم عليهم الحباث من الأطعمة، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات.

(١) رواه أبو داود وإن حاجة الحاكم والبيهقي وصحح.

(٢) انظر روضة المحبين ص ١٠ وأعلام الموقعين ج ٢ ص ١١١

(٣) سيأتي تفسيرها في الكتاب بعد.

(٤) علم الإسلام المسلم إذا أقدم على عمل<sup>\*</sup> أن يستشير ويستخير (لاخاف من استخار ولاندم من استشار) ومعنى الاستخارة أن يطلب من الله أن يهديه لخير الآمرين الذين يتردد بينها، ولها صلاة ودعاء مأثور.

وعكذا إذا تتبعنا تعاليم الإسلام كلها ، وجدنا أن الله جل شأنه لم يضيع على عباده في جانب إلا وسع عليهم في جانب آخر من جنسه ، فإنه سبحانه لا يريد بعباده عنتاً ولا عسراً ولا إرهاقاً ، بل يريد بهم اليسر والخير والهداية والرحمة ، كما قال تعالى ( يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الذِّينِ مِنَ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الذِّينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا )  
سورة النساء : ٢٦ - ٢٨

## ٦ - ما أدى الى المحرم فهو حرام

ومن المبادئ التي قررها الإسلام : أنه إذا حرم شيئاً حرم ما يفضي إليه من وسائل وسد الذرائع الموصلة إليه .

فإذا حرم الزنا حرم كل مقدماته ودواعيه ، من تبرج جاهلي ، وخلوة آئمة ، واختلاط عابث ، وصور غارية ، وأدب مكشوف ، وغناء فاحش الخ .

ومن هنا قرر الفقهاء هذه القاعدة : « ما أدى الى المحرم فهو حرام » . ويشبه هذا ما قرره الاسلام كذلك من أن إثم الحرام لا يقتصر على فاعله المباشر وحده ، بل يوسع الدائرة ، فتشمل كل من شارك فيه بجهد مادي أو أدبي . كل يناله من الإثم على قدر مشاركته . ففي الخمر يلعن النبي عليه السلام شاربها وعاصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها . كما سذكروه بعد .

وفي الربا يلعن آكله ومؤكله ( معطي الربا ) وكاتبه وشاهديه .

وهكذا كل ما أعان على المحرم فهو حرام ، وكل من أعان على محرم فهو شريك

في الإثم .

## ٧ - التحايل على المحرمات مرام

وكما حرم الإسلام كل ما يفضي إلى المحرمات من وسائل ظاهرة ، حرم التحايل على ارتكابها بالوسائل الخفية ، والحيل الشيطانية . وقد نعى على اليهود ما صنعوه من استباحة ما حرم الله بالحيل ، وقال عليه السلام : « لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود وتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل »<sup>(١)</sup>

ذلك أن اليهود حرم الله عليهم الصيد في يوم السبت ، فاحتالوا على هذا المحرم ، بأن حفروا الخنادق يوم الجمعة ، لتقع فيها الحيتان يوم السبت ، فيأخذوها يوم الأحد . وهذا عند المحتالين جائز ، وعند فقهاء الإسلام حرام ؛ لأن المقصود الكف عما ينال به الصيد بطريق التسبب أو المباشرة .

ومن الحيل الآتية تسمية الشيء الحرام بغير اسمه ، وتغيير صورته مع بقاء حقيقته . ولا ريب أنه لا عبرة بتغيير الاسم إذا بقي المسمى ، ولا بتغيير الصورة إذا بقيت الحقيقة . فإذا اخترع الناس صوراً يتحايلون بها على أكل الربا الحبيث أو استحدثوا أسماء للخمر يستحلون بها شربها ، فإن الإثم في الربا أو الخمر باق لازم . وفي الحديث « ليستحلن طائفة من أممي الخمر يسمونها بغير اسمها »<sup>(٢)</sup> .

« يأتي على الناس زمان يستحلون الربا باسم البيع »<sup>(٣)</sup> .

ومن غرائب عصرنا أن يسمى الرقص الخليع « فناً » والخمر « مشروبات روحية » والربا « فائدة » وهكذا .

## ٨ - النية الحسنة لا تبرر المحرمات

والإسلام يقدر البواعث الكريمة ، والقصد الشريف والنية الطيبة ، في تشريعاته وتوجيهاته كلها ، والنبى ﷺ يقول « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »<sup>(٤)</sup> وبالنية الطيبة تستحيل المباحات والعادات إلى طاعات وقربات إلى الله . فمن تناول غذاءه

(١) ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان ج ١ ص ٣٤٨ وقال : رواه أبو عبد الله بن بطة باسناد جيد يصححه مثله الترمذي . (٢) رواه أحمد . (٣) ذكره في إغاثة اللهفان ج ١ ص ٣٥٢ . (٤) البخاري .

بنية حفظ الحياة ، وتقوية الجسد ، ليستطيع القيام بواجبه نحو ربه وأمه ، كان طعامه وشرابه عبادة وقرباناً .

ومن أتى شهوته مع زوجه بقصد ابتغاء الولد أو إعفاف نفسه وأهله كان ذلك عبادة تستحق المثوبة ، وفي ذلك يقول النبي عليه السلام « وفي بضع أحدكم صدقة . قالوا : أيأتي أحدنا شهوته يا رسول الله ويكون له فيها أجر ؟ ! قال : أليس إن وضعها في حرام كان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر » (١)

« ومن طلب الدنيا حلالاً وتعقفاً عن المسألة ، وسعيّاً على عياله ، وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر » (٢)

وهكذا كل عمل مباح يقوم به المؤمن . يدخل فيه عنصر النية ، فتحيله إلى عبادة . أما الحرام فهو حرام مهما حسنت نية فاعله ، وشرف قصده ، ومهما كانت هدفه نبيلاً ؛ ولا يرضى الإسلام أبداً أن يتخذ الحرام وسيلة إلى غاية محمودة ؛ لأن الإسلام يحرص على شرف الغاية ، وطهر الوسيلة معاً . ولا تقر شريعته مجال مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » أو مبدأ « الوصول إلى الحق بالخوض في الكثير من الباطل » بل الوصول إلى الحق عن طريق الحق وحده .

فمن جمع مالا من ربا أو سحت أو لهو حرام أو قمار أو أي عمل محظور ؛ ليبنى به مسجداً أو يقيم مشروعاً خيرياً ، أو .. أو .. لم يشفع له نبل قصده ، فيرفع عنه وزر الحرام ، فإن الحرام في الإسلام لا تؤثرفيه المقاصد والنيات .

هذا ما علمه لنا رسول الله ﷺ حين قال : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ( يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) سورة المؤمنون : ٥١ وقال ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ) سورة البقرة : ١٧٢ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ( ساعياً للحج والعمرة ونحوهما ) يمسد يديه إلى السماء « يا رب يا رب » ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذاه بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ ! » (٣)

(١) رواه الشيخان . (٢) من حديث رواه الطبراني (٣) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة .

ويقول : « من جمع ما لا من حرام ثم تصدق به ، لم يكن له فيه أجر ، وكان إصره عليه <sup>(١)</sup> .  
ويقول : « لا يكسب عبد ما لا حراماً ، فيتصدق به فيقبل منه ، ولا ينفق منه  
فيبارك له فيه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى لا يحجو  
السيء ، بالسيء ، ولكن يحجو السيء بالحسن . إن الحديث لا يحجو الحديث <sup>(٢)</sup> .

## ٩ - انقضاء الشبهات خيبة الوقوع في الحرام

ومن رحمة الله تعالى بالناس أنه لم يدعهم في غمة من أمر الحلال والحرام ، بل بين  
الحلال ، وفصل الحرام ، كما قال تعالى : ( وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ) .  
سورة الأنعام : ١١٩ .

فأما الحلال البيّن فلا حرج في فعله . وأما الحرام البيّن فلا رخصة في إتيانه - في  
حالة الاختيار - .

وهناك منطقة بين الحلال البيّن والحرام البيّن ، هي منطقة الشبهات التي يلتبس فيها  
أمر الحل بالحرم على بعض الناس ، إما لاشتباه الأدلة عليه ، أو للاشتباه في تطبيق النص  
على هذه الواقعة أو هذا الشيء بالذات .

وقد جعل الإسلام من الورع أن يتجنب المسلم هذه الشبهات ، حتى لا يجره الوقوع  
فيها إلى مواقعة الحرام الصرف . وهو نوع من سد الذرائع الذي تحدثنا عنه . ثم هو كذلك  
لون من التربية البعيدة النظر ، الحيرة بحقيقة الحياة والإنسان .

وأصل هذا المبدأ قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الحلال بيّن والحرام بيّن  
وبين ذلك أمور مشتهيات ، لا يدري كثير من الناس : أمن الحلال هي أم من الحرام ؟  
فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم ، ومن واقع شيئاً منها بوسك أن يواقع الحرام ،  
كما أن من يرضى حول الحمى ( وهو مكان محدود يحجزه السلطان لترعى فيه أنعامه وحدها  
ويحجر على غيرها أن تتال منه شيئاً ) أو شك أن يواقعها . ألا وإن لكل ملك حمى .  
ألا وإن حمى الله محارمه <sup>(٣)</sup> .

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة . (٢) أحمد وغيره عن ابن مسعود .

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن النعمان بن بشير . واللفظ هنا من رواية الترمذي .

## ١٠ - المحرم حرام على الجميع

الحرام في شريعة الإسلام يتسم بالشمول والاطراد ؛ فليس هناك شيء حرام على العجمي حلال للعربي ، وليس هناك شيء محظور على الأسود مباح للأبيض ، وليس هناك جواز أو ترخيص ممنوح لطبقة أو طائفة من الناس تقترف باسمه ما طوع لها الهوى باسم أنهم كهنة أو أحرار أو ملوك أو نبلاء . بل ليس للمسلم خصوصية تجعل الحرام على غيره حلالاً له . كلا ؛ إن الله رب الجميع ، والشرع سيد الجميع ، فما أحل الله بشرطه فهو حلال للناس كافة ، وما حرم فهو حرام على الجميع إلى يوم القيامة .

السرقه مثلاً حرام ، سواء أكان السارق مسلماً أم غير مسلم ، وسواء أكان المسروق منه مسلماً أو غير مسلم ، والجزاء لازم للسارق أياً كان نسه أو مركزه ، وهذا ما صنعته الرسول وما أعلنه « وإيم الله لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعتم بها » (١)

ولقد حدث في زمن الرسول أن ارتكبت سرقه حامت فيها الشبهة حول يهودي ومسلم ، واستطاع بعض أقرباء المسلم أن يثيروا الغبار حول اليهودي ببعض القرآني ، ويعدوا التهمة عن صاحبهم المسلم - وهو في الواقع مرتكب السرقه - حتى هم النبي ﷺ أن يخاصم عنه ، اعتقاداً ببراءته . فنزل الوحي الإلهي بفضح الخونة ، ويبرئ اليهودي ، ويعاتب الرسول ، ويضع الحق في نصابه ، وذلك قوله سبحانه (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً . هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ؟ ) سورة النساء : ١٠٥ - ١٠٩

لقد زعمت اليهودية المحرفة أن الربا حرام على اليهودي إذا أقرض أخاه اليهودي ، أما غير اليهودي فلا بأس بإقراضه بالربا ، هكذا يقول سفر تثنية الاستراع (١٩: ٢٣) لا تقرض أخاك

(١) رواه البخاري .



بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا ٢٠ للأجنبي تقرض بربا ، ولكن لأخيك  
لا تقرض بربا .. )

وقد حكى القرآن عنهم مثل هذه النزعة ، حيث استباحوا الحياة مع غير أبناء جنسهم  
وملتهم ، ولم يروا في ذلك حرجاً ولا إثمًا . وفي ذلك يقول القرآن ( وَمِنْهُمْ مَنُ إِن  
تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُوَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ  
عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ <sup>(١)</sup> سَبِيلٌ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) سورة  
آل عمران : ٧٥ نعم يقولون على الله الكذب ، لأن شريعته لا تفرق بين قوم وقوم ،  
وقد حرم الحياة على لسان كل رسله وأنبياؤه .

ويؤسفنا أن هذه النزعة الإسرائيلية نزعة همجية بدائية ، لا تليق أن تنسب إلى دين  
سماوي ؛ فإن الأخلاق الفاضلة بل الأخلاق الحقة هي التي تتسم بالإطلاق والشمول ،  
فلا تحل لهذا ما تحرم على ذلك . والفرق بيننا وبين البدائيين إنما هو اتساع الدائرة الخلقية  
لا في وجودها وعدمها ؛ فالأمانة مثلا كانت عندهم خصلة محمودة ، ولكنها خاصة بأبناء  
القبيلة بعضهم مع بعض ، فإذا خرج الأمر عن نطاق القبيلة أو العشيرة جازت الحياة بل  
استجبت أو وجبت .

قال صاحب « قصة الحضارة » <sup>(٢)</sup> : « إن كل الجماعات البشرية تقريباً تكاد تتفق  
في عقيدة كل منها بأن سائر الجماعات أخط منها ؛ فالهنود الأمريكيون يعدون أنفسهم شعب  
الله المختار ، خلقهم « الروح الأعظم » خاصة ليكونوا مثالا يرتفع إليه البشر . وقبيلة من  
القبائل الهندية تطلق على نفسها « الناس الذين لا ناس سواهم » ، وأخرى تطلق على نفسها  
« الناس بين الناس » وقال الكاريون « نحن وحدنا الناس » ... ونتيجة ذلك أن الإنسان  
البدائي لم يكن يدور في خلدته أن يعامل القبائل الأخرى ملتزماً بنفس القيود الخلقية التي يلتزمها في  
معاملته لبني قبيلته ، فهو صراحة يرى أن وظيفة الأخلاق هي تقوية جماعته ، وشد أزرها  
تجاه سائر الجماعات ، فالأوامر الخلقية والمحرمات لا تنطبق إلا على أهل قبيلته ، أما  
الآخرون فمالم يكونوا ضيوفه ، فمباح له أن يذهب في معاداتهم إلى الحد المستطاع »

(١) يمتون العرب إذ لم يكن لهم قبل الإسلام علم ولا كتاب . (٢) ١٦ ص ٩٠ .

## ١١ - الضرورات تبيح المحظورات

ضيق الإسلام دائرة المحرمات ، ولكن بعد ذلك شدد في أمر الحرام ، وسد الطرق المفضية اليه ، ظاهرة أو خفية ، فما أدى إلى الحرام فهو حرام ، وما أعان على الحرام فهو حرام ، وما احتيل به على الحرام فهو حرام . إلى آخر ما ذكرناه من مبادئ وتوجيهات . بيد أن الإسلام لم يغفل عن ضرورات الحياة وضعف الإنسان أمامها ، فقددر الضرورة القاهرة ، وقدر الضعف البشري وأباح للمسلم - عند ضغط الضرورة - أن يتناول من المحرمات ما يدفع عنه الضرورة ويقيه الهلاك .

ولهذا قال الله تعالى - بعد أن ذكر محرمات الطعام من الميتة والدم ولحم الخنزير ( فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) سورة البقرة : ١٧٣ وكرر هذا المعنى في أربع سور من القرآن . كلما ذكر محرمات الطعام . ومن هذه الآيات وأمثالها قرر فقهاء الإسلام مبدءاً هاماً هو : « أن الضرورات تبيح المحظورات »

ولكن الملاحظ أن الآيات قيدت المضطر أن يكون ( غير باغ ولا عاد ) وفسر هذا بأن يكون غير باغ للذة طالب لها ، ولا عادٍ حدّ الضرورة متجاوز في التشبع . من هذا القيد أخذ الفقهاء مبدءاً آخر هو : « الضرورة تقدر بقدرها » فالإنسان وإن خضع لداعي الضرورة لا ينبغي أن يستسلم لها ، ويلقي اليها بزام نفسه ، بل يجب أن يظل مشدوداً إلى أصل الحلال باحثاً عنه ، حتى لا يستمرى الحرام أو يستسهله بدافع الضرورة . والإسلام بإباحته المحظورات عند الضرورات لنا يسائر في ذلك روحه العامة ، وقواعده الكلية ، تلك هي روح اليسر الذي لا يشوبه عسر والتخفيف الذي وضع به عن الأمة الآصار والأغلال التي كانت على من قبلها من الأمم . وصدق الله العظيم ( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ) سورة البقرة : ١٨٥ ( مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَا يَكُونَ بِكُمُ الْعُسْرُ وَلَا يُرِيدُ لِيُثْقَلَ عَلَيْكُم ) سورة المائدة : ٦ ( يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم ) وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ( سورة النساء : ٢٨

## الفصل الثاني

أجلال واحترام في الحياة الشخصية للمسلم

- في الأظعمة والأشربة
- في الملابس والزينة
- في البيت
- في الكسب والاحتراف

## في الأطعمة والأشربة

اختلفت الأمم والشعوب من قديم في أمر ما يأكلون وما يشربون ، ما يجوز لهم ، وما لا يجوز ، وبخاصة الأطعمة الحيوانية .

أما الأطعمة والأشربة النباتية فلم يعرف للبشر خلاف كثير في شأنها . ولم يحرم الإسلام منها إلا ما صار حمراً سواء اتخذ من عنب أو تمر أو شعير أو أي مادة أخرى مادامت قد تحمرت .

وكذلك حرم ما يحدث الخدر والفتور وكل ما يضر الجسد ، كما سنبين بعده .  
وأما الأطعمة الحيوانية فهي التي اختلفت فيها الملل والجماعات اختلافاً شاسعاً .

### ذبح الحيوان وأكله عند البراهمة :

هناك جماعات كالبراهمة وبعض المتفلسفين حرموا على أنفسهم ذبح الحيوان وأكله ، وعاشوا على الأغذية النباتية ، وقالوا : إن في ذبح الحيوان قسوة من الإنسان على كائن حي منه ليس له أن يجرمه حق الحياة .

لكننا عرفنا من التأمل في الكائنات أن خلق هذه الحيوانات ليس غاية في نفسه ، فإنها لم تؤت العقل والإرادة ، ورأينا وضعها الطبيعي أن تسخر لخدمة الإنسان ، وليس بغريب أن ينتفع الإنسان بلحمها ذبيحة ، كما انتفع بتسخيرها صحيحة .

وعرفنا كذلك من سنة الله في الخليفة أن النوع الأدنى يضحى به في مصلحة النوع الأعلى منه ، فالنبات الأخضر المترعرع يقطع من أجل غذاء الحيوان ، والحيوان يذبح لأجل غذاء الإنسان ، بل الإنسان ، الفرد يقاتل ويقتل في مصلحة المجموع .. وهكذا

على أن امتناع الإنسان عن ذبح الحيوان لن يحميه من الموت والهلاك ؛ فهو إن لم يفترس بعضه بعضاً - سيموت حتف أنفه ، وقد يكون ذلك أشد عليه ألماً من شفرة حادة تعجل به .

### الحيوانات المحرمة عند اليهود والنصارى :

وفي الديانات الكتابية حرم الله على اليهود كثيراً جداً من الحيوانات البرية والبحرية ،  
تكفل بيانها الفصل الحادي عشر من سفر اللاويين من التوراة .

وقد ذكر القرآن بعض ما حرم الله على اليهود ، وعة هذا التحريم - كما ذكرنا من قبل -  
أنه كان عقوبة حرمان من الله لهم على ظلمهم وخطاياهم ( وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا  
كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ  
ظُهُورُهُمَا أَوْ النُّجُوبَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ  
وَإِنَّا لَتَصَادِقُونَ ) سورة الانعام : ١٤٦ .

هذا شأن اليهود ، وكان المقروض أن يكون النصارى تبعاً لهم في هذا ، فقد أعلن  
الانجيل أن المسيح عليه السلام ما جاء لينقض التاموس بل جاء ليكمله .

لكنهم هنا نقضوا التاموس ، واستباحوا ما حرم عليهم في التوراة - بما لم ينسخه  
الانجيل - واتبعوا مقدسهم بولس في إباحة جميع الطعام والشراب ، إلا ما ذبح للأصنام .  
إذا قيل للمسيحي : إنه مذبح لوثن ، وعلل بولس ذلك بأن كل شيء طاهر للظاهرين ،  
وأن ما يدخل الفم لا ينجس الفم ، ولنا ينجسه ما يخرج منه . وقد استباحوا بذلك أكل  
لحم الخنزير رغم أنه محرم بنص التوراة إلى اليوم (١) .

(١) قال العلامة الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق» ج ٢ ص ١٣٨ :

إن بولس وإن كان عند أهل التلاميذ في رتبة الخواريين ، لكنه غير مقبول عندنا ، ولأنه من  
المؤمنين الصادقين ، بل من المنافقين الكذابين ومعلمي الزور والرسائل الخداعية الذين ظهروا بالكثرة بعد  
عروج المسيح... وهو الذي خرب الدين المسيحي وأباح كل عرم لمعتديه . وكان في ابتداء الامر مؤذياً  
للطبعة الاولى من المسيحيين جهراً ، لكنه لما رأى هذا الايذاء الجبري لا ينفع نفعاً معتدأ به دخل على سبيل  
التفاهق في هذه الملة ، وادعى رسالة المسيح ، وأظهر الزهد الظاهري ، ففعل في هذا الحجاب ما فعل وقبلة أهل  
النسب لاجل زهده الظاهري ، ولاجل إفراغ ذمتهم عن جميع التكاليف الشرعية . ونقل عن الامام القرطبي  
أنه قال عجباً لبعض القسوس في شأن بولس : .. ذلك هو الذي غير دين المسيح الصحيح الذي لم تتسماوا له  
بغير ، ولا وقعت منه على اثر ، هو الذي صرفكم عن القبلة وحل لكم كل عرم كان في الملة ، ولذلك كثرت  
أحكامه عندهم وتداولتموها بينكم » وقال صاحب «تجليل من حرف الإنجيل» : « وقد سلمهم بولس  
هذا من الدين بلفظ خداعه ، إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يلقى إليها . وقد طمس هذا الحديث رسوم  
التوراة » .

### عند عرب الجاهلية :

وأما العرب في الجاهلية ، فقد حرّموا بعض الحيوانات تقديراً ، وحرّموا بعضها تعبداً ، وتقرباً للأصنام ، واتباعاً للأوهام ، كالبجيرة والسائبة والوصيلة والحام التي ذكرنا تفسيرها من قبل - وفي مقابل هذا استباحوا كثيراً من الحَبائث كالميتة والدم المسفوح .

### الاسلام يبيح الطيبات :

جاء الاسلام والناس على هذه الحال في أمر الطعام الحيواني ، بين مسرف في تناول ، ومتطرف في الترك ، فوجه نداء إلى الناس كافة في كتابه ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ) سورة البقرة : ١٦٨

ناداهم بوصفهم « ناساً » أن يأكلوا من طيبات تلك المائدة الكبيرة التي أعدها لهم - وهي الأرض التي خلق لهم ما فيها جميعاً - وألا يتبعوا مسالك الشيطان وطرقه التي زين بها لبعض الناس أن يحرّموا ما أحل الله ، فحرمهم من الطيبات ، وأرداهم في مهاوي الضلال . ثم وجه نداء إلى المؤمنين خاصة فقال ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . إِنَّهَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَآخِضَتَيْرٍ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَعَيَّرَ اللَّهُ مِنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) سورة البقرة : ١٧٢ ، ١٧٣

وفي هذا النداء الخاص للمؤمنين أمرهم سبحانه أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم وأن يؤدوا حق النعمة بشكر المنعم جل شأنه . ثم بيّن أنه تعالى لم يحرم عليهم إلا هذه الأصناف الأربعة المذكورة في الآية ، والتي ورد ذكرها في آيات أخر ، أصرحها في الدلالة على حصر المحرمات في هذه الأربعة قوله تعالى في سورة الأنعام ( قُلْ لَا أُجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً ، أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ، أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ .

= ونقل صاحب « الفارق » ص ١٠٤ عن أرنست دي بونس الالماني في كتابه « الاسلام » قوله : « إن روايات الصلب والفداء من معتزعات بولس ومن شابهه من المناقذين » . فلا عجب أن يطلق بعض الكتاب الغربيين على المسيحية الخائفة أنها مسيحية بولس .

فَلَيْتَهُمْ رَجِسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلٌ لِعَيْبِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ  
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (سورة الأنعام : ١٤٥)

وفي سورة المائدة ذكر القرآن هذه المحرمات بتفصيل أكثر فقال تعالى (حُرِّمَتْ  
عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحَنْزِيرُ وَمَا أَهَلَ لِعَيْبِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ  
وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَبْتُمْ ،  
وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ ) سورة المائدة : ٣

ولا تنافي بين هذه الآية التي جعلت المحرمات عشرة والآيات السابقة التي جعلتها  
أربعة ، إلا أن هذه الآية فصلت الآيات الأخرى ، فإن المنخنقة والموقوذة والمتردبة  
والنطيحة وما أكل السبع ، كلها في معنى الميتة ، فهي تفصيل لها . كما أن ما ذبح على النصب في  
حكم ما أهل لغير الله به ، فكلاهما من باب واحد . فالمحرمات أربعة بالإجمال ، عشرة بالتفصيل .

### تحريم الميتة وحكمته :

١ - أول ما ذكرته الآيات من محرمات الأطعمة هو « الميتة » وهي ما ماتت حتف  
أنفه من الحيوان والطيور . أي : ما مات بدون عمل من الإنسان يقصد به تذكيته .  
وقد يتساءل الذهن العصري عن الحكمة في تحريم الميتة على الإنسان ، والقائمون  
أن ينتفع بأكلها ، ونجيب على ذلك بأن في تحريمها حكماً جليلاً . منها :  
أ - أن الطبع السليم يعافها ويستقدرها ، والعقلاء في مجموعهم يعدون أكلها مهانة  
تنافي كرامة الإنسان ، ولذا نرى أهل الملل الكتابية جميعاً يحرّمونها ، ولا يأكلون إلا  
المذكي وإن اختلفت طريقة التذكية .

ب - أن يتعود المسلم القصد والإرادة في أموره كلها ، فلا يحرز شيئاً أو ينال ثمرة  
إلا بعد أن يوجه إليه نيته وقصده وسعيه ، ذلك أن معنى التذكية - التي تخرج الحيوان عن  
كونه ميتة - إنما هو : القصد إلى إزهاق روح الحيوان لأجل أكله . وكان الله تعالى لم  
يرض للإنسان أن يأكل ما لم يقصده ولم يفكر فيه - كما هو الشأن في الميتة ، فأما المذكي  
والمصيد فإنهما لا يؤخذان إلا بقصد وسعي وعمل .

ج - أن ما مات حتف أنفه يغلب أن يكون قد مات لعلّة مزمنة أو طارئة أو أكل نبات سام  
أو نحو ذلك . وكل ذلك لا يؤمن ضرره . ومثل هذا إذا مات من شدة الضعف والخلل الطبيعة .

د - أن الله تعالى بتحريم الميتة علينا - نحن بني الإنسان - قد أتاح بذلك فرصة للحيوانات والطيور ، لتتغذى منها ، رحمة منه تعالى بها ، لأنها أهم أمثالنا كما نطق القرآن .  
ه - أن يحرص الإنسان على ما يملكه من الحيوان فلا يبدعه فريسة للمرض والضعف حتى يموت فيتلغ عليه . بل يسارع بعلاجه أو يعجل بإراحته .

### تحريم الدم المسفوح :

٢ - وثاني هذه المحرمات هو : الدم المسفوح ، أي : السائل .  
والسر في تحريمه أنه مستقدر يعافه الطبع الإنساني التنظيف ، كما أنه مظنة للضرر كالميتة .

### لحم الخنزير :

٣ - وثالثها : لحم الخنزير ، فإن الطباع السليمة تستخبئه ، وتوغب عنه ، لأن أسهى غذائه القاذورات والنجاسات ، وقد أثبت الطب الحديث أن أكله ضار في جميع الأقاليم ولا سيما الحارة . كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القتالة وغيرها من الديدان . ومن يدري ، لعل العلم يكشف لنا في الغد من أسرار هذا التحريم أكثر مما عرفنا اليوم ، وصدق الله العظيم إذ وصف رسوله بقوله ( ويجرم عليهم الجبائث ) .  
ومن الباحثين من يقول : إن المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيره على الحرمات .

### ما أهل لغير الله به :

٤ - ورابع المحرمات : ما أهل لغير الله به . أي : ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله كالأصنام ، فقد كان الوثنيون إذا ذبحوا ذكروا على ذبيحتهم أسماء أصنامهم كاللات والعزى ، فهذا تقرب إلى غير الله ، وتعبد بغير اسمه العظيم . فعلة التحريم هنا علة دينية محض ، لحماية التوحيد ، وتطهير العقائد ، ومحاربة الشرك ومظاهر الوثنية في كل مجال من مجالاتها .  
إن الله الذي خلق الإنسان ، وسخر له ما في الأرض ، وذلل له الحيوان ، أباح له إزهاق روحه في مصلحته إذا ذكر اسمه تعالى عند ذبحه ، وذكر اسم الله حينئذ إعلان بأنه إنما يصنع هذا الصنيع بهذا الكائن الحي بإذن من الله ورضاه ، فاذا ذكر اسم غير الله عند ذبحه فقد أبطل هذا الإذن واستحق أن يحرم من هذا الحيوان المذبوح .



### أنواع من الميتة :

هذه الأربعة المذكورة هي المحرمات إجمالاً ، وقد فصلتها آية المائدة في عشرة - كما ذكرنا في أنواع الميتة التي فصلتها :

٥ - المنخقة : وهي التي تموت اختناقاً ، بأن يلتف وثاقها على عنقها أو تدخل رأسها في مضيق أو نحو ذلك .

- ٦ - الموقوذة : وهي التي تضرب بالعصا ونحوها حتى تموت .
- ٧ - المتردية : وهي التي تتردى من مكان عال فتموت .
- ٨ - النطيحة : وهي التي تنطحها أخرى فتموت .
- ٩ - ما أكل السبع : وهي التي أكل السبع - الحيوان المفترس - جزءاً منها فماتت .
- وقد ذكر الله بعد هذه الأنواع الخمسة قوله تعالى ( إلا ما ذكيت ) أي ما أدر كتم من هذه الأشياء وفيه حياة فذكيتموه . أي : أحللتموه بالذبح ونحوه كما ستحدث بعد .
- ويكفي في صحة إدراك ما ذكر أن يكون فيه رمق من الحياة . فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة .. وهي تحرك يداً أو رجلاً فكلها . وعن الضحاك : كان أهل الجاهلية يأكلون هذا فحرمه الله في الإسلام إلا ما ذكي منه ، فما أدرك فتحرك منه رجل أو ذنب أو طرف ( عين ) فذكي فهو حلال (١) .

### حكمة تحريم هذه الأنواع :

والحكمة في تحريم هذه الأنواع من الميتة ما ذكرنا في تحريم الميت حتف أنفه ما عدا توقع الضرر ، إذ لا يظهر هنا - وتناً كد الحكمة الأخيرة هنا أيضاً ، فإن الشارع الحكيم يعلم الناس العناية بالحيوان والرافة به والمحافظة عليه ، فلا ينبغي أن يهمل حتى ينخثق أو يتردى من مكان عال أو نترك الحيوانات تتناطح حتى يقتل بعضها بعضاً ، ولا يجوز أن يعذب الحيوان بالضرب حتى يموت موقوذاً ، كما يفعل ذلك بعض قساة الرعاة - وبخاصة الاجراء منهم - وكما يجرشون بين البهائم فيغرون الثورين أو الكباشين بالتناطح حتى يهلكا أو يوشكا .

(١) وقال بعض الفقهاء : لا بد ان تكون فيها حياة مستقرة وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة .

وأما تحريم ما أكل السبع فيه - أول ما فيه - تكريم للإنسان ، ونزبه له أنه  
يأكل فضلات السباع .

### ما ذبح على النصب :

١٠ - وعاشر المحرمات بالتفصيل هو : ما ذبح على النصب . والنصب هو الشيء المنصوب من أحنام أو حجارة تقام أمانة للطاغوت وهو ما عبد من دون الله - وكانت حول الكعبة . وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أو عندها بقصد التقرب إلى آلهتهم وأوثانهم . فهذا من جنس ما أهل لغير الله به ، لأن في كليهما تعظيم الطاغوت ، والفرق بينها أن ما أهل لغير الله به قد يكون ذبح لصنم من الأحنام بعيداً عنه وعن النصب ، ولما ذكر عليه اسم الطاغوت . أما ما ذبح على النصب فلا بد أن يذبح على تلك الحجارة أو عندها ، ولا يلزم أن يتلفظ باسم غير الله عليه .

ولما كانت هذه النصب حول الكعبة ، وقد يتوهم متوهم أن في الذبح عليها تعظيماً للبيت الحرام ، أزال القرآن هذا الوهم ونص على تحريمها نصاً صريحاً وإن كان مفهوماً بما أهل لغير الله به .

### السك والجراد مستثنى من الميتة :

وقد استثنت الشريعة الإسلامية من الميتة المحرمة السمك والحيتان ونحوها من حيوانات الماء . فحين سئل النبي ﷺ عن ماء البحر : «قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته» (١) . وقال تعالى : ( أحل لكم صيد البحر وطعامه ) سورة المائدة ٩٦ قال عمر : صيده ما اصطيد منه وطعامه ما رمي به . وقال ابن عباس أيضاً : طعامه ميتته . وفي «الصحيحين» عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث سرية من أصحابه ، فوجدوا حوتاً كبيراً قد جزر عنه البحر - أي ميتاً - فأكلوا منه بضعة وعشرين يوماً ، ثم قدموا

(١) رَوَاهُ ، أَحْمَدُ أَصْحَابُ السُّنَنِ .

إلى المدينة ، فأخبروا الرسول عليه السلام فقال : « كلوا رزقاً أخرج الله لكم ، أطمعونا إن كان معكم » فأتاه بعضهم بشيء فأكله .

ومثل ميتة البحر الجراد ؛ فقد رخص رسول الله في أكله ميتاً ؛ لأن ذكاته غير ممكنة . قال ابن أبي أوفى رضي الله عنه ! « غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل معه الجراد » (١) .

### الانتفاع بجلود الميتة وعظما وشعرها :

وتحريم الميتة لما يعني تحريم أكلها . فأما الانتفاع بجلدها أو فروتها أو عظما أو شعرها فلا بأس به ، بل هو أمر مطلوب ، لأنه مال يمكن الاستفادة به فلا تجوز إضاعته .

عن ابن عباس قال : « تصدق على مولاة (٢) لميمونة أم المؤمنين - بشاة فماتت ؛ فمر بها رسول الله ﷺ فقال : « هلا أخذتم لها بها - جلدها - فديعتموه فانتفعتم به؟ » فقالوا : إنها ميتة ! فقال ﷺ : « إنما حرم أكلها » (٣) .

وقد بين النبي ﷺ السبيل إلى تطهير جلد الميتة ، وهو الدباغ ، وقال في حديث « دباغ الأديم - الجلد - ذكاته » (٤) أي : إن الدباغ في التطهير بمنزلة الذكاة في إحلال الشاة ونحوها . وفي رواية : « دباغه يذهب بجنه » (٥) .

وفي « صحيح مسلم » وغيره عنه ﷺ : « أيما إهاب دبع فقد طهر » .

وهو عام يشمل كل جلد ولو كان جلد كلب أو خنزير . وبذلك قال أهل الظاهر وحكي عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، ورجحه الشوكاني .

وعن سودة أم المؤمنين قالت : ماتت لنا شاة فديعنا مسكها - جلدها - ثم مازلنا نتبذ فيه - أي : نضع فيه التمر ليحلوا الماء - حتى صار سناً - أي : قرية خلقه » (٦) .

(١) رواه الجماعة إلا ابن ماجه .

(٢) مولاة : أي جارية كانت لها وأعتقها .

(٣) رواه الجماعة إلا ابن ماجه .

(٤) أبو داود والنسائي .

(٥) الحاكم .

(٦) رواه البخاري وغيره .

### حالة الضرورة مستثناة :

كل هذه المحرمات المذكورة إنما هي في حالة الاختيار .  
أما الضرورة فلها حكمها - كما ذكرنا من قبل - وقد قال تعالى : « وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ » سورة الأنعام : ١١٩ وقال تعالى - بعد أن ذكر تحريم الميتة والدم وما بعدهما - ( فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) سورة البقرة : ١٧٣  
والضرورة المتفق عليها هي ضرورة الغذاء ، بأن يعرض الجوع - وقد حدده بعض الفقهاء بأن يمر عليه يوم وليلة - ولا يجد ما يأكله إلا هذه الأطعمة المحرمة ، فله أن يتناول منها ما يدفع به الضرورة ويتقي الهلاك . وقال الامام مالك : حد ذلك الشبع والتزود منها حتى يجد غيرها . وقال غيره : لا يأكل منها إلا ما يمسك الرمق .. ولعل هذا هو الظاهر من قوله تعالى : ( غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ) أي غير باغ (طالب) للشهوة ، ولا عاد (متجاوز) حد الضرورة . وضرورة الجوع قد نص عليها القرآن صريحاً بقوله : ( فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) سورة المائدة : ٣ والمخمصة : المجاعة .

### ضرورة الدواء :

وأما ضرورة الدواء - بأن يتوقف برؤءه على تناول شيء من هذه المحرمات - فقد اختلف في اعتبارها الفقهاء .. فمنهم من لم يعتبر التداوي ضرورة قاهرة كالغذاء ، واستند كذلك إلى حديث « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم »<sup>(١)</sup> .  
ومنهم من اعتبر هذه الضرورة وجعل الدواء كالغذاء ، فكلاهما لازم للحياة في أصلها أو دوامها ، وقد استدل هذا الفريق على إباحة هذه المحرمات للتداوي - إلا أن النبي ﷺ رخص في لبس الحرير لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله عنهما لحكمة - جرب - كانت بهما . مع نهي عن لبس الحرير ، ووعيده عليه<sup>(٢)</sup> .

(١) البخاري عن ابن مسعود . (٢) انظر هذه النصوص فيما تكتبه بعد عن « الملبس والزينة » .

وربما كان هذا القول أقرب إلى روح الإسلام الذي يحافظ على الحياة الانسانية في كل

تشريعاته ووصاياه .

ولكن الرخصة في تناول الدواء المشتمل على محرم مشروطة بشروط :

١ - أن يكون هناك خطر حقيقي على صحة الانسان إذا لم يتناول هذا الدواء .

٢ - ألا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه أو يغني عنه .

٣ - أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة في خبرته وفي دينه معاً .

على أن أقول : بما نعرفه من الواقع التطبيقي ، ومن تقرير ثقات الأطباء : أنه لا ضرورة

طبية نَحْم تناول شيء من هذه المحرمات كدواء - ولكننا نقرر المبدأ احتياطاً لمسلم قديكون

في مكان لا يوجد فيه إلا هذه المحرمات .

**الفرد ليس بمضطر إذا كان في المجتمع ما يدفع ضرورته :**

وليس من شرط الضرورة ألا يجد الانسان طعاماً في ملكه هو فحسب ؛ بل لا يكون

مضطراً لتناول هذه الأطعمة المحرمة ، إذا كان في أفراد مجتمعه - مسلمهم أو ذمهم - من

يملك من فضل الطعام ما يدفع به الضرورة عنه . فان المجتمع الاسلامي متكامل متكافل

كأجزاء الجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

ومن اللغات القيمة لفقهاء الاسلام في التكافل الاجتماعي ما قرره الامام ابن حزم إذ

قال : « لا يجزى لمسلم اضطر ، أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً - فيه فضل

عن صاحبه - مسلم أو ذمي ؛ لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع . . فاذا كان ذلك

كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . وله أن يقاتل عن ذلك ؛ فان قتل فعلى

قاتله القود - أي : القصاص - وان قتل المانع ، فإلى لعنة الله ، لأنه منع حقاً . وهو طائفة

باغية . قال تعالى ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّرَ اللَّهِ ) التي تَبَغُّوا التي تَبَغُّوا حَتَّى

تَبَغُّوا ، إلى أمر الله ( الحجرات : ٩ ) وما منع الحق باغ على أخيه الذي له الحق . وبهذا

قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مائع الزكاة (١) .

(١) المحلى لابن حزم ج ٦ ص ١٥٩

## الزكاة الشرعية

### الحيوانات البحرية حلال كلها :

الحيوانات من حيث مسكنها ومستقرها نوعان : بحرية وبرية .  
فالبحرية - ونعني به مايسكن جوف الماء ولا يعيش إلا فيه - كلها حلال ، كيفما وجدت ، سواء أخذت من الماء حية أو ميتة ، طفت أو لم تطف ، يستوي في ذلك السمك والحياتان ، وما يسمى كلب البحر أو خنزير البحر أو غير ذلك ، ولا عبوة بين أخذها وصادها ، مسلماً أو غير مسلم ؛ فقد أوسع الله على عباده بإباحة كل ما في البحر ، دون أن يحرم نوعاً معيناً ، أو يشترط ذكاة له كغيره ، بل ترك للانسان أن يجهز على ما يحتاج الى الاجهاز منه بما يستطيع متجنباً التعذيب ما أمكنه .

قال تعالى ممتناً على عباده : ( وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِيَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ) سورة النحل : الآية ١٤ . وقال : ( أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ) سورة المائدة : ٩٦ ، أي : المسافرين .  
فعمّ سبحانه وتعالى ولم يخص شيئاً من شيء ( وَ مَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ) .

### المحرم من الحيوانات البرية :

وأما الحيوانات البرية فلم يصرح القرآن بتحريم شيء منها إلا لحم الخنزير خاصة - والميتة والدم وما أهل لغير الله به من أي حيوان - كما تقدم في الآيات التي جاءت بصيغة محددة حاصرة للمحرمات في أربعة إجمالاً وعشرة تفصيلاً .  
ولكن القرآن الكريم قال عن الرسول محمد ﷺ : ( يُحِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْكُمْ الْخَبَائِثَ ) سورة الاعراف : ١٥٧ .  
والخبائث هي التي يستقذرها الذوق الحسي العام للناس في مجموعهم وإن أساغها أفراد منهم .

ومن ذلك أنه « نهي عليه السلام عن أكل لحوم الجمر الأهلية يوم خيبر »<sup>(١)</sup>  
ومن ذلك ما روي في «الصحيحين» أنه « نهي عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل  
ذي مخلب من الطير » .

والمراد بالسباع ما يفترس الحيوان ويأكل قسراً كالأسد والنمر والذئب ونحوها.  
والمراد بذي المخلب من الطير ما كان له ظفر جارح كالنسر والبازي والصقر والحدأة .  
ومذهب ابن عباس رضي الله عنه أنه لا حرام إلا الأربعة المذكورة في القرآن  
- وكأنه يرى أن أحاديث النهي عن السباع وغيرها تفيد الكراهة لا التحريم ، أو لعلها لم تبلغه .  
قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتوكلون أشياء تقذراً ، فبعث الله نبيه ، وأنزل  
كتابه فأحل حلاله وحرّم حرامه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرّم فهو حرام ، وما سكت  
عنه فهو عفو . وتلا ( قل لا أجد في أوحى لي محرماً على طاعم . . الآية )<sup>(٢)</sup> .

وبهذه الآية كان يرى ابن عباس أن لحم الجمر الإنسانية حلال .  
والى مذهب ابن عباس ينزع الإمام مالك ، حيث لم يقل بجرمة السباع ونحوها .  
ومن المقرر أن الذكاة الشرعية لا تأثير لها في الحيوانات المحرمة من حيث إباحة أكلها ،  
إلا أنها تؤثر في تطهير الجلد دون اشتراط الدباغ .

### اشتراط الذكاة لإباحة الحيوانات المستأنسة :

وما أبيع أكله من الحيوانات البرية نوعان :  
نوع مقدور عليه متمكن منه ، كالانعام من إبل وبقر وغنم ، وغيرها من الحيوانات  
المستأنسة والدواجن والطيور التي تربى في المنازل ونحوها .  
ونوع غير مقدور عليه ولا يتمكن منه .  
أما النوع الأول فقد اشترط الاسلام لإباحته أن يذكى تذكية شرعية .

---

(١) البخاري - وقد قيل : إن تحريم الجمر كان لعله مؤقتة ، وذلك لحاجتهم الى ركوبها حينذاك ،  
كما تحرم بعض الحكومات ذبح المعجول الصغيرة للعاجة الى لحمها حين تكبر ونحو ذلك .  
(٢) رواه ابو داود عن ابن عباس موقوفاً .

### شروط الذكاة الشرعية :

والذكاة الشرعية المطلوبة إنما تم بشروط :

١ - أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما ينهر الدم ويفري الأوداج ولو كان حجراً أو خشباً . فعن عدي بن حاتم الطائي قال : قلت : يا رسول الله ! إننا نصيد الصيد فلا نجد سكيناً إلا الظرار (أي الحجر أو المدر المحدد منه) وشقة العصا (أي من البوص) <sup>(١)</sup> فقال : أمر الدم ( أي أرقه ) بما سئت واذكر اسم الله عليه <sup>(٢)</sup> .

٢ - أن يكون في الخلق أو اللبة ( النحر ) وذلك بقطع في الخلق يكون الموت في أثره أو طعن في اللبة يكون الموت في أثره .

وأكمل الذبح أن يقطع الخلقوم والمريء (وهو مجرى الطعام والشراب من الخلق) والودجان <sup>(٣)</sup> ( وهما عرقان غليظان في جانبي ثغرة النحر ) .

ويسقط هذا الشرط إذا تعذر الذبح في موضعه الخاص كأن يتردى الحيوان في بئر من جهة رأسه بحيث لا ينال حلقه ولا لبته ، أو يند ويتمرد على طبيعته المستأنسة ، لهذا يعامل معاملة الصيد ، ويكفي أن يجرح بمحدد في أي موضع مستطاع منه .

وفي «الصحيحين» عن رافع بن خديج قال : كنا مع النبي ﷺ في سفره فندب بعير من إبل القوم ، ولم يكن معهم خيل ، فرماه رجل بسهم فجسه فقال رسول الله ﷺ : « إن لهذه البهائم أو ابد كأو ابد الوحش فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا » .

٣ - ألا يذكر عليه اسم غير الله . وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتقربون إلى آلهتهم

(١) هو الفعص . (٢) رواه احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان .

(٣) لبعض الفقهاء اشتراطات في مسألة الذبح تركناها ؛ لانه لم يأت نص صريح باشتراطها . ولان الذبح معروف بالهطرة والمادة لكل الناس ملا داعي لهذه التعمقات والنشددات التي لا تنفق وبسر الإسلام وبساطته . ولذلك اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً . هل الواجب قطع الاربعة ( الخلقوم والمريء والودجان ) كلها او بعضها ؟ وهل الواجب في المذبوح منها قطع الكل او الاكثر ؟ وهل من شرط القطع ألا تقع الجوزة الى جهة البدن بل الى جهة الرأس ؟ وهل إن قطعها من جهة العنق جاز اكلها أم لا ؟ وهل من شرط الذكاة الا يرفع يده حتى يتم الذكاة او لا ؟ . الخ وبكل طرف من طرفي السؤال قال بعض الفقهاء .



وأصنامهم بالذبيح لأجلها : إما بالإهلال عند الذبيح بأسمائها، وإما بالذبيح على الأنصاب  
المخصصة لها، فحرّم القرآن ذلك كله كما ذكرنا (وَمَا أَهْلٌ لِيَغْيِرَ اللَّهُ بِهِ... وَمَا ذُبِيحَ  
عَلَى النَّصْبِ ) .

ولكن هل يشترط أن يذكر اسم الله على الذبيحة؟ هذا هو الظاهر من النصوص؛  
فالقرآن يقول: ( فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ )  
سورة الأنعام: ١١٨. ويقول: ( وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ) سورة الأنعام: ١٢١. والرسول عليه السلام يقول: « ما أُنهر الدم  
وذكر اسم الله عليه فكلوا »<sup>(١)</sup>.

وذهب بعض العلماء إلى أن ذكر اسم الله لا بد منه، ولكن ليس من اللازم أن يكون  
ذلك عند الذبيح، بل يجزى عنه أن يذكره عند الأكل، فإنه إذا سمي عند الأكل على ما  
يأكله لم يكن آكلًا ما لم يذكر اسم الله عليه. وفي « صحيح البخاري » عن عائشة أن قوماً  
حديثي عهد بجاهلية قالوا للنبي ﷺ: إن قوماً يأتوننا باللحمان لاندري أذكروا اسم الله  
عليها أم لم يذكروا؟ أنا كل منها أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: « اذكروا اسم الله واكلوا » .

### سر هذه الذكاة وحكمتها :

الرسر في هذه الذكاة - كما يلوح لنا - هو إزهاق روح الحيوان بأقصر طريق يربحه  
بغير تعذيب . لهذا اشترطت الآلة المحددة وهي أسرع أترأ واشتوت الذبيح في الخلق - وهو  
أقرب المواضع لمفارقة الحياة بسهولة - ونهى عن الذبيح بالسن والظفر ؛ لأن الذبيح بها تعذيب  
للحيوان ، ولا يقع بها غالباً إلا الخنق ، وأمر النبي ﷺ بإحداذ الشفرة وإراحة الذبيحة  
« إن الله كتب الإحسان على كل شيء » ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا  
الذبيحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا الإحسان ما رواه ابن عمر أن النبي ﷺ أمر أن نحد الشفار ، وأن توارى  
عن البهائم وقال : « إذا ذبح أحدكم فليجهز »<sup>(٣)</sup> أي : فليتم .

(١) رواه البخاري وغيره . (٢) رواه مسلم عن شداد بن اوس (٣) رواه ابن ماجه .

وعن ابن عباس أن رجلاً أضجع شاة وهو يجد سُفْرته . فقال النبي ﷺ : « أتريد أن تميتها موتات ؟ هلا أهددت سُفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تَضْجِعَهَا ؟ »<sup>(١)</sup> .  
ورأى عمر رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها ، فقال له : ويلك !! قد هاء إلى الموت قوداً جميلاً<sup>(٢)</sup> .

وهكذا نجد الفكرة العامة في هذا الباب هي الرفق بالحيوان الأعجم وإراحته من العذاب ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً . وقد كان أهل الجاهلية يجيئون أسننة الإبل - وهي حية - ويقطعون أليات الغنم ، وكان في ذلك تعذيب لهذه الحيوانات ، فقوت النبي ﷺ مقصودهم وحرّم عليهم الانتفاع بهذه الأجزاء ، فقال : « ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة »<sup>(٣)</sup> .

#### حكمة التسمية عند الذبح :

أما طلب التسمية عند الذكاة فإن لها سرّاً لطيفاً ينبغي التنبه له والالتفات إليه . فهي من جهة مضادة لما كان يصنع الوثنيون وأهل الجاهلية من ذكر أسماء آلهتهم المزعومة عند الذبح ، وإذا كان المشرك يذكر في هذا الموضع اسم صنمه فكيف لا يذكر المؤمن اسم ربه !؟

ومن جهة ثانية ؛ فإن هذه الحيوانات تشترك مع الإنسان في أنها مخلوقة لله ، وأنها كائنات حية ذات روح .. فلماذا يتسلط الإنسان عليها ، ويذبح أرواحها ، إلا أن يكون ذلك بإذن من خالقه وخالقها ، الذي خلق له ما في الأرض جميعاً؟ . وذكر اسم الله هنا هو إعلان بهذا الإذن الإلهي . كأن الإنسان يقول : إنني لا أفعل ذلك عدواناً على هذه الكائنات ، ولا استضعافاً لتلك المخلوقات ، ولكن باسم الله اذبح ، وباسم الله أسيّد ، وباسم الله آكل .

#### ذبائح أهل الكتاب « اليهود والنصارى » :

وأبنا كيف شدّد الإسلام في أمر الذبح واهتم به ؛ لأن مشركي العرب وغيرهم من

(١) الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري . (٢) رواه عبد الرزاق .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي الحاكم .

أهل الملل جعلوا الذبائح من أمور العبادات بل من شؤون العقيدة وأصول الدين، فصاروا يتعبّدون بذبيح الذبائح لآلهتهم ، فيذبجون على النصب عندها أو يهلون باسمها عند الذبيح ، فبجاء الإسلام فأبطل هذه الأمور وأوجب ألا يذكر اسم غير الله عند الذبيح ، وحرّم ما ذبّح على النصب وما أهل لغير الله به .

ولما كان أهل الكتاب أهل توحيد في الأصل ، ثم سرت إليهم نزعات الشرك بمن دخل في دينهم من المشركين الذين لم يتخلصوا تماماً من أدران شركهم القديم ، وكان هذا مظنة لأن يفهم بعض المسلمين أن معاملة أهل الكتاب في ذلك كأهل الأوثان - رخص الله تعالى في مواكلة أهل الكتاب كما رخص في مصاهرتهم - فقال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن (الْيَوْمَ أَحِيلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ) سورة المائدة : ٥

ومعنى هذه الآية إجمالاً : اليوم أحل لكم الطيبات ، فلا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام . وطعام الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى حل لكم بمقتضى الأصل ، لم يجرمه الله عليكم قط ، وطعامكم حل لهم كذلك أيضاً ؛ فلكم أن تأكلوا من اللحوم التي ذكوا حيوانها أو صادوه ، ولكم أن تطعموهم بما تذكون وتضطادون .

ولما شدد الإسلام مع مشركي العرب ، وتساهل مع أهل الكتاب ؛ لأنهم أقرب إلى المؤمنين ، لاعترافيهم بالوحي والنبوة وأصول الدين في الجملة . وقد شرعت لنا موادتهم بنوا كلنهم ومصاهرتهم وحسن معاشرتهم لأنهم إذا عاشرونا وعرفوا الإسلام في بيئته ومن أهله ، على حقيقته ، علماً وعملاً وخلقاً ، ظهر لهم أن ديننا هو دينهم في أسس معانيه ، وأكمل صورته ، وأنقى صحائفه ، مبرءاً من البدع والأباطيل والوثنيات .

وكلمة ( طعام الذين أوتوا الكتاب ) كلمة عامة تشمل كل طعام لهم : ذبائحهم وجوبهم وغيرها ، فكل ذلك حلال لنا ، ما لم يكن محرماً لعينه كاللينة والدم المسفوح ولحم الخنزير ؛ فهذه لا يجوز أكلها بالاجماع سواء أكانت طعام كتاني أو مسلم .

بقي هنا إيضاح عدة مسائل هم المسلمون معرفتها :

### ما يذبح للكنائس والأعياد :

١ - إذا لم يسمع من الكتابي أنه سمى غير الله عند الذبح كالمسيح والعزير ، فإن ذبيحته حلال . وأما إذا سمع منه تسمية غير الله ، فمن الفقهاء من يحرم ذبيحته تلك لأنها مما أهل لغير الله به .

وبعضهم يقول : أباح الله لنا طعامهم وهو أعلم بما يقولون .  
وسئل أبو الدرداء رضي الله عنه عن كبش ذبح لكنيسة يقال لها « جرجس » أهدوه لها : أنا كل منه ؟ فقال أبو الدرداء للسائل : اللهم عفوا ؛ إنما هم أهل كتاب طعامهم حل لنا وطعامنا حل لهم . وأمره بأكله .

وسئل الإمام مالك فيما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم وكنائسهم فقال : أكرهه ولا أحرمه . وإنما كرهه من باب الورع خشية أن يكون داخلًا فيما أهل لغير الله به ، ولم يحرمه لأن معنى ما أهل لغير الله به عنده - بالنسبة لأهل الكتاب - إنما هو فيما ذبحوه لأنفسهم مما يتقربون به إليها ولا يأكلونه . فأما ما يذبحونه ويأكلونه فهو من طعامهم وقد قال تعالى : ( وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ) (١) .

### ما ذكوه بطريق الصعق الكهربائي ونحوه :

٢ - المسألة الثانية : هل يشترط أن تكون تذكيبتهم مثل تذكيبتنا : بحدود وفي الحلق ؟  
استقر ذلك بعض العلماء ، والذي أفتى به المالكية أن ذلك ليس بشرط .  
قال القاضي ابن العربي في تفسير آية المائدة : « هذا دليل قاطع على أن الصيد وطعام الذين أوتوا الكتاب من الطيبات التي أباحها الله ، وهو الحلال المطلق ، وإنما كرهه الله تعالى ليرفع به الشكوك ويزيل الاعتراضات عن الحواطر الفاسدة ، التي توجب الاعتراضات

(١) هذه الفتوى من أظهر الأدلة على فقه الإمام مالك ودينه وورعه رضي الله عنه ، إذ لم يسارع إلى التحريم كما يفعل بعضهم اليوم ، واكتفى بالكراهية ، حيث وجد مجموعين متعارضين : عموم ما أهل لغير الله به ، وعموم طعام أهل الكتاب ، وقد جمع بينها بما ذكرناه .

ونحوج إلى تطويل القول . ولقد سئلت عن النصراني يقتل عنق الدجاجة ثم يطبخها : هل تؤكل معه أو تؤخذ منه طعاماً؟ فقلت : تؤكل ؛ لأنها طعامه وطعام أجباره ورهبانه ، وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا ، ولكن أباح الله لنا طعامهم مطلقاً ، وكل ما يروونه في دينهم ، فإنه حلال لنا إلا ما كذبهم الله فيه . ولقد قال علماؤنا : منهم يعطوننا نساءهم أزواجاً ، فيجعل لنا وطؤون ، فكيف لانأكل ذبائحهم ، والأكل دون الوطء في الحل والحرمه ؟ »  
هذا ما قرره ابن العربي . وقال في موضع ثان : « ما أكلوه على غير وجه الذكاة كالحق وحطم الرأس ميتة حرام » ولاتتافي بين القولين ؛ فإن المراد : أن ما يروونه مذكي عندهم حل لنا أكله ، وإن لم تكن ذكاته عندنا ذكاة صحيحة ، وما لا يروونه مذكي عندهم لايجل لنا . والمفهوم المشترك للذكاة : هو القصد إلى إزهاق روح الحيوان بنية تحليل أكله .  
وهذا هو مذهب المالكية عامة .

وعلى ضوء ما ذكرنا نعرف الحكم في الأطعمة المستوردة من عند أهل الكتاب - كالبولوبيف - مما قد تكون تذكيته بالصعق الكهربائي ونحوه . فماداموا يعتبرون هذا حلالاً مذكي فهو حل لنا ، وفق عموم الآية .

### ذبيحة المجوسي ومن مائله :

اختلف العلماء في ذبيحة المجوس ، فالأكثر ينعون من أكلها لأنهم مشركون . وقال آخرون : هي حلال ؛ لأن النبي ﷺ قال : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب »<sup>(١)</sup> وقد قبل الجزية من مجوس هجر<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن حزم في باب التذكية من كتابه « المحلى »<sup>(٣)</sup> : « إنهم أهل كتاب فحكمهم كحكم أهل الكتاب في كل ذلك »<sup>(٤)</sup>

(١) رواه مالك والشافعي ، وماورد من تنمة لهذا الحديث « غير فاكهي نسائم ولا آكلي ذبائحهم » فلم يصح عند المحدثين . (٢) روى ذلك البخاري وغيره . (٣) ج ٧ ص ٥٦ ؛ (٤) لا ريب أن قول ابن حزم له وزنه ، فهو حجة في حفظ النصوص ومعرفة تاريخ الملل والنحل . وقد نص البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » على أن المجوس يدعون نبوة زرادشت . وأيد ذلك بعض علماء الاسلام المحدثين المطلعين على التفافات القديمة كمولانا أبي الكلام آزاد .  
(٥) - الحلال والحرام ( )

والصائبون عند أبي حنيفة أهل كتاب أيضاً .  
ومن الباحثين في عصرنا من يلحق بالمجوس الوثنيين الآخرين كالبراهمة والبوذيين ونحوهم  
ويرى أنهم كانوا أهل كتاب فقدوه بطول الأمد<sup>(١)</sup> .

قاعدة : ماغاب عنا لانسأل عنه :

وليس على المسلم أن يسأل عماغاب عنه : كيف كانت تذكيرته؟ وهل استوفت شروطها  
أم لا؟ وهل ذكر اسم الله على الذبيحة أم لم يذكر؟ بل كل ماغاب عنا بما ذكاه مسلم - ولو  
جاهلاً أو فاسقاً - أو كتابي ، فحلال أكله .

وقد ذكرنا من قبل حديث البخاري أن قوماً سألوا النبي ﷺ فقالوا : إن قوماً  
يأتوننا باللحم لاندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال عليه السلام : « سموا الله عليه  
أنتم وكلوا » .

قال العلماء في هذا الحديث : هذا دليل على أن الأفعال والتصرفات تحمل على حال الصحة  
والسلامة ، حتى يقوم دليل على الفساد والبطلان .

## الصيد

كان كثير من العرب وغيرهم من الأمم يعيشون على الصيد ، لذلك عني به القرآن والسنة  
وخصص الفقهاء له أبواباً مستقلة ، فصلوا فيها مايجل منه ومايجرم ، ومايجب فيه  
وما يستحب .

ذلك أن هناك كثيراً من الحيوانات والطيور المستطاب لحمها ، لا يتمكن الإنسان منها  
ولا يقدر عليها ، لأنها غير مستأنسة له ، فلم يشترط الإسلام فيها ماشرط في الحيوانات  
الإنسية من الذكاة في الخلق أو اللب ، واكتفى في تذكيرها بما يسهل في مثلها تخفيفاً على  
الإنسان وتوسعة عليه ، وأقر الناس في هذا الأمر على ما هدتهم إليه الفطرة والحاجة ، ولما

---

(١) انظر تفسير المنار ج ٦ في تفسير آية (وطعام الذين أوتوا الكتاب...) «فصل في طعام الوثنيين  
ونكاح نسائم» .

أدخل عليه تنظييات واشترطات نخضعه لعقيدة الإسلام ونظامه، وتصبغه - ككل شؤون المسلم - بالصبغة الإسلامية. وهذه الاشتراطات منها ما يتعلق بالصائد، ومنها ما يتعلق بالمصيد، ومنها ما يتعلق بما يكون به الصيد.

هذا كله في صيد البر، أما صيد البحر فقد تقدم أن الله أحله جملة دون قيد (أحل لكم صيد البحر وطعامه) سورة المائدة: ٩٦.

### ما يتعلق بالصائد :

١ - أما الصائد لصيد البر فيشترط فيه ما يشترط في الذبائح : بأن يكون مسلماً ، أو من أهل الكتاب ، أو من هو في حكم أهل الكتاب كالجوس والصابئين .

ومن التوجيهات التي علمها الإسلام للصائد : ألا يكون عابثاً بصيده ، فيزهق هذه الأرواح ، دون قصد منه إلى أكلها أو الانتفاع بها . وفي الحديث : « من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة ، يقول : يارب ، إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة »<sup>(١)</sup>. وفي الحديث الآخر « ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها يوم القيامة !! قيل : يا رسول الله ، وما حقها؟ قال : أن يذبحها فيأكلها ، ولا يقطع رأسها فيرمي به »<sup>(٢)</sup>.

هذا ويشترط في الصائد أيضاً ألا يكون محرماً بحد أو عمرة ، فإن المسلم في فترة الإحرام يكون في مرحلة سلام كامل وأمن شامل ، يمتد نطاقه حتى يشمل ما حوله من حيوان في الأرض أو طير في السماء حتى ولو كان الصيد أمامه تناله يده أو رجه ، ولكنه الابتلاء والتربية التي تخلق المؤمن القوي المصابر. وفي ذلك يقول الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَسَلُّوا النَّكْمَ اللَّهُ يَشِيءُ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ سورة المائدة: ٩٥. ( وحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ) سورة المائدة: ٩٦. ( نَحْيَرُ لِحَيْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ) سورة المائدة: ١

(١) رواه النسائي وابن حبان في «صحيحه». (٢) النسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

### ما يتعلق بالمصيد :

وأما الشروط التي تتعلق بالمصيد، فأن يكون حيواناً مما لا يقدر على تذكيره في الخلق واللبه ، فإن قدر على تذكيره في ذلك فلا بد منها ولا يلجأ إلى غيرها ؛ لأنها الأصل . وكذلك لو رماه بسبهه أو سلط عليه كلبه ثم أدركه وفيه حياة مستقرة فعليه أن يحمله بالذبح المعتاد في الخلق ، فإن كان به حياة غير مستقرة ، فإن ذبحه فحسن ، وإن تركه يموت من نفسه فلاثم عليه ، وفي «الصحيحين» : « إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله عليه ، فإن أمسك عليك فأدركه حياً فاذبحه » .

### ما يكون به الصيد :

٣ - وأما ما به الصيد فنوعان :

١ - الآلة الجارحة كالسهم والسيف والرمح كما أشارت الآية ( تَتَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ) المائدة : ٩٤ .

ب - الحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم ، والباز والصقر من سباع الطير . قال تعالى ( قُلْ أَجِلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ) سورة المائدة : ٤

### الصيد بالسلاح الجارح :

والصيد بالآلة يشترط فيها أمران :

أولاً : أن تنفذ في الجسد بحيث يكون قتلها بالنفاذ والحدش لا بالثقل .

وقد سأل عدي بن حاتم النسي رضي الله عنه فقال : إني أرمي بالمعراض الصيد فأصبيه !

قال : « إذا رميت بالمعراض فخرق - أي : نفذ في الجسد - فكل ، وما أصاب بعرضه

فلا تأكل » والحديث متفق عليه .



وقد دل الحديث على أن المعتبر هو الخزق وإن كان القتل بمقتل ، وعلى هذا يحل ما صيد برصاص البنادق والمسدسات ونحوها ، فإنها تنفذ في الجسم أشد من نفاذ السهم والرمح والسيف .

أما ما رواه أحمد من حديث « لا تأكل من البندقة إلا ما ذكيت » وما رواه البخاري من قول ابن عمر في المقتولة بالبندقة : تلك الموقوذة . فالبندقة هنا هي التي تتخذ من طين فيببس فيرمى بها ، فهي شيء غير البندقية تماماً .

ومثل البندقة ما صيد بحصى الخذف ؛ فقد نهى النبي ﷺ عن الخذف - الرمي بحصاة ونحوها - وقال : «إنها لا تصيد صيداً ولا تتكأ عدواً ، لكنها تكسر السن ، وتقفأ العين » (١) .

ثانياً : أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمي والضرب بها كما علم النبي ﷺ عدي بن حاتم . وأحاديثه هي الأصل في هذا الباب .

### الصيد بالكلاب ونحوها :

فإذا كان الصيد بكلب أو باز مثلاً فالمطلوب فيه :

أولاً : أن يكون معلماً .

ثانياً : أن يصيد الصيد لأجل صاحبه ، وبتعبير القرآن : أنت بمسك على صاحبه لا على نفسه .

ثالثاً : أن يذكر اسم الله عليه عند إرساله .

وأصل هذه الشروط هو ما نطقت به الآية الكريمة (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ؟ قُلْ: أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ - أي : مؤدبين ومعلمين - تَعَلَّمُوا هُنَّ يَمَّا عَلَّمْتُمُ اللَّهَ ، فَكَلُّوا يَمَّا أَمْسَكْتُمْ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ) سورة المائدة : ٤

(١) رواه الشيخان .

١ - وحد التعليم معروف ، وهو قدرة صاحب الكلب على التحكم فيه وفوجيته بحيث يدعوه فيجيب ، ويعرّبه بالصيد فيندفع وراءه . ويزجره فينزجر - على خلاف بين الفقهاء في اشتراط بعض هذه الأشياء - المهم أن يتحقق التعليم وهو أمر يدرك بالعرف .  
٢ - وحد الإمساك على صاحبه ألا يأكل منه . قال عليه السلام : « إذا أرسلت الكلب فأكل من الصيد ، فلا تأكل ؛ فإنما أمسك على نفسه ، فإذا أرسلته فقتل ولم يأكل فكل فإنما أمسكه على صاحبه » (١) .

ومن الفقهاء من فرق بين سباع البهائم كالكلاب ، وسباع الطير كالصقر ، فأباح ما أكل منه الطير دون ما أكل منه الكلب .

والحكمة في هذين الشرطين : تعليم الكلب ونحوه ، ثم إمساكه على صاحبه : هو السمو بالإنسان ، وتنزيهه أن يأكل فضلات الكلاب ، وفرائس السباع مما يمكن أن يتساهل فيه ضعفاء النفوس ، فأما إذا كان الكلب معلماً ، وأمسك على صاحبه ، فشأنه في تلك الحالة شأن الآلة التي يستعملها الصائد كالنبال والرمح .

٣ - وذكر اسم الله عند إرسال الكلب كذا ذكره عند قذف السهم أو وخز الرمح أو ضرب السيف . وقد أمرت الآية بههنا (واذكروا اسم الله عليه) المائدة : « كما جاءت به الأحاديث الصحيحة المتفق عليها ، كحديث عدي بن حاتم .

ومما يدل لهذا الشرط أنه لو شارك كلبه كلب آخر فإن صيدهما لا يحل . فحين سأل عدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً : « إنني أرسل كلبتي أجد معه كلباً ، لا أدري أيها أخذه ؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « فلا تأكل ؛ فإنما سميت على كلبك ولم تتم على غيره » .

فإذا نسي التسمية عند الرمي أو الإرسال فقد وضع الله عن هذه الأمة المؤاخذة بالنسيان والخطأ ، وليتدارك ذلك عند الأكل كما مرّ في الذبيح .  
وقد بينا عند الكلام على الذبيح الحكمة في طلب التسمية باسم الله ، وما قيل هناك يقال هنا أيضاً .

(١) رواه أحمد ، ومثله في «الصحيحين» .

### إذا وجد الصيد ميتاً بعد الرمية :

يحدث أحياناً أن يرمي الصائد سهمه فيصيب الصيد ، ثم يغيب عنه فيجده بعد ذلك ميتاً ، وربما كان ذلك بعد أيام . وفي هذه الحالة يكون الصيد حلالاً بشروط :

١ - ألا يقع في الماء . وقد قال النبي ﷺ : « إذا رميت سهمك . فإن وجدته قد قتل فكل ، إلا أن تجده قد وقع في ماء فلأنك لاتدري : الماء قتله أم سهمك؟ » (١) .

٢ - ألا يجد فيه أثراً لغير سهمه يعلم أنه سبب قتله .

فمن عدي بن حاتم : قلت : يا رسول الله ، أرمي الصيد فأجد فيه سهمي من الغد ؟ فقال : « إذا علمت أن سهمك قتله ، ولم توفيه أثر سبع فكل » (٢) .

٣ - ألا يصل الصيد الى درجة النتن ؛ فإن الطباع السليمة تستخبت المنتن وتشمئز منه ، فضلاً عما يتوقع من ضرره .

وفي « صحيح مسلم » أن النبي ﷺ قال لأبي ثعلبة الحشني : « إذا رميت سهمك فغاب - أي الصيد - ثلاثة أيام وأدر كنه فكله مالم ينتن » .

## الحمى

الحمى هي تلك المادة الكحولية التي تحدث الإسكار .

ومن توضيح الواضح أن نذكر ضررها على الفرد في عقله وجسمه ، ودينه ودينه .

أو نبين خطرهما على الأسرة من حيث رعايتها والقيام على شؤونها زوجة أو أولاداً .

أو نشرح تهديدها للجماعات والشعوب في كيانها الروحي والمادي والحلقي .

ومجى ماقاله أحد الباحثين : إن الإنسان لم يصب بضربة أشد من ضربة الحمى ، ولو عمل

احصاء عام عن في مستشفيات العالم من المصابين بالجنون والأمراض العضالة بسبب الحمى ،

وعمن انتحر أو قتل غيره بسبب الحمى ، وعمن يشكو في العالم من آلام عصبية ومعدية

ومعوية بسبب الحمى ، وعمن أورد نفسه موارد الإفلاس بسبب الحمى ، وعمن تجرد من أملاكه

(٢) الترمذي وصححه .

(١) الصحيحان .

بيعاً أو غشياً بسبب الخمر... لو عمل احصاء بذلك أو ببعضه لبلغ حدّاً هائلاً نجد كل نصح بإزائه صغيراً .

وقد كان العرب في جاهليتهم مولعين بشربها والمنادمة عليها ؛ ظهر ذلك في لغتهم فجعلوا لها نجوراً من مائة اسم ، وفي شعرهم فوصفوها وأقداحها ومجالسها وأنواعها... فلما جاء الإسلام أخذهم بمنهج تربيوي حكيم ، فتدرّج معهم في تحريمها : فمنعهم أولاً من الصلاة وهم سكارى ، ثم بيّن لهم أن لمثها أكبر من نفعها ، ثم أنزل سبحانه الآية الجامعة القاطعة في سورة المائدة ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟ ) سورة المائدة الايتين : ٩٠ ، ٩١

وفي هاتين الايتين أكد الله تحريم الخمر والميسر - القمار - تأكيداً بليغاً ، اذ قرنهما بالأنصاب والأزلام ، وجعلهما رجساً - وهي كلمة لا تطلق في القرآن الا على ما اشتد فحشه وقبحه . وجعلها من عمل الشيطان . وانما عمله الفحشاء والمنكر . وطلب اجتنابها وجعل هذا الاجتناب سبيلاً الى الفلاح . وذكر من أضرارها الاجتماعية تقطيع الصلات وايقاع العداوة والبغضاء ، ومن أضرارها الروحية الصّدّ عن الواجبات الدينية من ذكر الله والصلاة . ثم طلب الانتهاء عنها بأبلغ عبارة ( فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ) .

وكان جواب المؤمنين على هذا البيان الحاسم : قد انتهينا يارب ، قد انتهينا يارب . وصنع المؤمنون العجب بعد نزول هذه الآية ، فكان الرجل في يده الكأس قد شرب منها بعضاً وبقي بعض فحين تبلغه الآية ينزع الكأس من فيه ويفرغها على التراب . وقد آمن كثير من الحكومات بأضرار الخمر على الأفراد والأسر والأوطان ، ومنهم من حاولوا أن يمنعوها بقوة القانون والسلطان - كأمرىكا - فقتلوا ، على حين نجح الإسلام وحده في محاربتها والقضاء عليها .

وقد اختلف رجال الكنيسة في موقف المسيحية من الخمر ، واستندوا الى أن في الإنجيل نصاً يقول : قليل من الخمر يصلح المعدة ، ولو صح هذا الكلام وكان قليل الخمر يصلح المعدة حقاً ، لوجب الامتناع عن هذا القليل ، لأن قليل الخمر إنما يجير الى كثيرها والكأس الأولى تغري بأخرى وأخرى حتى الإدمان .  
هذا على حين كان موقف الإسلام صريحاً صارماً من الخمر وكل ما يعين على شربها .

### كل مسكر خمر :

وكان أول ما أعلنه النبي في ذلك أنه لم ينظر الى المادة التي تتخذ منها الخمر ، وإنما نظر الى الأثر الذي تحدثه وهو الإسكار ، فما كان فيه قوة الإسكار فهو الخمر مهما وضع الناس لها من ألقاب وأسماء ، ومنها تكن المادة التي صنعت منها - وعلى هذا فالبيرة وما شابهها حرام - .

وقد سئل النبي ﷺ عن أشربة تصنع من العسل أو من الذرة والشعير تبذ حتى تشدد ، وكان النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم فأجاب بجواب جامع : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام »<sup>(١)</sup> .  
وأعلن عمر على الناس من فوق منبر الرسول عليه السلام : الخمر ما خامر العقل<sup>(٢)</sup> .

### قليل ما أسكر كثيره :

ثم كان الإسلام حاسماً مرة أخرى حين لم ينظر الى القدر المشروب من الخمر قل أو كثير ، فيكفي أن تنزلق قدم الإنسان في هذه السبيل ، فيمضي وينحدر ، لا يلوي على شيء .  
لهذا قال رسول الله ﷺ : « ما أسكر كثيره فقليله حرام »<sup>(٣)</sup> « ما أسكر الفرق منه فله الكف منه حرام »<sup>(٤)</sup> والفرق : مكيال بسع ١٧ سبعة عشر رطلا .

### الاتجار بالخمر :

ولم يكن النبي عليه السلام بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها ، بل حرم الاتجار بها ،

(١) رواه مسلم . (٢) متفق عليه . (٣) رواه احمد وابو داود والترمذي .

ولو مع غير المسلمين ؛ فلا يجزئ لمسلم أن يعمل مستورداً أو مصدراً للخمر ، أو صاحب محل لبيع الخمر ، أو عاملاً في هذا المحل .

ومن أجل ذلك « لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها - أي طالب عصرها - وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وساقيا ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشتري لها والمشتراة له » (١) .

ولما نزلت آية المائدة السابقة قال النبي ﷺ : « إن الله حرم الخمر فمن أدر كته هذه الآية ، وعنده منها شيء ، فلا يشرب ولا يبيع » قال رواي الحديث : فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها (٢) .

وعلى طريقة الإسلام في سد الذرائع إلى الحرام ، حرم على المسلم أن يبيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمراً . وفي الحديث « من حبس العنب أيام القطاف ، حتى يبيعه من يهودي - أي : ليهودي - أو نصراني أو يمن يتخذ خمراً - أي : ولو كان مسلماً - فقد تقحم النار على بصيرة » (٣) .

### المسلم لا يهدي خمراً :

وإذا كان بيع الخمر وأكل ثمنها حراماً على المسلم ، فإن إهداءها بغير عوض ، ولغير مسلم من يهودي أو نصراني أو غيره حرام أيضاً ؛ فما ينبغي للمسلم أن تكون الخمر هدية منه ، ولا هدية إليه ، فهو طيب لا يهدي الا طيباً ، ولا يقبل الا طيباً .

وقد روي أن رجلاً أراد أن يهدي للنبي عليه الصلاة والسلام راوية خمر ، فأخبره النبي أن الله حرمها . فقال الرجل :

- أفلا أبيعها ؟

فقال النبي : « ان الذي حرّم شربها حرّم بيعها » .

قال الرجل : أفلا أكرّم بها اليهود ؟

(١) الترمذي وابن ماجه ورواه ثقات . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الطبراني في « الاوسط » وحسنه الحافظ « في بلوغ المراد » .

فقال النبي : « إن الذي حرّمها حرّم أن يكرّم بها اليهود » .

فقال الرجل : فكيف أصنع بها ؟

فقال النبي ﷺ : « شئها على البطحاء » (١) .

### مقاطعة مجالس الخمر :

وعلى هذه السنة أمير المسلم أن يقاطع مجالس الخمر ، ومجالسة شاربها . فعن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر » (٢) .

إن المسلم مأمور أن يغيّر المنكر إذا رآه ، فإذا لم يستطع أن يزيله ، فليزل هو عنه ، ولينأ عن موطنه وأهله .

ومما روي عن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز : أنه كان يجلد شارب الخمر ومن شهد مجلسهم ، وإن لم يشرب معهم . ورووا أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر ، فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلاناً ، وقد كان صائماً؟ فقال : به ابدؤوا . أما سمعتم قول الله تعالى : ( وَقَدْ تَنزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَّقِعُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ ) سورة النساء : ١٤٠ .

### الخمر داء وليست بدواء :

بكل هذه النصوص الواضحة كان الإسلام حاسماً كل الحسم في محاربة الخمر وإبعاد المسلم عنها ، وإقامة الحواجز بينه وبينها ، فلم يفتح أي منفذ - وإن ضاق وصغر - لتناولها أو ملابتها .

لم يبيع للمسلم شربها أو القليل منها ، ولا ملابتها ببيع أو شراء أو إهداء أو صناعة ، ولا إدخالها في متجره أو في بيته ، ولا إحضارها في أحفال الأفراح وغير الأفراح ، ولا تقديمها لضيف غير مسلم ، ولا أن تدخل في أي طعام أو شراب .

(١) رواه الحميدي في «مسنده» . (٢) رواه أحمد ، ومعناه عند الترمذي .

بقي هنا جانب قد يسأل عنه بعض الناس وهو استعمال الحجر كدواء. وهذا ما أجاب  
الرسول ﷺ عنه ، فقد سأله رجل عن الحجر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : إنما أصنعها للدواء !  
قال ﷺ : « إنه ليس بدواء ولكنه داء »<sup>(١)</sup> .

وقال عليه السلام : « إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ،  
ولا تتداووا بجرام »<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المسكر : « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما  
حرّم عليكم »<sup>(٣)</sup> .

ولاعجب أن يحرم الإسلام التداوي بالحجر وغيرها من المحرمات ؛ فإن تحريم الشيء  
- كما قال الإمام ابن القيم<sup>(٤)</sup> - يقتضي تجنبه والبعد عنه بكل طريق ، وفي اتخاذ دواء  
حض على التّريغيب فيه وملاسته ، وهذا ضد مقصود الشارع .

قال : وأيضاً ، فإن في إباحة التداوي به - ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه -  
ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة ، وبخاصة إذا عرفت النفوس أنه نافع لها ، مزيل لأسقامها ،  
جالب لشفتائها .

وأيضاً فإن في هذا الدواء المحرم من الأدوية ما يزيد على ما يظن فيه من الشفاء .

وقد تنبه ابن القيم رحمه الله إلى جانب نفسيّ هام فقال : أن من شرط الشفاء بالدواء  
تلقية بالقبول ، واعتقاد منفعة ، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء . ومعلوم أن اعتقاد المسلم  
تحريم هذه العين بما يحول بينه وبين اعتقاد منفعتها وبركتها ، وحسن ظنه بها وتلقية لها  
بالقبول ، بل كلما كان العبد أعظم إيماناً كان أكره لها ، وأسوأ اعتقاداً فيها ، وكان طبعه  
أكره شيء لها ، فإذا تناولها في هذه الحال كانت داء لادواء<sup>(٥)</sup> .

ومع هذا فإن للضرورة حكمها في نظر الشريعة ، فلو فرض أن الحمر أو ما خلط بها  
تعينت دواء لمرض يخشى منه على حياة الإنسان بحيث لا يفتني عنها دواء آخر - وما أظن

(١) رواه مسلم واحمد وأبو داود والترمذي . (٢) رواه ابو داود . (٣) رواه البخاري .

(٤) انظر زاد المعاد ج ٣ ص ١١٥ - ١١٦ (٥) المصدر السابق بتصريف .



ذلك يقع - ووصف ذلك طبيب مسلم ماهر في طبه ، غيور على دينه ، فإن قواعد الشريعة القائمة على البسر ، ودفع الحرج ، لا تمتنع من ذلك ، على أن يكون في أضييق الحدود الممكنة (فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) سورة الأنعام : ١٤٥

## المخدرات

( الخمر ما خامر العقل ) كلمة نيرة قالها عمر بن الخطاب من فوق منبر النبي ﷺ ، يحدد بها مفهوم الخمر ، حتى لا تكثر أسئلة السائلين ولا شبهات المشتهين . فكل ما لا يس العقل وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة فهو خمر حرام حرّمها الله ورسوله إلى يوم القيامة .

ومن ذلك تلك المواد التي تعرف باسم « المخدرات » مثل الحشيش والكوكايين والأفيون ونحوها ، بما عرف أثرها عند متعاطيها : أنها تؤثر في حكم العقل على الأشياء والأحداث ، فيرى البعيد قريباً ، والقريب بعيداً ، ويذهل عن الواقع ، ويتخيل ما ليس بواقع ، ويسبح في بحر من الأحلام والأوهام . وهذا ما يسمى إليه متناولوها حتى ينسوا أنفسهم ودينهم ودينامهم وييسموا في أودية الخيال .

وهذا غير ما تحدثه من فتور في الجسد ، وخدر في الأعصاب ، وهبوط في الصحة ، وفوق ذلك ما تحدثه من خور النفس ، وتميع الخلق ، وتحلل الإرادة ، وضعف الشعور بالواجب ، مما يجعل هؤلاء المدمنين لتلك السموم أعضاء غير صالحة في جسم المجتمع . فضلاً عما وراء ذلك كله من إتلاف للمال ، وخراب للبيوت ، بما ينفق على تلك المواد من أموال طائلة ، ربما دفعها المدمن من قوت أولاده ، وربما انحرف إلى طريق غير شريف يجلب منه ثمنها .

وإذا ذكرنا أن التحريم يتبع الحبث والضرر - تبين لنا أن حرمة هذه الحباث التي ثبت ضررها الصحي والنفسي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي بما لا شك فيه . وعلى هذه الحرمة أجمع فقهاء الإسلام الذين ظهرت في أزمئتهم هذه الحباث . وفي طبيعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال : هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها أم

لم يسكر... وإنما يتناولها الفجار لما فيها من النشوة والطرب ، فهي تجماع الشراب المسكر في ذلك ، والخمر توجب الحركة والحصومة ، وهذه توجب الفتور والذلة ، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل ، وفتح باب الشهوة ، وما توجب من الديانة ( فقدان الغيرة ) مما هو شر من الشراب المسكر . وإنما حدثت في الناس مجذوث التتار . وعلى تناول القليل والكثير منها حد الشرب - ثمانون سوطاً أو أربعون .

ومن ظهر منه أكل الحشيشة فهو بمنزلة من ظهر منه شرب الخمر وشر منه من بعض الوجوه ، ويعاقب على ذلك كما يعاقب هذا . قال : وقاعدة الشريعة أن ما تشبهه النفوس من المحرمات كالخمر والزنا ففيه الحد ، وما لا تشبهه - كاللينة - ففيه التعزير ؛ والحشيشة مما يشبهها آكلوها ، ويمتنعون عن تركها ، ونصوص التحريم في الكتاب والسنة على من يتناولها كما يتناول غير ذلك « (١)

### كل ما يضر فأكله أو شربه حرام :

وهنا قاعدة عامة مقررة في شريعة الإسلام ، وهي أنه لا يحل للمسلم أن يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئاً يقتله بسرعة أو ببطء - كالمسمم بأنواعه - أو يضره ويؤذيه ، ولا أن يكثر من طعام أو شراب يمرض الإكثار منه ، فإن المسلم ليس ملك نفسه، وإنما هو ملك دينه وأمته. وحياته وصحته وماله، ونعم الله كلها عليه ودبعة عنده ، ولا يحل له التفریط فيها . قال تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) سورة النساء: ٢٩ وقال : ( وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ) سورة البقرة: ١٩٥ وقال الرسول ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » (٢) .

ووفقاً لهذا المبدأ نقول : إن تناول التبغ (الدخان) مادام قد ثبت أنه يضر بمتناوله فهو حرام . وخاصة إذا قرر ذلك طبيب مختص بالنسبة لشخص معين . ولو لم يثبت ضرره الصحي لكان إضاعة للمال فيما لا ينفع في الدين أو الدنيا وقد « نهى النبي - ﷺ - عن إضاعة المال » (٣) . ويتأكد النهي إذا كان محتاجاً إلى ما ينفقه فيه من مال لنفسه أو عياله .

(١) فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ٢٦٢ وما بعدها ، وراجع «السياسة الشرعية» له أيضاً .

(٢) أحمد وابن ماجه .

(٣) البخاري .

## في اللبس والزينة

أباح الإسلام للمسلم ، بل طلب إليه أن يكون حسن الهيئة ، كريم المظهر ، جميل الهندام متمتعاً بما خلق الله من زينة وثياب ورباش .

والغرض من اللبس في نظر الإسلام أمران : ستر العورة ، والزينة . ولهذا امتن الله على بني الإنسان عامة بما هيا لهم بتدبيره من لباس ورباش فقال تعالى ( يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ) سورة الأعراف : ٢٦

فمن فرط في أحد هذين الأمرين : الستر أو التزيين ، فقد انحرف عن صراط الإسلام إلى سبل الشيطان . وهذا سر النداءين اللذين وجههما الله إلى بني آدم - بعد النداء السابق بجدّرم فيها من العري ، وترك الزينة ، اتباعاً لحطوات الشيطان . قال تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ) سورة الأعراف : ٢٧ . وقال سبحانه : ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ) سورة الأعراف : ٣١ .

وقد أوجب الإسلام على المسلم أن يستر عورته التي يستحي الإنسان المتمدين بفطرتها من كشفها ، حتى يتميز عن الحيوان العاري . بل دعاه إلى هذا التستر وإن كان منفرداً بعيداً عن الناس ، حتى يصير الاحتشام له ديدناً وخلقاً .

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ؛ عوراتنا ما نأفي منها وما نذر؟ فقال : احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يميناك . قلت : يا رسول الله ؛ فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ ( أي في السفر ونحوه ) قال : « فإن استطعت أن لا يراها أحد فلا يربنها » . فقلت : فإذا كان أحدنا خالياً ( أي منفرداً ) ؟ قال : « فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحي منه »<sup>(١)</sup> .

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقي .

### دين النظافة :

وقبل أن يعنى الإسلام بالزينة وحسن الهيئة وجّه عناية أكبر الى النظافة ، فإنها الأساس لكل زينة حسنة ، وكل مظهر جميل .

قال رسول الله ﷺ : « تتظفوا فإن الإسلام نظيف »<sup>(١)</sup> .

وقال : « النظافة تدعو الى الايمان ، والايمان مع صاحبه في الجنة »<sup>(٢)</sup> .

وحدث عليه السلام على نظافة الثياب ، ونظافة الأبدان ، ونظافة البيوت ، ونظافة الطرق ، وعني خاصة بنظافة الأسنان ، ونظافة الأيدي ، ونظافة الرأس .

وليس هذا عجيباً في دين جعل الطهارة مفتاحاً لأولى عباداته وهي الصلاة ؛ فلاتقبل صلاة من مسلم حتى يكون بدنه نظيفاً ، وثوبه نظيفاً ، والمكان الذي يصلي فيه نظيفاً ، وذلك غير النظافة المفروضة على الجسد كله ، أو على الأجزاء المتعرضة للأتربة منه ، المعروفة في الإسلام بالغسل والوضوء .

وإذا كانت البيئة العربية بما يكتنفها من بدوارة وصحراء قد تعري أهلها أو الكثيرين منهم باهمال شأن النظافة والتجمل ، فإن النبي عليه السلام ظل يتعهدهم بتوجيهاته اليقظة ، ونصائحه الواعية ، حتى ارتقى بهم من البدوارة الى الحضارة ، ومن البذاذة المزرية الى التجمل المعتدل . جاء رجل الى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه الرسول - كأنه يأمره بإصلاح شعره - ففعل ، ثم رجع . فقال النبي ﷺ : « ألبس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ! »<sup>(٣)</sup> .

ورأى النبي ﷺ رجلاً رأسه أشعث ، فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به شعره ؟ »

ورأى آخر عليه ثياب وسخة ، فقال : « أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه ؟ »<sup>(٤)</sup> .

وجاء إليه رجل وعليه ثوب دون . فقال له : « ألك مال ؟ قال : نعم . قال : من أي المال ؟ قال : من كل المال قد أعطاني الله تعالى . قال : فإذا آتاك الله مالاً ، فليز أتر نعمة الله عليك وكرامته »<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن حبان (٢) العليزي . (٣) مالك في «الموطأ» (٤) ابوداود (٥) النسائي .

وأكد الحث على النظافة والتجمل في مواطن الاجتماع مثل الجمعة والعيد فقال :  
« ما على أحدكم - إن وجد سعة - أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته »<sup>(١)</sup>.

### الذهب والحريير الخالص حرام على الرجال :

وإذا كان الإسلام قد أباح الزينة بل طلبها ، واستنكر تحريمها ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ) سورة الأعراف : ٣٢ فإنه حرم على الرجال نوعين من الزينة - على حين أحلها للآثام - .

أولهما : التحلّي بالذهب .

ثانيهما : لبس الحريير الخالص .

فعن عليّ كرم الله وجهه قال : أخذ النبي ﷺ حريراً فجعله في يمينه ، وأخذ ذهباً فجعله في شماله ، ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي »<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا تلبسوا الحريير ، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة »<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ في حلة من الحريير : « إنما هذه لباس من لا خلاق له »<sup>(٤)</sup>.

ورأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه وطرحه ، وقال : « يعبد أحدكم إلى حمرة من نار [ فيجعلها ] في يده » ! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به . قال : لا والله ، لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ<sup>(٥)</sup>.

ومثل الخاتم ما نراه عند المترفين من قلم الذهب ، ساعة الذهب ، ولاعة الذهب ، علبه الذهب للسجاير ، والقلم الذهب ... الخ .

أما التختم بالفضة فقد أباحه عليه السلام للرجال .

---

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان وابن ماجه . وزاد ابن ماجه « حل لآثامهم » . (٣) رواه الشيخان ، وروى من حديث انس نحوه . (٤) الشيخان . (٥) رواه مسلم .

ورخص في لبس الحرير إذا كان حاجة صحية ، فقد أذن عليه الصلاة والسلام بلبسه لعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام رضي الله عنهما ، لحكمة كانت بهما<sup>(١)</sup> .

### حكمة تحريمها على الرجال :

وقد قصد الإسلام بتحريم هذين الأمرين على الرجال هدفاً تربوياً أخلاقياً نبيلاً ؛ فإن الإسلام - وهو دين الجهاد والقوة - يجب أن يصون رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال. والرجل الذي ميزه الله بتركيب عضوي ، غير تركيب المرأة ، لا يليق به أن ينافس الغايات في جر الذبول ، والمباهاة بالحلي والحلل .

ثم هناك هدف اجتماعي وراء هذا التحريم .

فتحريم الذهب والحرير جزء من برنامج الإسلام في حربه للترف بعامه ، فالترف في نظر القرآن قرن للانحلال الذي يندر بهلاك الأمم ، وهو مظهر للظلم الاجتماعي ، حيث تتختم القلة المترفة على حساب أكتوية بائسة . وهو بعد ذلك عدو لكل رسالة حق وخير وإصلاح والقرآن يقول : ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) سورة الإسراء : ١٦ ( وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ) سورة سبأ : ٣٤ وتطبيقاً لروح القرآن حرم النبي عليه السلام كل مظاهر الترف في حياة المسلم ، فكما حرم الذهب والحرير على الرجال ، حرم على الرجال والنساء جميعاً استعمال أوافي الذهب والفضة - كما سيأتي - .

وبعد هذا وذاك ، هناك اعتبار اقتصادي له وزنه كذلك ، فإن الذهب هو الرصيد العالمي للتقد ، فلا ينبغي استعماله في مثل الأواني أو حلي الرجال .  
ولما استثنى النساء من هذا الحكم ، مراعاة لجانب المرأة ومقتضى أنوثتها وما فطرت عليه من حب الزينة ، على ألا يكون ههما من زينتها لغراء الرجال ، وإثارة الشهوات .

(١) البخاري .

وفي الحديث « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية ، وكل عين زانية »<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى محذراً للنساء ( وَلَا يَتَّخِذْنَ مِنْكُمْ بَأْسًا ظَهِيرًا سَبَّحْتَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ) سورة النور : ٣١

وقد حرم الإسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف وما يشع عما تحته من الجسد ، ومثله ما يحدد أجزاء البدن ، وبخاصة مواضع الفتنة منه ، كالثديين والحُصْر والألية ونحوها. وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن من أعمل الناصقاً من النساء « كاسيات عاريات ، مائلات ميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها »<sup>(٢)</sup> وما أصدق هذا الحديث على نساء اليرم بلباس الحضارة الغربية الحديثة ، حضارة المادة والجسد ، والفتنة والإغراء.

### تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة :

وأعلن النبي ﷺ أن من المحظور على المرأة أن تلبس لبسة الرجل ، ومن المحظور على الرجل أن يلبس لبسة المرأة<sup>(٣)</sup>. ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال<sup>(٤)</sup>.

إن شر ما تصاب به الحياة ، وتبتلى به الجماعة هو الخروج على الفطرة ، والفسوق عن أمر الطبيعة ، والطبيعة فيها رجل ، وفيها امرأة ، ولكل منهما خصائصه ، فإذا تختل الرجل ، واسترجلت المرأة ، فذلك هو الاضطراب والانحلال .

وقد عدّ النبي ﷺ من لعنوا في الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة على لعنتهم ، رجلاً جعله الله ذكراً فأنت نفسه وتشبه بالنساء ، وامرأة جعلها الله أنثى ، فتذكرت ، وتشبهت بالرجال<sup>(٥)</sup>.

ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ الرجال عن لبس المعصفر من الثياب . روى مسلم في « صحيحه » عن علي قال : « نهاني رسول الله ﷺ عن التخنم بالذهب وعن لباس القسي ( نوع من الحرير ) ... وعن لباس المعصفر » .

(١) النسائي والحاكم ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحها » . (٢) مسلم .

(٣) أحمد وأبو داود والنسائي . (٤) متفق عليه . (٥) الطبراني .

وروى أيضاً عن ابن [عمرو] قال: رأى رسول الله ﷺ [عليّ] [توبين معصفرين فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» .

### ثياب الشهرة والاختيال :

والضابط العام للتمتع بالطيبات كلها من ما كل أو مشرب أو ملبس : ألا يكون في تناولها إسراف ولا اختيال .

والإسراف هو مجاوزة الحد في التمتع بالحلال ، والاختيال أمر يتصل بالنية والقلب . أكثر من اتصاله بالظاهر ، فهو قصد المباهاة والتعاضم والافتخار على الناس ( والله لا يحب كل مختال فخور ) سورة الحديد : ٢٣ .

وقال عليه السلام « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »<sup>(١)</sup> .  
ولكي يتجنب المسلم مظنة الاختيال ، نهى النبي عن ثياب « الشهرة » التي من شأنها أن تثير الفخر والمكثرة والمباهاة بين الناس بالمظاهر الفارغة . وفي الحديث « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة »<sup>(٢)</sup> . وقد سأل رجل ابن عمر : ماذا ألبس من الثياب؟ فقال : ما لا يزيدريك فيه السفهاء - يعني لتفاهته وسوء منظره - ولا يعيبك به الحكماء<sup>(٣)</sup> .  
يعني لتجاوزة حد الاعتدال .

### الغلو في الزينة بتغيير خلق الله :

وقد رفض الإسلام الغلو في الزينة إلى الحد الذي يقضي إلى تغيير خلق الله ، الذي اعتبره القرآن من وحي الشيطان ، الذي قال عن أتباعه ( و لَأْمُرْتَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ) سورة النساء : ١١٩ .

ومن ذلك وشم الأبدان ، ووشر الأسنان ، وقد « لعن الرسول عليه الصلاة والسلام الواشمة والمستوشمة ، والواشرة والمستوشرة »<sup>(٤)</sup> .

أما الوشم ففيه تشويه للوجه واليدين بهذا اللون الأزرق والنقش القبيح ، وقد أفرط

(١) متفق عليه . (٢) أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ورجال إسناده ثقات .

(٣) الطبراني . (٤) مسلم .



بعض العرب فيه - وبخاصة النساء - فنقشوا به معظم البدن. هذا إلى أن بعض أهل الملل كانوا يتخذون منه صوراً لعبوداتهم وشعائهم، كما نرى النصارى يرسمون به الصليب على أيديهم وصدورهم .

أضف إلى هذه المفاصد ما فيه من ألم وعذاب بوخز الإبر في بدن الموشوم .  
وأما وشر الأسنان، أي تحديدها وتقصيرها - ومثله اليوم ما يعرف بجراحات التجميل فقد نهى عنه النبي ﷺ لما فيه من تعذيب للإنسان، وتغيير خلقة الله ، بغير ضرورة تلجئ لمثل هذا العمل؛ إلا أن يكون الإسراف في العناية بالمظهر، والعبادة للصورة لا للحقيقة ، وللجسد لا للروح .

« أما إذا كان في الإنسان عيب شاذ يلفت النظر كالزوائد التي تسبب له ألماً حسيّاً أو نفسانياً كلما حل بمجلس، أو نزل بمكان، فلا بأس أن يعالجه ، مادام يبغى إزالة الخرج الذي يلقاه ، وينقص عليه حياته ؛ فإن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج »<sup>(١)</sup>.



(١) المرأة بين البيت والمجتمع للاستاذ البهي الحولي ص ١٠٥ ط ثانية .

## في البيئتين

المسكن أو البيت هو الذي يكن المرء من عوادي الطبيعة ، ويشعر فيه بالخصوصية والحربة من كثير من قيود المجتمع ، فيستريح فيه الجسد ، وتسكن إليه النفس ، ولذا قال الله تعالى في معرض الامتنان على عباده: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) سورة النحل : ٨٠ .

وكان النبي ﷺ يحب سعة الدار ، وبعد ذلك من عناصر السعادة الدنيوية فيقول : « أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء »<sup>(١)</sup> .

وكان يدعو كثيراً بهذه الدعوات : « اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع لي في داري ، وبارك لي في رزقي » ف قيل له : ما أكثر ما تدعو بهذه الدعوات يا رسول الله ! فقال : وهل تر كن من شيء ؟<sup>(٢)</sup>

كما حث عليه السلام على نظافة البيوت لتكون مظهرأ من مظاهر الإسلام دين النظافة ، وعنواناً يتميز به المسلم عن غيره ، من جعل دينهم القذاراة من وسائل القرابة إلى الله . قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود »<sup>(٣)</sup> والأفنية جمع فناء ، وهو بهو البيت وساحته .

### مظاهر الترف والثنية :

ولا حرج على المسلم أن يجعل بيته بألوان الزهور ، وأنواع النقش والزينة الحلال ( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ) .

نعم لا حرج على المسلم في أن يعشق الجمال في بيته وفي ثوبه ونعله وكل ما يتصل به .

(١) ابن جبان في « صحيحه » . (٢) انساني وان السني باسناد صحيح . (٣) الترمذي .

وقد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبِير » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ فقال ﷺ : « إن الله جميل يحب الجمال » (١) .

وفي رواية : أن رجلاً جميلاً أتى النبي ﷺ فقال : إني أحب الجمال ، وقد أعطيت منه ما ترى ، حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل : أفمن الكِبِير ذلك يا رسول الله ؟ قال : « لا . ولكن الكِبِير بطن الحق ونمص الناس » .

وبطن الحق : رذة ، ورفض الخضوع له ، ونمص الناس : احتقارهم .

بيد أن الإسلام يكره الغلو في كل شيء والنبي صلوات الله عليه لم يرض للمسلم أن يشتمل بيته على مظاهر الترف والسرف التي نعى عليها القرآن ، أو مظاهر الوثنية التي حاربها دين التوحيد بكل سلاح .

### آنية الذهب والفضة :

من أجل ذلك حرّم الإسلام اتخاذ أواني الذهب والفضة ومفارش الحرير الخالص في البيت المسلم ، وتهدد النبي عليه السلام من ينحرف عن هذا الطريق بالوعيد الشديد . روى مسلم في « صحيحه » عن أم سلمة رضي الله عنها « إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » (٢) .

وروى البخاري عن حذيفة قال : « نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه - وقال : « هو لهم - أي للكفار - في الدنيا ولنا في الآخرة » .

وهذا التحريم للأواني والمفارش ونحوها تحريم على الرجال والنساء جميعاً ، فإن حكمة التشريع هنا هو تطهير البيت نفسه من مواد الترف الممقوت .

---

(١) مسلم . والجر جرة : صوت وفوق الماء في الجوف .

ولأيظن ظان أن في هذا التحريم تضييقاً على المسلم في بيته ، فإن في الحلال الطيب مندوحة وسعة ، وما أجمل أواني القيشاني والزجاج والخزف والنحاس وسائر المعادن الكثيرة ! وما أجمل المفارش والوسائد من القطن والكتان وغيرهما من المواد !

### الاسلام يحرم التماثيل :

وحرم الإسلام في البيت الإسلامي أن يشتمل على التماثيل ، وجعل وجود هذه التماثيل في بيت سبياً في أن تفر عنه الملائكة ، وهم مظهر رحمة الله ورضاه تعالى . قال رسول الله « إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل [أو تصاوير] »<sup>(١)</sup>.

وحرم الإسلام على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل ، وإن كان يعملها لغير مسلمين . قال عليه السلام : « إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور » وفي رواية « الذين يضاھون بخلق الله »<sup>(٢)</sup>.

وأخبر عليه السلام أن « من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس ينفخ فيها أبداً »<sup>(٣)</sup> . ومعنى هذا أنه يطلب إليه أن يجعل فيها حياة حقيقية . وهذا التكليف إنما هو للتعجيز والتقريع .

### الحكمة في تحريم التماثيل :

أ - ومن أسرار هذا التحريم - وليس هو العلة الوحيدة كما يظن بعض الناس - حماية التوحيد ، والبعد عن مشابهة الوثنيين في تصاويرهم وأوثانهم التي يصنعونها بأيديهم ، ثم يقدسونها ويقفون أمامها خاشعين .

إن حساسية الإسلام لصيانة التوحيد من كل شبهة الوثنية قد بلغت أشدها ، والإسلام على حق في هذا الاحتياط وتلك الحساسية ؛ فقد انتهى الأمر بأمم اتخذوا الموثام وصالحهم صوراً يذكرونهم بها ، ثم طال عليهم الأمد ، فقدسوها شيئاً فشيئاً ، حتى اتخذت آلهة تعبد من دون الله : ترجى وتخشى وتلمس من عندها البركات ، كما حدث لقوم ود ، وسواع ، ويعوق ، ونسر .

(١) متفق عليه [واللفظ مسلم] . (٢) متفق عليه . (٣) البخاري وغيره .

ولا عجب في دين كان من قواعد شريعته سد الذرائع إلى الفساد أن يسد كل المنافذ التي يتسرب منها إلى العقول والقلوب شرك جلي أو خفي أو مشابهة للوثنيين وأهل الغلو من الأديان . ولا سيما أنه لا يشرع لجيل أو جيلين ، وإنما يشرع للبشرية كلها في سني بقاها وإلى أن تقوم الساعة . وما يستبعد في بيئته قد يقبل في أخرى ؛ وما يعتبر مستحيلاً في عصر قد يصبح حقيقة واقعة في عصر آخر قريب أو بعيد .

ب - ومن أسرار التحريم بالنسبة للصانع ( المثال ) أن ذلك المصور أو المثال الذي ينحت مثلاً ، يملؤه الغرور ، حتى لكأنما أنشأ خلقاً من عدم ، أو أبدع كائناً جديداً من تراب . وقد حدثوا أن أحدهم نحت مثلاً ، مكث في نحته دهرًا طويلاً ، فلما أكمله وقف أمامه معجباً مبهوراً أمام تقاسيمه وتقاطيعه حتى إنه خاطبه في نشوة من الغرور والفخر :

تكلم .. تكلم !!

وهذا قال الرسول الكريم : « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم »<sup>(١)</sup> . وفي الحديث عن الله تعالى : « ومن ظلم من ذهب يخلق كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة وليخلقوا شعيرة !! »<sup>(٢)</sup> .

ج - ثم إن الذين ينطلقون في هذا الفن إلى مداه لا يقفون عند حد ، فيصوّرون النساء عاريات أو شبه عاريات ، ويصوّرون مظاهر الوثنية وشعائر الأديان الأخرى ، كالصليب والوثن وغير ذلك بما لا يجوز أن يقبله المسلم .

د - وفضلاً عن ذلك ، فقد كانت التماثيل - ولا تزال - من مظاهر أرباب الترف والتنعم ، يملؤون بها قصورهم ، ويزينون بها حجراتهم ، ويتفننون في صنعها من معادن مختلفة . وليس بعيداً على دين يجارب الترف في كل مظاهره وألوانه - من ذهب وفضة وحرير - أن يحرم كذلك التماثيل في بيت المسلم .

(٢) متفق عليه .

(١) متفق عليه .

### نهج الاسلام في تحاميد العظماء :

ولعل قائلاً يقول : أليس من الوفاء أن ترد الأمة بعض الجميل لعظماؤها الذين كتبوا بأعمالهم صفحات مجيدة في تاريخها ، فتقيم لهم تماثيل مادية تذكّر الأجيال اللاحقة بما كان لهم من فضل ، وما بنوه من مجد . فإن ذاكرة الشعوب كثيراً ما تنسى ، واختلاف النهار والليل ينسي ؟

والجواب أن الإسلام يكره الغلوّ في تعظيم الأشخاص - مهما بلغت مرتبتهم - أحياء كانوا أو أمواتا . وقد قال النبي ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، ولكن قولوا : عبد الله ورسوله » (١) .

وأرادوا أن يبقوا إذا رأوه تحية له وتعظيماً لشأنه فنهام عن ذلك وقال « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً » (٢) .

وحذر أمته أن يغلوا في شأنه بعد وفاته فقال : « لا تجعلوا قبوري عيداً » (٣) ودعا ربه فقال : « اللهم لا تجعل قبوري وتناً يُعبد » (٤) .

وجاء أناس إليه ﷺ فقالوا : يا رسول الله ؛ يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : « يا أيها الناس قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان . أنا محمد عبد الله ورسوله . ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل » (٥) .

ودين هذا موقفه من تعظيم البشر لا يرضى أن يقام لبعض الناس أنصاب كأنها الأصنام ، تتفق عليها الألوف ، ليشير الناس اليهم بالتعظيم والتبجيل .

وما أكثر ما يدخل أدياء العظمة ، والمزورون على التاريخ من هذا الباب المفتوح لكل من يقدر أو يقدر أتباعه وأذناؤه على إقامة هذا النصب الزائف . وبذلك يضللون الشعوب عن العظماء الأصلاء .

إن الخلود الحقيقي الذي يتطلع اليه المؤمنون هو الخلود عند الله ، الذي يعلم السر وأخفى

(١) البخاري وغيره . (٢) ابو داود وابن ماجه (٣) ابو داود (٤) مالك في «الموطأ»

(٥) النائي بسند جيد

والذي لا يضل ولا ينسى . وما أكثر العظماء الذين كتبوا في سجل الخلود عنده وهم جنود  
مجهولون عند الخلق . ذلك لأنه تعالى يجب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم  
يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا .

وإن كان لابد من الخلود عند الناس ، فلن يكون ذلك بإقامة تماثيل لمن يراد تخليدهم  
من العظماء . والطريقة الفذة التي يرضاها الإسلام هي تخليدهم في القلوب والأفكار ، وعلى  
الأسنة ، بما قدموا من خير وعمل ، وما تركوا وراءهم من مآثر صالحات ، تكون لهم لسان  
صدق في الآخرين .

وما أخذ رسول الله ﷺ وخلفاؤه وقادة الإسلام ، وأئمة الأعلام ، بصور مادية  
ولا تماثيل حجرية تحتهم . كلا ؛ إنما هي مناقب ومآثر يتناقلها الخلف عن السلف والأبناء  
عن الآباء ، محفورة في الصدور ، مذكورة بالأسنة ، تعطر المجالس والندوات . وتملأ العقول  
والقلوب ، بلا صورة ولا تماثيل (١) .

---

(١) أنقل في توضيح هذا المعنى كلمة نيرة للدكتور محمد المبارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق من  
عاضته التي ألفها بالازهر «نحو وعي إسلامي جديد» قال : «تواجهنا وتدخل حياتنا الاحتاجية طرائق  
وتنظييات وعادات اجتماعية جديدة كثيرة . منها ما لا يتفق مع معتقداتنا الصحيحة . ومبادئنا الخلقية القوية  
من ذلك : الطريقة التي سلكها أهل أوروبا وأمريكا في تخليد أبطالهم في تماثيل تنصب لهم . ولو نظرنا  
في هذا الأمر نظرة المتحرر من ذلة الخضوع لكل ما تلبه حضارة الغرب ، وتأملنا في فلسفة هذه الطريقة  
في التعبير عن تخليد المآثر والمكارم لوجدنا أن العرب بوجه خاص لم يخلدوا من عظماء رجالهم إلا مكارمهم  
وأعمالهم الحميدة الطيبة ، كالوفاء والكرم والشجاعة ، وأن طريقتهم في تخليدهم كانت في ذكر قصص  
بطولاتهم وتناقلها بين الناس جيلا بعد جيل ، أو في نظم الشعر في مدحهم ، والإشادة بهم . وهذه  
الطريقة خلد حاتم بكرمه ، وعنترة بشجاعته ، قبل الإسلام .

ولما جاء الإسلام أكد هذا المعنى ، فجعل أشرف خلق الله وخاتم رسوله بشراً من الناس «قل إنما  
أنا بشر مثلكم يوحى إلي» وجعل قيمة الناس بأعمالهم لا بأجسامهم ، وجعل الرسول قدوة يقتدي به  
البشر . ونسب عن تقديس البشر وتعظيمهم تعظيماً يشبه العبادة ، ويتضمن احتقار النفوس البشرية الأخرى .  
ولذلك نادى الخليفة الأول حين انتقل رسول الله إلى جوار ربه : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد  
مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى : ( وما محمد إلا رسول قد خلت من  
قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ) لقد خلد الإسلام الناس بأعمالهم الصالحة الثابتة =

### الرخصة في لعب الأطفال :

وإذا كان هناك نوع من التماثيل لا يظهر فيه قصد التعظيم ولا الترف ، فالإسلام لا يضيّق به صدرأ . ولا يرى به بأساً .

وذلك كلعب الأولاد الصغار التي تصنع على شكل عرائس أو ققط أو غير ذلك من السباع والحيوانات . وقد قالت أم المؤمنين عائشة : « كنت أعب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكان يأتيني صواحب لي ، فكن ينقمعن (يختمن خوفاً) من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله يسر لجيئهن إلي . فيلعبن معي »<sup>(١)</sup> وفي رواية ، أن النبي ﷺ قال لها يوماً : « ما هذا » ؟ قالت بنتاي . قال : « ما هذا الذي في وسطهن » ؟ قالت : فرس . قال : « ما هذا الذي عليه » ؟ قالت جناحان . قال : « فرس له جناحان » ؟ ! قالت : أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة ؟ ! فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه<sup>(٢)</sup> . والبنات المذكورة في الحديث هي العرائس التي يلعب بها الجوارى والولدان ، وكانت السيدة عائشة حديثة السن في أول زواجها من رسول الله ﷺ . قال الشوكاني : في هذا الحديث دليل على أنه يجوز تمكين الصغار من اللعب بالتماثيل . وقد روي عن مالك أنه كره للرجل أن يشتري لبنته ذلك . وقال القاضي عياض : ان اللعب بالبنات للبنات الصغار رخصة .

---

= وخلق في قلوب المسلمين - خواصهم وعوامهم - رجالات الاسلام ، فصرف صغيرهم وكبيرهم عمر بالعدل وإيا بكر بالحزم والحكمة ، وعلياً بازهد والشجاعة ، ولم يخرج أحد منهم الى قتال مادي من الحجر ، ينصب لينذكره الناس . فقد خلده أعياله وأخلاقه في قلوبهم .

إن في طريقه التخليد بإقامة التماثيل المادية رجوعاً الى الوراثة ، والمحطاطاً عن المرتبة السامية ؛ سلكها الرومان واليونان والاوربيون من بعدهم ؛ لانهم جميعاً وثنيون في طباعهم ، منعطون عن العرب والمسلمين في مستوى حافهم ، وتقديرهم لقيم الخلقية ، بل لانهم لمعجزم عن تصور تحقيق البشر للمثل الأعلى بالبطولة ، ألقوا أبطالهم بالآلهة ، وجعلوا الآلهة أبطالا .

والنتيجة التي نخرج اليها أننا لا ينبغي لنا ان نخضع المفهوم الاجنبي في هذا الموضوع وهو أدنى من مفهومنا ، وألا نغير الحكم الاسلامي في حرمة إقامة التماثيل لضررها بالنفس والخلق .»

(١) متفق عليه . (٢) ابو داود .



### التائيل الناقصة والمشوهة :

ورد في الحديث أن جبريل عليه السلام . امتنع عن دخول بيت الرسول ﷺ لوجود تمثال على باب بيته ، ولم يدخل في اليوم التالي حتى قال له : مر برأس التمثال فليقطع حتى يصير كهيئة الشجرة<sup>(١)</sup> .

وقد استدل فريق من العلماء بهذا الحديث ، على أن المحرم من الصور هو ما كان كاملاً ، أما ما فقد عضواً لا يمكنه الحياة بدونه ، فهو مباح .

ولكن النظر الصحيح الصادق فيما طلبه جبريل من قطع رأس التمثال حتى يصير كهيئة الشجرة - يدلنا على أن العبرة ليست بتأثير العضو الناقص في حياة الصورة أو موتها بدونه ، وإنما العبرة في تشويهاها بحيث لا يبقى منظرها موحياً بتعظيمها بعد نقص هذا الجزء منها . ولا ريب أننا إذا تأملنا وأنصفنا نحكم بأن التائيل النصفية التي تقام في الميادين ، تخليداً لبعض الملوك والعظماء ، أشد في الحرمة من التائيل الصغيرة الكاملة التي تتخذ للزينة في البيوت .

### صور اللوحات والنقوش :

هذا هو موقف الاسلام من التائيل - أعني الصور المجسمة - أما الصور التي ترسم أو تنقش ولا ظل لها ولا جرم ، فنوضح حكمها بهذه الأحاديث :

روى مسلم في « صحيحه » عن بسر بن سعيد ، عن زيد بن خالد ، عن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة » . قال بسر : ثم اشتكى زيد بعد ، فعدناه ، فإذا على بابه ستر فيه صورة قال : فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ ( وكان معه ) : ألم يجبرنا زيد عن الصور يوم الاول؟! فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال : إلا رقما في ثوب؟ » .

وروى الترمذي بسنده عن عتبة أنه دخل على أبي طلحة لأنصاري يعودوه فوجد عنده سهل بن حنيف ( صحابياً آخر ) قال : فدعا أبو طلحة إنساناً ينزع نطأ تحته ( النمط : ثوب

(١) ابو داود والنسائي والترمذي وابن حبان وسيأتي بهامه في « اقتناء الكلاب »

أو بساط فيه نقوش وصور) فقال له سهل: لم تنزعه؟ قال: لأن فيه تصاوير، وقال فيه النبي ﷺ ما قد علمت. قال سهل: أولم يقل: «الاما كان رقماً في ثوب؟» فقال أبو طلحة: بلى، ولكنه أطيب لنفسى» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ألا يدل هذان الحديثان على أن الصور المحرمة إنما هي المجسمة التي نطلق عليها «التماثيل»؟

أما الصور التي ترسم في لوحات، أو تنقش على الثياب والبسط والجدران ونحوها، فليس هناك نص صحيح صريح سليم من المعارضة يدل على حرمتها. نعم هناك أحاديث صحيحة أظهر فيها النبي ﷺ كراهيته فقط لهذا النوع من التصاوير؛ لما فيه من مشابهة المترفين، وعشاق المتاع الأدنى.

روى مسلم عن زيد بن خالد الجهني عن أبي طلحة الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل» قال: فأثبت عائشة فقلت: إن هذا يخبرني أن النبي ﷺ قال: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل، فهل سمعت رسول الله ﷺ ذكر ذلك؟ فقالت: لا... ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل: رأيتته خرج في غزاته، فأخذت نطاً، فسترته على الباب، فلما قدم، فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه، فجدبه، (النمط) حتى هتكه أو قطعه وقال: «إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين!!» قالت: ففقطعنا منه وسادتين وحشونتها ليفاً، فلم يعب ذلك عليّ».

ولا يؤخذ من الحديث أكثر من الكراهة التزييمية لكسوة الحيطان ونحوها بالستائر ذات التصاوير. قال النووي: وليس في الحديث ما يقتضي التحريم؛ لأن حقيقة اللفظ: أن الله لم يأمرنا بذلك. وهذا يقتضي أنه ليس بواجب ولا مندوب، ولا يقتضي التحريم. ومثل هذا مارواه مسلم أيضاً عن عائشة، قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال لي رسول الله ﷺ: (حوالي هذا - فإني كلما دخلت فرأيتته ذكرت الدنيا».

فلم يأمرها عليه السلام بقطعه ، وإنما أمرها بتحويله من مكانه في مواجهة الداخل إلى البيت ، وذلك كراهية منه عليه السلام أن يرى في مواجهته هذه الأشياء التي تذكر عادة بالدنيا وزخارفها . ولا سيما أنه عليه السلام كان يصلي السنن والنوافل كلها في البيت ، ومثل هذه الأنماط والأستار ذات التصاوير والتماثيل من شأنها أن تشغل القلب عن التزام الحشوع والإقبال الكامل على مناجاة الله سبحانه . وقد روى البخاري عن أنس قال : كان قرام (ستر) لعائشة سترت به جانب بيتها ، فقال لها النبي ﷺ : « أميطيه عني ، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي » .

وبهذا يتبين أن رسول الله ﷺ أقرّ في بيته وجود ستر فيه تماثل طائر ، ووجود قرام فيه تصاوير .

ومن أجل هذه الأحاديث وأمثالها قال بعض السلف : لما ينهى عما كان له ظل (أي المجسم) ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل (١) .

ولا يعكر على هذا المذهب إلا حديث عائشة - عند الشيخين - أنها اشترت تمرقة (مخدة) فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل ، فعرفت في وجهه الكراهية فقالت : يا رسول الله : أتوب إلى الله وإلى رسوله . ماذا أذنبت؟ فقال : ما بال هذه التمرقة؟ فقالت : اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها ، فقال رسول الله ﷺ : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم » . ثم قال : « إن البيت الذي

(١) ذكره النووي في « شرح مسلم » ورد عليه .

ونقل الشيخ نجيت من الخطابي قوله : « الذي يصور أشكال الحيوان ، والنقاش الذي يندش أشكال الشجر ونحوها ، فإني أرجو أن لا يدخل في هذا الوعيد ، وإن كان جملة هذا الباب مكروها ، وداخلها يشغل القلب بما لا يعني » . وقد علق الشيخ نجيت على هذا بقوله : « وما ذاك إلا لأن مصور شكل الحيوان لا يوجد صورة الحيوان ، بل إنما يرسم شكله وصورته ، والصورة التي على هذا الوجه قد فقدت أعضائه كثيرة لا تعيش بدونها ، بل هي فاقدة للجرم . فليست هي صورة الحيوان التي يكلف مصورها يوم القيامة لنفخ الروح فيها ، وليس بنافع ؛ لأن الظاهر أن الصورة التي يقال فيها ما ذكر هي الصورة المجسمة ذات الظل التي لم تفقد عضواً لا تعيش بدونه ، حتى تكون قابلة بذاتها لنفخ الروح فيها ، فيكون عجز الصور عن النفخ راجعاً إليه ، لا لعدم قابلية الصورة للحياة ... »

فيه الصور لا تدخله الملائكة » وزاد مسلم في رواية عن عائشة قالت : فأخذته فجعلته مرفقتين ، فكان يرتفق بهما في البيت ، تعني أنها شقت النمرقة فجعلتها مرفقتين .  
ولكن يبدو من هذه الأحاديث الواردة في شأن الصور والمصورين أن الرسول ﷺ شدد في أمرها أول الأمر ؛ لقرب عهدهم بالشرك وعبادة الأوثان ، وتقديس الصور والتماثيل ، فلما استقرت عقيدة التوحيد في النفوس ، ورسخت جذورها في القلوب والعقول ، رخص في الصور التي لا جسم لها ، وإنما هي نقوش ورسوم ، وإلا لم يرض وجود ستر أو قرام في بيته فيه صورة أو تمثال . ولم يستثن التصاوير التي ترقم وتنقش في الثياب . ومثل الثياب الورق والجدران وغيرها .

قال الطحاوي من أئمة الحنفية : لما نهى الشارع أولاً عن الصور كلها ، وإن كانت رقماً ؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بعبادة الصور ، فنهى عن ذلك جملة ، ثم لما تقرر نهيه عن ذلك أباح ما كان رقماً في ثوب ، للضرورة إلى اتخاذ الثياب ، وأباح ما يمتن لأنه يأمن على الجاهل تعظيم ما يمتن ، وبقي النهي فيما لا يمتن « (١) .

#### امتنان الصورة يجعلها حلالاً :

هذا وإن قلنا بكرامة هذا النوع من الصور - ولم نقل بإباحته - فإن كل تعبير في الصورة يجعلها أبعد عن التعظيم وأدنى إلى الامتنان ، ينقلها من دائرة الكراهة إلى دائرة الإباحة المطلقة . وقد جاء في الحديث أن جبريل عليه السلام استأذن على النبي ﷺ فقال : ادخل . قال : كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير ؟! فإن كنت لا بد فاعلا ، فاقطع رأسها ، أو اقطعها وسائداً ، أو اجعلها بسطاً « (٢) .

ولهذا حين رأت عائشة في وجه النبي ﷺ الكراهة للنمرقة ذات التصاوير جعلتها مرفقتين لما في ذلك من امتنانها ، والبعد بهما عن أدنى شبهة لتعظيم الصورة .

(١) نقل ذلك الشيخ محبت في « الخواب الثاني » .

(٢) النسائي وابن حبان في « صحيحه » .

### الصور الفوتوغرافية :

وبما لاختفاء فيه أن كل ماورد في التصوير والصور ، إنما يعني الصور التي تحت أو ترسم على حسب ما ذكرنا .

أما الصور الشمسية - التي تؤخذ بآلة الفوتوغرافيا - فهي شيء مستحدث لم يكن في عصر الرسول ، ولأسلف المسلمين . فهل ينطبق عليه ماورد في التصوير والمصورين ؟ أما الذين يقصرون التحريم على التماثيل (المجسمة) فلا يرون شيئاً في هذه الصور ، وخصوصاً إذا لم تكن كاملة .

وأما على رأي الآخرين فهل تقاس هذه الصور الشمسية على تلك التي تبدعها ريشة الرسام؟ أم أن العلة التي نصت عليها بعض الأحاديث في عذاب المصورين - وهي أنهم يضاؤون خلق الله - لا تتحقق هنا في الصور الفوتوغرافية؟ وحيث عدمت العلة عدم المعلول كما يقول الأصوليون ؟

إن الواضح هنا ما أفتى به المغفور له الشيخ محمد بن حنبل<sup>(١)</sup> مفتي مصر أن أخذ الصورة بالفوتوغرافيا - الذي هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة - ليس من التصوير المنهي عنه في شيء ؛ لأن التصوير المنهي عنه هو إيجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل ، يضاوي بها حيواناً خلقه الله تعالى ، وليس هذا المعنى موجوداً في أخذ الصورة بتلك الآلة - سواء قلنا كما هو الراجح : إن التصوير المنهي عنه شامل لإيجاد كل صورة وصنعها لافرق في ذلك بين ذات الظل ، وما ليس لها ظل الخ ماسبق . أو قلنا - كما هو قول آخر - : إن التصوير المنهي عنه خاص بالصور ذوات الظل الكاملة التي لم تفقد عضواً لا تعيش بدونه . وأما تصوير ما لا ظل له ولو كاملاً ، وتصوير ما له جرم وظل ولكن فقد عضواً لا يعيش بدونه ، فلا يعد تصويراً منهيّاً عنه لأن ما لا ظل له داخل في الرّم وهو مستثنى من النهي ، وأن تحريم ما لا ظل له كان في الوقت الذي كلوا فيه حديني عهد بعبادة الأصنام ، ثم لما تقرّر نهيه بعد ذلك استثنى ما كان رقماً كما تقدم .

(١) رسالة «الجواب الثاني في اباحة التصوير الفوتوغرافي» .

هذا وإن كان هناك من يجنح إلى التشدد في الصور كلها ، وكراهيتها بكل أنواعها ؛ حتى الفوتوغرافية منها ، فلاشك أنه يرخص فيما توجبه الضرورة أو تقتضيه الحاجة والمصلحة منها ، كصور البطاقات الشخصية ، وجوازات السفر ، وصور المشبهين ، والصور التي تتخذ وسيلة للإيضاح ونحوها ، بما لا يتحقق فيه شبهة القصد إلى التعظيم أو الخوف على العقيدة . فإن الضرورة إلى اتخاذ هذه الصور أشد وأهم من الضرورة إلى اتخاذ «النقش» في الثياب الذي استنناه النبي ﷺ .

### موضوع الصورة :

هذا ، ومن المقرر أن لموضوع الصورة أثراً في الحكم بالحرمة أو غيرها . ولا يخالف مسلم في تحريم الصورة إذا كان موضوعها مخالفاً لعقائد الإسلام ، أو شرائعه وآدابه : فتصوير النساء عاريات ، أو شبه عاريات ، ولبراز مواضع الأنوثة والفتنة منهن ، ورسمهن أو تصويرهن في أوضاع مثيرة للشهوات ، موقظة للغرائز الدنيا ، كما نرى ذلك واضحاً في بعض المجلات والصحف ، ودور السينما - كل ذلك مما لاشك في حرمة وحرمة تصويره ، وحرمة نشره على الناس ، وحرمة اقتنائه واتخاذها في البيوت وتعليقه على الجدران ، وحرمة القصد إلى رؤيته ومشاهدته .

ومثل هذا الصور التي تعبر عن الوثنية أو شعائر بعض الأديان التي لا يرضها الإسلام كالأجنام والصلبان ، وما شابهها . ولعل كثيراً من البسط والستور والنفارق التي كانت في عصر النبي ﷺ كانت مشتملة على هذا النوع من التصاوير والنماذج . وقد روى البخاري أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليف إلا نقضه . والتصاليف صور الصليب .

وروى ابن عباس أن الرسول ﷺ في عام الفتح لما رأى الصور التي في البيت الحرام لم يدخل حتى أمر بها فمحييت . ولاشك أنها كانت صوراً تعبر عن وثنية مشركي مكة ، وضلالهم القديم

وعن علي بن أبي طالب قال : كان رسول الله ﷺ في جنازة فقال : أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا قبراً إلا سواه ، ولا صورة إلا لطخها؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله. قال فهاب أهل المدينة .. وانطلق الرجل ثم رجع فقال : يا رسول الله ! لم أدع بها وثناً إلا كسرته ، ولا قبراً إلا سويتة ، ولا صورة إلا لطختها . ثم قال رسول الله ﷺ : « من عاد إلى صنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » (١) .

فماذا عسى أن تكون هذه الصور التي أمر الرسول بتلطixها وطمسها إلا أن تكون مظهراً من مظاهر الوثنية الجاهلية ، التي حرص الرسول على تنظيف المدينة من آثارها . ولهذا جعل العودة إلى شيء منها كفراً بما أنزل الله !!

#### اقتناء الكلاب لغير حاجة :

ومما نهى النبي ﷺ عنه اقتناء الكلاب في البيوت لغير حاجة وقد رأينا بعض هؤلاء المترفين ، ينفقون على الكلاب ، ويبخلون على بني الإنسان ، ورأينا منهم من لا يكتفي بإنفاق ماله على تدليل كلبه ، بل يفرغ عاطفته فيه ، على حين يحقو قريبه ، وينسى جاره وأخاه .

كما أن في وجود الكلاب بيت المسلم مظنة لنجاسة الأواني ونحوها مما يبلغ فيه الكلب . وقد قال النبي ﷺ : « إذا ولغ الكلب في إفاة أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب » (٢) .

وقال بعض العلماء في حكمة المنع من اقتناء الكلب : إنه ينبغ الضيف ، وروع السائل ، ويؤذي المارة .

---

(١) رواه أحمد . وقال المنذري : إسناده جيد إن شاء الله . وروى مسلم عن حيان بن حصين قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن لا تدع سورة الا طمسها ولا قبراً مشرفاً الا سويتة .  
(٢) البخاري .

عن النبي ﷺ قال : «أتاني جبريل عليه السلام فقال لي : أتيتك البارحة ، فلم يمنعني أن أكون دخلت ، إلا أنه كان على الباب تماثيل ، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب ، فتمر برأس التمثال الذي في البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة ومر بالستر فليقطع فيجعل منه وصادقان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج » (١).

وهذا المنع إنما هو للكلاب التي تقتنى لغير حاجة ولا منفعة .

### كلاب الصيد والحراسة مباحة :

أما الكلاب التي تقتنى لحاجة ، ككلاب الصيد ، أو كلاب الحراسة للزرع أو الماشية أو نحوها ، فهي مستثناة من هذا الحكم . وفي الحديث المتفق عليه قال الرسول ﷺ « من اتخذ كلباً ، إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية ، انتقص من أجره كل يوم قيراط » (٢).

وقد استدل بعض الفقهاء من هذا الحديث على أن المنع من اتخاذ الكلاب إنما هو منع كراهة لا منع تحريم ؛ لأن الحرام يمتنع اتخاذُه على كل حال ، سواء نقص الأجر أم لا . والنهي عن اقتناء الكلاب في البيوت ليس معناه القسوة عليها أو الحكم بإعدامها ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » (٣).

وهو عليه السلام يشير بهذا الحديث إلى هذا المعنى الكبير ، والحقيقة الجليلة التي نبه إليها القرآن الكريم إذ قال : ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتَالِكُمْ ) سورة الأنعام : ٣٨

وقد قص النبي ﷺ على أصحابه قصة الرجل الذي وجد في الصحراء كلباً يلهت يأكل الثرى من العطش ، فذهب إلى البئر ونزع خفه فملأها ماء حتى روي الكلب ، قال النبي : « ﷺ فشكر الله له ، فغفر له » (٤)

(١) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان في « صحيحه » . (٢) رواه الجماعة .

(٣) رواه أبو داود والترمذي . (٤) البخاري .



## رأي العلم الحديث في اقتناء الكلاب :

هذا . وربما وجدنا في ديارنا أفاًساً من عشاق الغرب يزعمون لأنفسهم الرقة الحانية والإنسانية العالية ، والعطف على كل كائن حي ، وينكرون على الإسلام أن يحذر من هذا الحيوان الوديع الأليف الأمين !! فإلى هؤلاء نسوق هذا المقال العلمي القيم ، الذي كتبه عالم ألماني متخصص في مجلة ألمانية<sup>(١)</sup> بيّن فيه بجلاء : الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب أو الاقتراب منها :

« إن ازدياد شغف الناس باقتناء الكلاب في السنوات الأخيرة يضطرننا إلى لفت نظر الرأي العام إلى الأخطار التي تنجم عن ذلك ، خصوصاً أن الحال لم تقتصر على مجرد اقتنائها ، بل قد تعدت ذلك إلى مداعبتها وتقبيلها والسماح لها بلحس أيدي الصغار والكبار ، بل كثيراً ما تترك تعلق فضلات الطعام من الصحون المعدة لحفظ ما كل الإنسان ومشربه . ومع أن في كل ما ذكر من العادات عيوباً ينبوعنها الذوق السليم ولا ترضيها الآداب ، هذا فضلاً عن أنها لا تتفق مع قواعد الصحة والنظافة ، إلا أننا نغض النظر عنها من هذه الوجهة لخروجها عن مجرى الحديث في هذا المقال العالمي ، تاركين تقديرها للتربية الخلقية وتهذيب النفس .

أما من الوجهة الطبية - وهي التي تهتمنا من هذا البحث - فإن الأخطار التي تهدد صحة الإنسان وحياته بسبب اقتناء الكلاب ومداعبتها ليست مما يستهان بها ، فإن كثيراً من الناس قد دفع ثمناً غالياً لطيشه ، إذ كانت الدودة الشريطية بالكلاب سبباً في الأدوية المزمنة المستعصية ، بل كثيراً ما أودت بحياة المصابين بأمراضها .

وهذه الدودة هي عبارة عن إحدى الطفيليات الشريطية الشكل ، وتسمى دودة الكلب الشريطية ، وتظهر في الإنسان على شكل بثرة ، وكذلك في المواشي خصوصاً في الخنازير ، ولكنها لا توجد تامة النمو إلا من الكلاب ، وكذلك في بنات آوى والذئاب ، ويندر وجودها

(١) نقله قلم الترجمة لمجلة نور الإسلام عدد ربيع الثاني من المجلد الثاني نقلاً عن مقال للاستاذ الدكتور جرارد فنتسر من مجلة ( Kosmos ) الألمانية .

في القلط وتختلف عن الديدان الشريطية الأخرى بأنها صغيرة الحجم جداً حتى إنها تكاد لا ترى، ولم يعرف شيء عن حياتها إلا في السنوات الأخيرة... إلى أن قال :  
ولأطوار نشوء دودة الكلب الشريطية خواص فريدة في علم الحيوان فمن البويضة الواحدة تنشأ رؤوس ديدان شريطية عديدة بالقرحات الناتجة عنها، كما أنه يمكن أن يفتح عن البويضات المتشابهة بثرات مختلفة اختلافاً تاماً، هذا إلى أن رؤوس الديدان المتولدة من القروح تتحول إلى ديدان شريطية كاملة التكوين بالغة النمو بمصران الكلاب، ولا ينشأ عنها بالإنسان والحيوان سوى بثرات وقروح جديدة تختلف اختلافاً كلياً عن الدودة الشريطية . ولا تتعدى القرحة في الماشية حجم التفاحة إلا فيما ندر ، ومع ذلك يلاحظ أن وزن الكبدة يزداد ازدياداً بالغاً قد يصل من خمسة إلى عشرة أضعاف وزنه العادي ، وأما في الإنسان فلإنها تصل إلى حجم قبضة اليد أو رأس الطفل الصغير وتمتليء سائلاً أصفر وتزن من ١٠ إلى ٢٠ رطلاً .

وأغلب ما توجد في الإنسان في الكبد وتظهر فيه بأشكال عديدة متباينة إلا أنها كثيراً ما تنتقل إلى الرئة والعضلات والطحال والكلى وإلى تجويف الجمجمة ، ويتغير شكلها وتكوينها تغيراً كبيراً ، حتى إنه كثيراً ما يختلط بتمييزها على الأخصائين إلى عهد قريب .

وعلى كل حال فإن هذه القرحة أينا وجدت خطر أكيد على صحة المصاب بها وحياته ، وبما يزيد الطين بلة أن توصلنا إلى معرفة أطوار تاريخ حياتها ، وطرق نشأتها وتكوينها لم يساعدنا حتى الآن على الاهتمام إلى طرق علاجها ، إلا أنه في بعض الأحيان قد تموت هذه الطفيليات من تلقاء نفسها ، وقد يكون السبب في ذلك هو أن مواد يفرزها الجسم تعمل على إبادة هذه الطفيليات . وقد ثبت أخيراً أن جسم الإنسان يفرز في مثل هذه الأحوال مواد مضادة لفعل هذه الطفيليات لإبادتها وإبطال عمل سموها . ولكن بما يدعو للأسف الشديد أن الحالات التي تموت فيها هذه الطفيليات دون أن تترك أثراً أو تحدث أضراراً نادرة بالنسبة للحالات الأخرى ، وهذا فضلاً عن أن محاربتها بالطرق الكيميائية لم تأت بأية فائدة ، وطالما لا يلتجئ المصاب إلى أسلحة الجراحين لا ينقذه من الوبال أي طريق من طرق العلاج الأخرى .

وهذه الأسباب مجتمعة تضطرنا لاتخاذ جميع الوسائل المستطاعة لمكافحة هذا المرض العضال ووقاية الإنسان من أخطاره الفجائية .

وقد ثبت للأستاذ الدكتور « نولر » من تشريح الجثث بألمانيا أن الإصابات الآدمية بقروح دودة الكلب لا تقل عن (١) في المائة بكثير، وأما أكثر البلدان الأجنبية تلوثة بهذه الدودة فهي المناطق الشمالية بالأراضي الواطئة ودالماسيا وبلاد القرم وأسلنده وجنوب شرق استراليا وفي إقليم فريزلند بهولنده حيث تستخدم الكلاب في الجر ظهرت الإصابة بالدودة الشريطية فيما لا يقل عن (١٢) في المائة من الكلاب كما وجد في أسلنده أن بين كل (٤٣) في المائة من الأهالي شخصاً مصاباً بقروحها ، فإذا ما أضفنا الحسارة التي تصيب غذاء الإنسان من جراء إبعاد هذه المواشي الموبوءة الى الأخطار التي تهدد صحة الإنسان بوجود هذه الدودة الشريطية ، فإنه ما من أحد يتردد في أن إبادتها من أزم الواجبات ، ووقاية للصحة العامة وحرصاً على غذاء الشعب ، خصوصاً أن النواحي التي سلمت حتى الآن مهددة من حين لآخر بأن يسري اليها الوباء .

ولقد يكون أنجع الطرق في مكافحتها هو أن نجتهد في حصر هذه الدودة في الكلاب وحسبها عن الانتشار ، وذلك لعدم استطاعتنا في الواقع منع اقتناء الكلاب بتاتا ... ولا ينبغي إغفال معالجة الكلاب التي يثبت إصابتها بالمعالجة اللازمة في مثل هذه الأحوال بطرد الدودة الكامنة بصرانها، ويستحسن تكرار هذه العملية من حين لآخر لكلاب الرعاة وكلاب الحراسة .

ويمكن للإنسان وقاية لصحته وحرصاً على حياته أن يراعي بذمة زائدة الابتعاد الكلي عن مداعبة الكلاب ، فلا يسمح لها بالاقتراب منه ، كما ينبغي تربية الأطفال على الاحتراس من الاختلاط بالكلاب ، فلا تترك تعلق أيديهم ، ولا يسمح بالإقامة بأماكن نزهة الأطفال ولهومهم ؛ فإنه مما يدعو للأسف الشديد أن نرى عدداً كبيراً من الكلاب خصوصاً في ميادين رياضة الأطفال . هذا الى برازها المبعثر في كل أركانها ؛ كما ينبغي إعداد أوان خاصة لإطعام الكلاب ، فلا تترك تعلق في الصحون التي يستعملها الإنسان ، ولا يسمح لها بدخول

مشاجر المأكولات والأسواق العمومية أو المطاعم . . الى آخره ، وعلى العموم يجب أخذ الحيلة التامة بإبعادها عن كل ماله مساس بما كل الإنسان أو مشربه اهـ .

وبعد : فقد رأيت كيف نهى محمد ﷺ عن مخالطة الكلاب ، وحذر من ولوغها في أواني الطعام والشراب ، وحذر من اقتنائها لغير ضرورة ؟ كيف اتفقت تعاليم محمد العربي الأُمي وأحدث ما وصل اليه العلم المعاصر والطب الحديث ؟ . إننا لا نسمعنا إلا أن تقول ما قاله القرآن : ( وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ) سورة النجم : ٣ و ٤ .



## في الكسب والاحتراف

( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ) سورة الملك : ١٥  
هذا هو مبدأ الإسلام : الأرض قد هيأها الله وسخرها ذلولاً للإنسان ، فينبغي أن ينتفع بهذه النعمة ، ويسعى في جوانبها مبتغياً من فضل الله .

### قعود القادر عن العمل حرام :

ولا يحل للمسلم أن يكسل عن طلب رزقه ، باسم التفرغ للعبادة ، أو التوكل على الله ، فإن السماء لا تنطر ذهباً ولا فضة .  
كما لا يحل له أن يعتمد على صدقة يمنحها ، وهو يملك من أسباب القوت ما يسعى به على نفسه ، ويغني به أهله ومن يعول . وفي ذلك يقول نبي الإسلام « لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة ( أي قوة ) سوي »<sup>(١)</sup> ، ومن أشد ما قاومه النبي عليه الصلاة والسلام ، وحرمه على المسلم ، أن يلجأ إلى سؤال الناس ، فيريق ماء وجهه ، ويجتدش مروءته وكرامته من غير ضرورة تلجئه إلى السؤال . قال عليه السلام : « الذي يسأل من غير حاجة كمثل الذي يلتقط البخر »<sup>(٢)</sup> ، وقال : « من سأل الناس ليثري به ماله كان خموساً في وجهه يوم القيامة ، ورضفا يأكله من جهنم ، فمن شاء فليقل ، ومن شاء فليكثر »<sup>(٣)</sup> ، والرضف هو : الحجارة المحماة .  
وقال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليست في وجهه منزعة لحم »<sup>(٤)</sup> .  
يمثل هذه القوارع الشديدة صان النبي ﷺ للمسلم كرامته ، وعوده التعفف ، والاعتقاد على النفس ، والبعد عن تكفف الناس .

(٢) البيهقي وابن خزيمة في « صحيحه » .

(١) الترمذي .

(٤) متفق عليه .

(٣) الترمذي .

### فتى تباح المسألة :

ولكن الرسول صلوات الله عليه يقدر للضرورة والحاجة قدرها ، فمن اضطر تحت ضغط الحاجة إلى السؤال وطلب المعونة من الحكومة أو الأفراد فلا جناح عليه قال : «لما المسائل كدوح يكدح الرجل بها وجهه ، فمن شاء أبقي على وجهه ، ومن شاء ترك ، إلا أن يسأل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بدءاً» (١) .

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي بشر قبيصة بن الحارث رضي الله عنه قال : تحملت حمالةً فأثبت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال : « أتم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ، ثم قال : يا قبيصة ؛ إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يسكن . ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قيوماً من عيش . ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه : لقد أصابت فلانة فاقة ! فحلت له المسألة حتى يصيب قوماً من عيش... فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً» (٢) .

الحمالة : ما يتحمله المصلح بين فئتين في ماله ليرتفع بينهم القتال ونحوه .

الجائحة : الآفة تصيب الإنسان في ماله .

القيوم : ما يقوم به حال الإنسان من مال وغيره .

الحِجَا : العقل والرأي .

### الكرامة في العمل :

وينبغي النبي ﷺ فكرة احتقار بعض الناس لبعض المهن والأعمال ، ويعلم أصحابه أن الكرامة كل الكرامة في العمل أي عمل ، وأن المهوان والضعفة في الاعتماد على معونة الناس . يقول « لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيأتي بجزمة من الحطب فيبيعها . فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه» (٣) .

(١) رواه ابو داود والنسائي . والكدوح : آثار الحدوش .

(٢) رواه مع مسلم وابو داود والنسائي . (٣) متفق عليه .

فلمسلم أن يكتسب عن طريق الزراعة أو التجارة أو الصناعة أو أي حرفة من الحرف أو وظيفة من الوظائف ، ما دامت لا تقوم على حرام ، أو تعين على حرام ، أو تقتون بحرام .

### الاكتساب عن طريق الزراعة :

في القرآن الكريم يذكر الله تعالى - في معرض التفضل والامتنان على الإنسان - الأصول التي لا بد منها لقيام الزراعة .

فالأرض هيأها الله للأنبات والإنتاج ، فجعلها ذلولاً ، وجعلها بساطاً ، وهي لذلك نعمة للخلق يجب أن يذكرها ويشكروها ( واللهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا . لِيَسْلِكُوا مِنْهَا سُبُلًا فَيَجْتَابُوا ) سورة نوح : ١٩ و ٢٠ ( وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ . فِيهَا قَائِكَةٌ وَالتَّخْلُذَاتُ الْأَكْبَامُ . وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ . فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ) سورة الرحمن ١٠ - ١٣

والماء يسره الله تعالى ، ينزله مطراً أو يجريه أنهاراً ، فيحيي به الأرض بعد موتها : ( وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثبات كل شيءٍ فأخرجنا منه خضراً ثمخرج منه حباً متراكباً ... ) سورة الأنعام : ٩٩ ( قَلِيلٌ نُنظِرُ الْإِنْسَانَ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعَيْنًا وَقَضْبًا ... ) سورة عبس : ٢٤-٢٨

والرياح يرسلها الله مبشرات ، فتسوق السحاب ، وتلقح النباتات ؛ وفي ذلك كله يقول الله تعالى : ( والأرضَ مَدَدًا نَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزَلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَافِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَائِرِينَ ) سورة الحجر : ١٩-٢٢ وفي كل هذه الآيات تنبيه إلهي للإنسان إلى نعمة الزراعة وتبشير وسائلها له . وقال رسول الله ﷺ : « ما مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير ولا إنسان إلا كان له به صدقة » (١)

(١) متفق عليه .

وقال : « ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما اِكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة الى يوم القيامة » (١) .

ومقتضى الحديث أن الثواب مستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولاً منه ، أو منتفعاً به ولو مات غارسه أو زارعه .. ولو انتقل ملكه الى ملك غيره . قال العلماء : في سعة كرم الله أن يثيب على ما بعد الحياة ، كما كان يثيب على ذلك في الحياة ، وذلك في ستة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له : أو غرس ، أو زرع ، أو رباط ( وهو الإقامة على الثغور والحدود لحراستها من الأعداء ) .

وقد روي أن رجلاً مر بأبي الدرداء رضي الله عنه وهو يغرس جوزة ، فقال : أتغرس هذه وأنت شيخ كبير ، وهذه لا تثمر إلا في كذا وكذا عاماً . فقال أبو الدرداء : ما عليّ أن يكون لي أجرها وبأكل منها غيري . وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بأذني هاتين : « من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر ، فإن له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل » (٢) . واستدل بعض العلماء بهذه الأحاديث وأمثالها على أن الزراعة أفضل المكاسب ، وقال آخرون : بل الصناعة وعمل اليد أفضل ، وقال غيرهم : بل التجارة .

وقال بعض المحققين : ينبغي أن يختلف ذلك باختلاف الأحوال ، فحيث احتيج الى الأوقات أكثر تكون الزراعة أفضل ، للتوسعة على الناس . وحيث احتيج الى المتجر لانقطاع الطرق مثلاً تكون التجارة أفضل ، وحيث احتيج الى الصنائع تكون أفضل » (٣) . وهذا التفصيل الأخير يوافق أفضل ما انتهى اليه الاقتصاد الحديث .

### الزراعة المحرمة :

كل نبات حرم الإسلام تناوله ، أو لا يعرف له استعمال إلا في الضرر ، فزراعته حرام كالحشيش ونحوه .

(١) انظر العسطلاني على البخاري .

(٢) مسلم . (٣) احمد .



ومثل ذلك التبغ ( الدخان ) إن قلنا تناوله حرام ، فزراعته حرام ، وإن قلنا  
مكروه فمكروهة .

وليس عذراً للمسلم أن يزرع الشيء المحرم لبيعه لغير المسلمين ، فإن المسلم لا يروج  
الحرام أبداً ، كما لا يحل له أن يربي الخنازير مثلاً لبيعتها للنصارى . وقد رأينا كيف حرم  
الإسلام بيع العنب الحلال لمن يعلم أنه يتخذة خمراً .

### الصناعات والحرف :

رغب الإسلام في الزراعة ونوه بفضلها ، وأشاد بمتوبة أهلها .. ولكنه كره لأمة أن  
تخصر نشاطها وجهدها في الزراعة ، كما تنحصر فوقعة البحر في صدفها ، وأبى الإسلام على  
أبنائه أن يكتفوا بالزرع وحده ويتبعوا أذئاب البقر وكفى . فهذا نقص في كفاية الأمة  
يعرضها للخطر . ولاغرو أن أعلن الرسول ﷺ أن ذلك مصدر شر وبلاء . وذلك يحيق  
بالأمة وهو ما صدقه الزمن أعظم تصديق . قال ﷺ : « إذا تباعتم بالعينه - صورة من  
صور التحايل على أكل الربا - وأخذتم أذئاب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلط  
الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم »<sup>(١)</sup> .

إذن ، فلا بد مع الزراعة من الصناعات والحرف الأخرى ، التي تكتمل بها عناصر  
الحياة الطيبة ، ومقومات الأمة العزيزة الحرة ، والدولة القوية الغنية . وهذه الحرف  
والصناعات ليست عملاً مباحاً في شريعة الإسلام فحسب ، بل هي - كما قرأتموه وعلماءوه -  
فرض كفاية في دين المسلمين . بمعنى أن الجماعة الإسلامية لا بد أن يتوافر في أهلها من كل  
ذي علم وحرفة وصناعة من يكفي حاجتها ، ويقوم بشأنها . فإذا حدث نقص في جانب  
من جوانب العلم أو الصناعة ، ولم يوجد من يقوم به ، أتمت الجماعة كلها ، وبخاصة أولو  
الأمر ، وأهل الحل والعقد فيها .

قال الإمام الغزالي : « أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا ،

كالطب ؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث ، وغيرهما ، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن يقوم بها خرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى ، وسقط الفرض عن الآخرين ؛ فلا يتعجب من قوتنا ؛ إن الطب والحساب من فروض الكفايات ، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات ، كالفلاحة والحياكة (النسيج) والسياسة ، بل الحجامه والحياطة ؛ فإنه لو خلا البلد من الحجام لسارع الهلاك إليهم بتعريضهم أنفسهم للهلاك ، فإن الذي أنزل الداء ، أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله « (١) » .

وقد أشار القرآن إلى كثير من الصناعات وذكرها على أنها نعمة من فضله ، كقوله عن داود : ( وَأَلْتَمَأْ لَهُ 'الْحَدِيدَ . أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدْرَ فِي السَّرْدِ ) سبأ : ١٠-١١ ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ) الأنبياء : ٨٠ .

وقوله عن سليمان : ( وَأَسْتَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ، وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَنْ يَزْغُ مِنْهُمْ عَنِّ أَمْرًا ثَقِيهاً مِنْ عَذَابِ الْمُعْمِرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَمَقَائِلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ) سبأ : ١٢-١٣ .

وقوله عن ذي القرنين وإقامة سدّه العالِي : ( قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدْقَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا . فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ) سورة الكهف : ٩٥-٩٧ .

وذكر قصة نوح وصنعه للسفينة ، وأشار إلى نوع ضخمة من السفن يجري في البحار كالجبال ( وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ) الشورى : ٣٢ - أي الجبال . وذكر في كثير من سوره صناعة الصيد بكل صورته وأنواعه ، من صيد الأسماك وحيوان البحر ، وصيد الحيوانات البرية ، وصناعة الغوص لاستخراج اللؤلؤ والمرجان ونحوهما .

وفوق ذلك كله نبه القرآن على قيمة الحديد تنبها لم يسبقه به كتاب دين أو دنيا، فبعد أن ذكر تعالى إرساله الرسل لحلقه وإنزاله الكتب عليهم قال : ( وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ) سورة الحديد : ٢٥ ولا عجب أن سميت السورة التي فيها هذه الآية سورة الحديد .

وكل صناعة أو حرفة تسد حاجة في المجتمع أو تجلب له نفعاً حقيقياً فهي عمل صالح إذا نصح فيها وأتقنها كما أمره الإسلام .

وقد مجد الإسلام حرفاً كان الناس ينظرون اليها نظرة فيها كثير من التحقير والازدراء . فعمل كرعي الغنم لا يعبأ الناس بصاحبه في العادة ، ولا ينظرون اليه نظرة إجلال أو تكريم ، ولكنه عليه السلام يقول : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » قالوا : وأنت يا رسول الله؟ قال : « نعم » كنت أرهاها على قرار يربط لأهل مكة <sup>(١)</sup> محمد رسول الله وخاتم النبيين كان يرعى الغنم وأكثر من ذلك أنها لم تكن غنمه بل يرعاها بأجر معين لبعض أهل مكة . ويذكر هذا لأتباعه ليعلمهم أن الفخر للعاملين لا للمترفين والعاطلين .

وقد قص القرآن علينا قصة سيدنا موسى وهو يعمل أجيراً عند شيخ كبير استأجره ثمانين سنين على أن يزوجه إحدى ابنتيه وكان عنده نعم العامل ، ونعم الأجير ، وصدقت فيه فراسة ابنة الشيخ حين ( قالت : أحدهما يا أبت استأجيره ' إن خيرو ممن استأجرت القري الأمين ' ) سورة القصص : ٢٦ وقد روى ابن عباس أن داود كان زراداً ( يصنع الزرد والدروع ) وكان آدم حراثاً ، وكان نوح نجاراً ، وكان إدريس خياطاً ، وكان موسى راعياً <sup>(٢)</sup> .

فليهنأ المسلم بحرفته ، فممن نبي إلا عمل في حرفة . وفي « الصحيح » : ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده <sup>(٣)</sup> .  
**صناعات وحرف يجارها الإسلام :**

غير أن هناك صناعات وحرفاً يحرم الإسلام على أبنائه الاشتغال بها لما فيها من أضرار بالمجتمع في عقيدته أو في أخلاقه أو أعراضه أو مقوماته الأدبية .

(١) البخاري . (٢) الحاكم . (٣) البخاري وغيره .

### البغاء :

فالبغاء مثلا حرفة يبيحها أكثر بلاد الغرب ، وتعطي بها إذنا وترخيصا ، يجعل صاحبه ضمن أصحاب الحرف ، ويعطيها حقوقهم على حين يرفض الإسلام ذلك كل الرفض ، ولا يميز حرة ولا لأمة أن تتكسب بفرجها .

وقد كان بعض أهل الجاهلية يفرضون ضريبة يومية على الأمة ، عليها أن تؤدبها لسيدها ، بأي طريق اكتسبتها ، وكن كثيرا ما يلجأن الى احتواف الزنا لتدفع ما ضرب عليها . وكان بعضهم يكرههن على ذلك ، كرها ، طلبا لعرض دنيوي تافه وكسب قدر رخيص . فلما جاء الإسلام ارتفع بأبناؤه وبناته عن هذا الهوان ونزل قول الله تعالى : ( ولا تكثرهوا قبياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ) سورة النور : ٣٣ وروى ابن عباس أن عبد الله بن أبي - رأس المنافقين - جاء الى رسول الله ومعه جارية من أجل النساء تسمى « معاذة » فقال : يا رسول الله هذه لأيتام فلان ؛ أفلا نأمرها بالزنا فيصييون من منافعها ؟ فقال عليه السلام : لا (١) .

وبذلك منع النبي هذا الاحتواف الدنس ، أيا كان الدافع اليه ، وأهدر كل ما يمكن أن يقال من الحاجة أو الضرورة أو نبل الغاية ، ليبقى المجتمع الإسلامي طاهرا من هذه الحباث الموبقات .

### الرقص والفنون الجنسية :

وكذلك لا يقبل الإسلام احتواف الرقص الجنسي المثير ، ولا أي عمل من الاعمال التي تثير الغريزة كالغناء الخليع ، والتمثيل المالمجن وكل عبث من هذا النوع ، وإن سماه بعض الناس « فنا » وعده قوم « تقديما » الى غير ذلك من العبارات المضللة .

إن الإسلام حرم كل علاقة جنسية تقوم على غير الزواج ، وحرم كل قول أو عمل يفتح نافذة الى علاقة محرمة . وهذا سر نهي القرآن عن الزنا بهذا التعبير المعجز ( ولا تفرّجوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ) سورة الاسراء : ٣٢ فلم يكتف بالنهي عن الزنا بل نهى عن القرب منه .

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٢٣ ص ٢٢٠

وكل ما ذكرناه ، وما يعرفه الناس من مثيرات لما هو قرب من هذه الفاحشة ، بل أغرابها ،  
وتحريض عليها . ألا ساء ما يفعلون .

### صناعة التماثيل والصلبان ونحوها :

وإذا كان الإسلام - كما ذكرنا - يحرم اتخاذ التماثيل ، فإنه يحرم صنعها أكثر  
من اتخاذها .

وقد روى البخاري عن سعيد بن أبي الحسن قال : كنت عند ابن عباس إذ جاءه رجل  
فقال : يا ابن عباس ، إني رجل لما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاویر !  
فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ . سمعته يقول : « من صور  
صورة فلن الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافع فيها أبداً » فربما الرجل ربوة  
شديدة - يعني انتفخ من الغيظ والضيق - فقال ابن عباس : ويحك ، إن أبيت إلا أن  
تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح .

ومثل ذلك صناعة الأصنام أو الصلبان أو ما مثلها .

أما تصوير اللوحات والتصوير الفوتوغرافي فقد قدمنا أن الأقرب إلى روح الشريعة  
فيها هو الإباحة - أو على الأكثر الكراهة - وهذا ما لم يشتمل موضوع الصورة نفسها على  
محرم في الإسلام كإبراز مواضع الفتنة من الأنثى وما إلى ذلك .

### صناعة المسكرات والمخدرات :

وقد علمنا بما تقدم أن الإسلام يحرم كل مشاركة في ترويح الخمر ، صناعة أو توزيعاً ،  
أو تناولاً . وكل من فعل ذلك فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ .

والمخدرات من حشيش وأفيون وغيرهما مثل المسكرات في حرمة تداولها وتوزيعها وصنعها .  
وكذلك يأبى الإسلام على المسلم أن يشتغل بأي صناعة أو حرفة تقوم على عمل شيء  
حرام أو ترويح أمر حرام .

## التجارة :

دعا الإسلام في نصوص قرآنه ، وفي سنة رسوله دعوة قوية الى التجارة ، والعناية بها ، وأغرى بالرحلة والسفر من أجلها ، وسماه «ابتغاء من فضل الله» ، وقرن الله تعالى ذكر الضاربين في الأرض للتجارة بالمجاهدين في سبيل الله قال : ( وَأَخْرُورَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُورَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) المزمّل : ٢٠ .

وفي القرآن يثنى الله تعالى على الناس بتهيئته لهم سبل التجارة الداخلية والخارجية بالمواصلات البحرية التي لا تزال أعظم وسائل النقل للتجارة العالمية ، فيقول تعالى ممتناً بتسخير البحر وإجراء السفن التجارية فيه ( وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) فاطر : ١٢ . ويقرن ذلك أحياناً بإرسال الرياح ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيُنَجِّرِي الْفُلْكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) سورة الروم : ٤٦ . ويكرر القرآن ذلك تذكيراً بالنعمة ، وتنبهياً إلى الانتفاع بها ، حتى إن القرآن يجعل من آيات الله الدالة على وجوده وقدرته وحكمته الفلك ( السَّيِّ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ) سورة البقرة : ١٦٤ . ( وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ) سورة الشورى : ٣٢ .

وقد امتن الله على أهل مكة بما هيأ لهم من أسباب جعلت بلدهم مركزاً تجارياً ممتازاً في جزيرة العرب ( أَوَلَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا مَأْمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ) القصص : ٥٧ . وبهذا تحققت دعوة إبراهيم ( رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ) إبراهيم : ٣٧ .

وامتن الله على قريش إذ يسر لهم رحلتين تجاريتين في كل عام : رحلة إلى اليمن في الشتاء ، ورحلة إلى الشام في الصيف ، يسرون فيها آمنين بفضل سدانهم للبيت ( الكعبة )

فليشكروا هذه النعمة بعبادة الله وحده ، رب البيت وصاحب الفضل عليهم ( لإيلافِ قريشِ إيلافِهِمْ رحلةَ الشتاءِ والصيفِ . فليَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ) سورة قريش .

وقد هيا الإسلام للمسلمين فرصة التبادل التجاري فيما بين أقطارهم وشعوبهم على نطاق عالمي واسع في كل عام ، وذلك في الموسم السنوي الإسلامي العالمي : موسم الحج الى بيت الله الحرام ، حين يأتون ( رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتينَ من كل فجٍّ عميقٍ . ليشهدوا منافعَ لهمْ ويذكروا اسمَ اللَّهِ ) سورة الحج : ١٧ و ٢٨ .

ومن هذه المنافع - ولاشك - التجارة ، وقد روى البخاري أن المسلمين كانوا يتخرجون من التجارة في موسم الحج ، يخشون أن يكون في هذا ما يشوب إخلاص نيتهم ، أو يكدر صفاء عبادتهم ، فنزل القرآن يقول في صراحة وجلالة : ( لئسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ) سورة البقرة : ١٩٨ .

وقد امتدح القرآن رواد مساجد المسيحين لله بالغدو والآصال بأنهم ( رجالٌ لا تلهيهِمْ تجارةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ) سورة النور : ٣٧ فاللؤمنون في نظر القرآن ليسوا أحلاس مساجد ، ولا دراويش تكايا ، ولا رهبان أديرة ، إنما هم رجال أعمال ، وميزتهم أن أعمالهم الدنيوية لا تشغلهم عن واجباتهم الدينية .

هذا بعض ما جاء في القرآن عن التجارة .

أما في السنة ، فقد حث نبي الإسلام على التجارة ، وعني بأمرها ، وإرساء قواعدها بقوله وفعله وتقريره .

ففي أقواله الحكيمة نسمع هذه الأحاديث :

« التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة » (١)

« التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » (٢) .

(١) ابن ماجه ، والحاكم وصححه . (٢) الحاكم والترمذي بإسناد حسن .

ولا نعجب إذا جعل النبي التاجر الصدوق بمنزلة المجاهد ، والشهيد في سبيل الله ؛ فقد أثبتت لنا تجارب الحياة ، أن الجهاد ليس في ميدان القتال وحده ، بل في ميدان الاقتصاد أيضاً .

ولما وعد التجار بهذه المنزلة الرفيعة عند الله . وهذه المثوبة الجزيلة في الآخرة ؛ لأن التجارة في الغالب تعري بالطمع ، واكتساب الربح من أي طريق ، والمسال بلد المال ، والربح يغري بربح أكثر . فمن وقف عند حدود الصدق والأمانة ، فهو مجاهد انتصر في معركة الهوى ، وحق له منزلة المجاهدين .

كما أن من شأن التجارة أن تفرق أهلها في دوامة من الأرقام ، وحساب رأس المال والأرباح ، حتى إننا نجد في عهد الرسول قافلة تحضر بتجارة والنبي يخطب ، فما إن سمع القوم بها حتى شعلوا عنه وانصرفوا إليها ، فنزل قوله تعالى يعاتبهم ( وإذا رأوا تجارة أو لهواً انقضوا إليها وتركوا قائماً ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازيين ) سورة الجمعة : ١١

فمن استطاع أن يبقى في هذه الدوامة قوي اليقين ، عامر القلب بخشية الله ، رطب اللسان بذكر الله ، كان جديراً أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء . وبكفيينا من فعله عليه السلام في شأن التجارة أنه كما عني بالجانب الروحي فأقام مسجده بالمدينة على تقوى من الله ورضوان ، ليكون جامعاً للعبادة ، وجامعة للعلم ، وداراً للدعوة ، ومركزاً للدولة ... عني بالجانب الاقتصادي فأقام سوقاً إسلامية صرفاً ، لا سلطان لليهود عليها ، كما كانت سوق بني قينقاع من قبل . وقد رتب النبي بنفسه أوضاعها ، وظل يربها بتعاليمه وتوجيهاته ، فلا غش ، ولا تطفيف ، ولا احتكار ، ولا تناجش . إلى غير ذلك مما سند كره عند حديثنا عن « المعاملات » في فصل « الحلال والحرام في الحياة العامة للمسلم » .

وفي سير أصحاب رسول الله نجد منهم التجار البارعين كما نجد الصناع والزراع وسائر أهل الحرف والأعمال .

فهذا رسول الله بين أظهرهم تنزل عليه آيات الله ، ويناجيهم بكلمة السماء ويغدو عليه الروح الأمين ويروح بوحى الله . وكلهم حب لهذا النبي وإخلاص وتجرد ، يتمنى كل امرئ .



منهم ألا يفارقه طرفه عين . ومع هذا نجد أصحابه كل في عمله : هذا يضرب في الأرض لتجارة . وهذا يعمل في نخيله وزرعه . وذلك يسعى في حرفته وصنعته ، ومن فاته من تعليم الرسول شيء سأل عنه إخوانه ما استطاع . وقد أمروا أن يبلغ الشاهد الغائب .  
فالأنصار في الغالب كانوا أهل زرع ونخيل ، والمهاجرون في الغالب كانوا أهل تجارة وصفق في الأسواق .

وهذا عبد الرحمن بن عوف المهاجر يعرض عليه أخوه في الله سعد بن الربيع الأنصاري أن يشاطره ماله وداريه ، ويختار إحدى زوجتيه فيطلقها له فيلقى هذا الإيثار النبيل بعفاف نبيل آخر . ويقول لسعد : بارك الله لك في مالك وأهلك ، لاحاجة لي في ذلك ، هل من سوق فيه تجارة؟ قال سعد : نعم سوق بني قينقاع . ففدا إليه عبد الرحمن بأقط - جبن - وسمن وباع واشترى . ثم تابع الغدو إلى السوق حتى صار من أكبر أثرياء المسلمين ، ومات عن ثروة ضخمة .

وهذا أبو بكر الصديق ظل يتاجر ويسعى ، حتى يوم بايعه المسلمون خليفة ، كان يريد أن يذهب إلى السوق .

وهذا عمر قال عن نفسه : ألماني الصفق بالأسواق عن سماع أحاديث النبي ﷺ .  
وهذا عثمان ... وهؤلاء كثيرون .

### موقف الكنيسة من التجارة :

وهكذا سار المجتمع الإسلامي مقبلاً على دنياه في ظل دينه ، يتاجر ويبيع ، ولكن لاتلبيه تجارة ولابيع عن ذكر الله . على حين كانت الجماهير في القرون الوسطى بمعظم الممالك والدول الأوروبية المسيحية يترددون في مقابلة غامضة بين فكرة التخليص أو الخلاص ، أي : خلاص النفس من الخطيئة التي تنغمس فيها إن هي عارضت آراء « الأكليروس » ونشطت إلى الحرف والتجارة هذا من ناحية - وبين المجازفة بالتردي في اللعنة التي تحمل بالناس إذا هم جرؤوا على مجابهة تعاليم الآباء من رجال الدين ، واستغلوا بالحرف والصناعات وبالتجارة ،

ولم تكن الخطيئة مجرد سيئة لايجزى مقترفها الا بقدر ما اقترف من ذنب ، ولكنها كانت - كما قيل آتئذ للناس - خطيئة أبدية ولعنة مقيمة ، في الأرض وفي السماء ، في الحياة الأولى وفي الحياة الآخرة .

ويقول القديس أوغسطين : « إن ممارسة الأعمال business هي في حقيقتها خطيئة ؛ لأنها تصرف النفس عن الحق ، وهو الله » .

ويقول آخر : إن الشخص الذي يشتري شيئاً ليعود فيبيعه على حالته ، وبغير تعديل يجربه عليه ، فإن هذا الشخص الأخير يدخل في زمرة المشتريين والبائعين المبعدين عن حظيرة المعبود وقدسيته .

وهذه الأقوال لا تخرج عن كونها امتداداً منطقياً لتعاليم القديس بولس الذي قرر بأنه : من حيث إن المسيحي لا ينبغي له أن ينازع أخاه المسيحي نزاعاً قضائياً ، فإنه يتعين ألا تكون بين المسيحيين تجارة ناشطة <sup>(١)</sup> .

### التجارة المحرمة :

أما الإسلام فلم يحرم من التجارة الا ما كان مشتملاً على ظلم أو غش أو استغلال أو ترويح لشيء ينهى عنه الإسلام .

فالتجارة في الخمر أو المخدرات أو الخنزير أو الأصنام أو الثأيل ، أو نحو ذلك مما يحرم الإسلام تناوله أو تداوله أو الانتفاع به تجارة محرمة لا يرضى عنها الإسلام ، وكل كسب يجيء من طريقها إنما هو سحت خبيث . وكل لحم نبت من هذا السحت فالنار أولى به ولا يشفع لمن يتاجر في هذه المحرمات أن يكون صدوقاً أو أميناً ، فإن أساس تجارته نفسه منكر يحاربه الإسلام ولا يقره بحال .

ومن كانت تجارته في الذهب أو الحرير فلا حرج عليه ، اذ هما حلال للأنث ؛ الا أن يتاجر في شيء لا يستعمل الا للرجال .

(١) من محاضرة للدكتور عيسى عبده ابراهيم بعنوان « وضع الرأيا في بناء الاقتصاد القومي » ص ٢٠ وما بعدها بتصرف . وقد نقل هذه الحقائق عن مراجع غربية .

فإذا كانت التجارة في شيء مباح فقد بقي على التاجر أمور يجب أن يحذرها ، حتى لا يبعث يوم القيامة في زمرة الفجار وإن الفجار لفي جحيم .

خرج النبي ﷺ يوماً إلى المصلى ، فرأى الناس يتبايعون فقال : « يا معشر التجار . . » فاستجابوا لرسول الله ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال : « إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من من اتقى الله وبر وصدق » (١) .

وعن واثلة بن الأسقع قال : كان رسول الله يخرج البنا - وكنا تجاراً - وكانت يقول : « يا معشر التجار إياكم والكذب » (٢) .

فليحذر التاجر الكذب ، فإنه آفة التجار . والكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار . ويحذر كثرة الحلف بعامه ، واليمين الكاذبة بخاصة ، فإن النبي ﷺ ذكر « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزيد عليهم ولهم عذاب أليم ؛ أحدهم : المنفق سلعته بالحلف الكاذب » (٣) .

وعن أبي سعيد قال : مر أعرابي بشاة فقلت : تبيعها بثلاثة دراهم؟ فقال : لا والله . ثم باعها . فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « باع آخرته بدنياه » (٤) .

وليحذر الغش فإن الغاش خارج عن أمة الإسلام .

وليحذر من التطفيف في الكيل أو الوزن ( ويل للمطففين ) .

وليحذر من الاحتكار حتى لا يبرأ الله ورسوله منه .

وليحذر من الربا فإن الله يحقه ، وفي الحديث : « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية » (٥) .

( وسنفضل كل ذلك في المعاملات ) .

(١) الترمذي وابن حبان وابن ماجه والحاكم ، وقال الترمذي : حسن صحيح (٢) الطبراني .

(٣) مسلم وغيره . (٤) ابن حبان في « صحيحه » . (٥) أحمد ورجاله رجال الصحيح .

### الاشتغال بالوظائف :

والمسلم أن يكسب رزقه عن طريق الوظيفة ، سواء أكان تابعاً للحكومة أو هيئة أو لشخص ، ما دام قادراً على تحمل تبعات عمله ، وأداء واجباته . ولا يجوز لمسلم أن يرشح نفسه لعمل ليس أهلاً له ، وخاصة إذا كان من مناصب الحكم ، أو القضاء .  
فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ويل للأمرء . ويل للعرفاء ( الرؤساء ) ويل للأمناء ( الحفظة على الأموال ) لِيَتَمَنَّيْنَ أقوام يوم القيامة أن ذوابهم معلقة بالثريا ، يدلون بين السماء والأرض ، وأنهم لم يلوا عملاً »<sup>(١)</sup> .

وعن أبي ذر : قلت : يا رسول الله ! ألا تستعلمني ؟ ( أي في منصب ) قال : فضرب يده على منكبي ، ثم قال : « يا أبا ذر ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها »<sup>(٢)</sup> وقال عليه السلام : « القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار . فأما الذي في الجنة ، فرجل عرف الحق ففضى به ، ورجل عرف الحق فجار فهو في النار . ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار »<sup>(٣)</sup> .

والأولى بالمسلم ألا يحرص على تلك المناصب الكبيرة ، ويسعى وراءها ولو كان لها كفاء فإن من اتخذ المنصب رباً اتخذ المنصب عبداً . ومن وجه كل همه إلى مظاهر الأرض حرم توفيق السماء . .

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا عبد الرحمن ؛ لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت اليها »<sup>(٤)</sup> .  
وعن أنس أنه عليه السلام قال : « من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء وكل إلى نفسه ، ومن أكرهه عليه أنزل الله عليه ملكاً يسدده »<sup>(٥)</sup> .  
وهذا ما لم يعلم من نفسه أنه لا يسد الفراغ غيره ، وإذ لم يقدم نفسه تعطلت المصالح ،

---

(١) ابن حبان في « صحيحه » والحاكم وصحح استاده . (٢) مسلم .  
(٣) أبو داود والترمذي وابن ماجه . (٤) متفق عليه . (٥) أبو داود والترمذي .

واضطرب جبل الامور . وقد قص علينا القرآن قصة يوسف الصديق وفيما أنه قال للملك :  
( اجعلني على خزائن الأرض انني حفيظ عليم ) سورة يوسف : ٥٥  
هذا هو أدب الإسلام في طلب الوظائف السياسية ونحوها .

### الوظائف المحرمة :

وما قلناه من إباحة الاستغفال بالوظيفة إنما هو مقيد بما إذا لم يكن في وظيفته ضرر  
للمسلمين ، فلا يجزى لمسلم أن يعمل خابطاً أو جندياً في جيش يحارب المسلمين ، ولا يجزى له  
أن يعمل في مؤسسة أو مصنع ينتج أسلحة لحرب المسلمين ، ولا يجوز له أن يشتغل موظفاً  
في هيئة تناوىء الإسلام وتحارب أهله .

وكذلك من اشتغل بوظيفة من شأنها الإغاة على ظلم أو حرام فهي حرام كمن يشتغل  
في عمل ربوي أو في محل للخمر ، أو في مرقص ، أو ملهى أو نحو ذلك .

ولا يعفى هؤلاء جميعاً من الإثم أنهم لا يباشرون الحرام ولا يقترفونه ، فقد قدمنا أن من  
مبادئ الإسلام أن الإغاة على الإثم إثم ، ومن أجل ذلك لعن النبي كاتب الربا وشاهده  
كما لعن آكله ، ولعن عاصر الخمر وساقيا كما لعن شاربها .

وكل هذا ما لم يكن هناك ضرورة قاهرة تلجئ المسلم إلى طلب قوته من مثل هذه  
الأعمال ، فإن وجدت فإنها تقدر بقدرها مع كراهيته للعمل ، ودوام بحثه عن غيره حتى  
يسر الله له كسباً حلالاً بعيداً عن أوزار الحرام .

والمسلم بنأى بنفسه دائماً عن مواطن الشبهات التي يرق فيها الدين ويضعف فيها اليقين ،  
مهياً كان فيها من كسب ثمين ، ومال وفير .

قال عليه السلام : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »<sup>(١)</sup> .

وقال : « لا يبلغ عبد درجة المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به حذراً بما به بأس »<sup>(٢)</sup> .

(١) أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » والحاكم . وقال الترمذي : حديث

حسن صحيح .

(٢) الترمذي .

### قاعدة عامة في مسائل الكسب :

والقاعدة العامة في الكسب « أن الإسلام لا يبيح لأبنائه أن يكتسبوا المال كيفما شاؤوا ، وبأي طرق أرادوا . بل هو يفرق لهم بين الطرق المشروعة وغير المشروعة لا كتساب المعاش ، نظراً إلى المصلحة الجماعية ، وهذا التفريق يقوم على المبدأ الكلي القائل بأن جميع الطرق لا كتساب المال التي لا تحصل المنفعة فيها لفرد إلا بخسارة غيره ، غير مشروعة ، وأن الطرق التي يتبادل فيها الأفراد المنفعة فيما بينهم بالتراضي والعدل مشروعة . وهذا المبدأ يبينه قوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ) سورة النساء : ٢٩ و٣٠ . فقد شرطت هذه الآية مشروعية التجارة بأمرين :

الأول : أن تكون هذه التجارة عن تراض بين الفريقين .

والثاني : ألا يكون منفعة فريق قائمة على خسارة الفريق الثاني .

وذلك ما يوضحه (ولا تقتلوا أنفسكم) النساء : ٢٩ من هذه الآية ، وقد فسره المفسرون على معنيين ينطبق كل منهما على هذا المقام . فالمعنى الأول : أن لا يقتل بعضهم بعضاً . والمعنى الثاني أن لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم . فمؤدى هذه الآية على كل حال : أن كل من يضر غيره لمنفعته الشخصية فكأنه يتزف دمه ولا يفتح طريق الهلاك إلا على نفسه في نهاية الأمر . فالسرقة ، والارتشاء ، والقمار ، والغرر ، والحديعة ، والتدليس ، والربا ، وكثير غيرها من طرق الكسب يوجد فيها كل من هذين السببين لعدم المشروعية . وإذا كان يوجد في بعضها شرط التراضي ، فإنه يعوزه الشرط المهم الذي يتضمنه قوله تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ )<sup>(١)</sup> .

(١) ص ١٥٢ من كتاب «أسس الاقتصاد» الاستاذ أبي الاعلى المودودي .

### الفصل الثالث

#### أحكام وإحرام في الزواج وحياء الأسيرة

- في مجال الغريزة
- في تحديد النسل
- في الزواج
- في الطلاق
- في العلاقة بين الزوجين
- بين الوالدين والأولاد

## في مجال الغريزة

خلق الله الإنسان ليستخلفه في الأرض ويستعمره فيها . ولن يتم هذا إلا إذا بقي هذا النوع ، واستمرت حياته على الأرض يزرع ويصنع ويبني ويعمر ، ويؤدي حق الله عليه ، ولكي يتم ذلك ركب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية ، تسوقه بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فرداً ، وبقائه نوعاً .

وكان من هذا غريزة البحث عن الطعام التي بإشباعها يبقى شخصه . والغريزة الجنسية التي بالاستجابة لها يبقى نوعه . وهي غريزة قوية عاتية في الإنسان ، ومن شأنها أن تطلب متنفساً تؤدي فيه دورها ، وتشبع نهبها . وكان لابد للإنسان أن يقف أمامها أحد مواقف ثلاثة :

### موقف الانسان أمام الغريزة الجنسية :

- ١ - فإما أن يطلق لها العنان تسبح أين شاءت وكيف شاءت ، بلا حدود تقفها، ولا روادع تردعها ، من دين أو خلق أو عرف . كما هو الشأن في المذاهب الإباحية التي لا تؤمن بالدين ، ولا بالفضيلة . وفي هذا الموقف انحطاط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان .
- ٢ - وإما أن يصادرها ويكبتها . كما هو الشأن في مذاهب التقشف والحرمان والتشاؤم الكلاسيكية والرهبانية ونحوهما . وفي هذا الموقف وأدب الغريزة ، وتعطيل لعملها ، ومنافاة لحكمة من ركبها في الإنسان وفطره عليها ، ومصادمة لسنة الحياة التي تستخدم هذه الغرائز لتستمر في سيرها .
- ٣ - وإما أن يضع لها حدوداً تنطلق في داخلها ، وضمن إطارها، دون كبت مرذول، ولا انطلاق مجنون . كما هو الشأن في الأديان السماوية ، التي حرمت السفاح ، وشرعت النكاح - الزواج - وخصوصاً الاسلام الذي اعترف بالغريزة ، فيسر سبيلها من الحلال، ونهى عن التبتل واعتزال النساء ، كما حرّم الزنا وملحقته ومقدماته أشد التحريم .



وهذا الموقف هو العدل والوسط .. فلولا شرع الزواج ما أدت الغريزة دورها في استمرار بقاء الإنسان .. ولولا تحريم السفاح وإيجاب اختصاص الرجل بامرأة ما نشأت الأسرة التي تتكوّن في ظلّها العواطف الاجتماعية الراقية من مودةٍ ورحمةٍ وحنانٍ وحبٍ وإيثارٍ، ولولا الأسرة ما نشأ المجتمع ولا أخذ طريقه إلى الرقي والكمال .

### لا تقربوا الزنا :

ولا عجب إذا رأينا الأديان السماوية كلها مجمعة على تحريم الزنا ومحاربه . وآخرها الإسلام الذي شدّد النهي عنه والتحذير مما يؤدي إليه من اختلاط الأنساب ، والجناية على النسل ، وانحلال الأسر ، وتفكك الروابط ، وانتشار الأمراض ( المبرية ) وطغيان الشهوات وانهار الأخلاق ، وصدق الله ( وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ) سورة الإسراء : ٣٢

والإسلام - كما عرفنا - إذا حرّم شيئاً سدّ الطرق الموصلة إليه ، وحرّم كل ما يقضي إليه من وسائل ومقدمات .

فما كان من شأنه أن يستثير الغرائز الهاجعة ، ويفتح منافذ الفتنة على الرجل أو المرأة ، ويغري بالفاحشة أو يقرب منها أو يبسر سبيلها ، فإن الإسلام ينهى عنه ويحرمه سدّاً للذريعة ودرءاً للفسدة .

### انحلاوة بالأجنبية :

ومن هذه الوسائل التي حرّمها الإسلام : خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه . وهي التي لا تكون زوجة له ولا إحدى قريباته التي يحرم عليه زواجها حرمة مؤبدة ، كالأم والأخت والعمة والحالة - كما سنذكر بعد .

وليس هذا فقدانا للثقة بها أو بأحدهما ، ولكنه تحصين لهما من وساوس السوء ، وهو اجس الشر ، التي من شأنها أن تحوّل في صدرهما ، عند التقاء فحولة الرجل بأنوثته المرأة ، ولا ثالث بينهما . وفي هذا قال رسول الله « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون » بامرأة ليس معها ذو محرم منها ؛ فإن ثالثهما الشيطان » (١) .

(١) رواه احمد عن عامر بن ربيعة . وفي « الصحيحين » عن عبد الله بن عباس « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم » .

ويقول الإمام القرطبي - عند تفسير قوله تعالى في شأن نساء النبي ( وإذا سألتهم عنهنّ متاعاً فاسألوهنّ من وراء حجاب ؛ ذلّكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ ) سورة الاحزاب : ٥٣ « فإن ذلك أنقى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية . وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له ، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله ، وأحصن لنفسه ، وأتم لعصمته . »

ويحذر الرسول هنا تحذيراً خاصاً من اختلاء المرأة بأحماها ( أقارب زوجها ) كأخيه وابن عمه ؛ لما يحدث عادة من تساهل في ذلك بين الأقارب ، قد يجير أحياناً إلى عواقب وخيمة . ومثل ذلك أقارب الزوجة من غير محارمها كبن عمها وابن خالها وابن خالتها ، فلا يجوز لأحد منهم الخلوة بها .

قال عليه الصلاة والسلام « ياكم والدخول على النساء . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله : أفرأيت الجمو ؟ - يعني أقارب الزوج - قال : الجمو الموت » (١) .  
يعني أن في هذه الخلوة الخطر والهلاك .

وليس مثار هذا الخطر هو الغريزة البشرية ، وما تجلبه من خواطر وانفعالات فحسب ، بل يضاف لذلك الحوف على كيان الأسرة ومعيشة الزوجين وأسرارهما أن يتناول إليها أسنة الثوارين والفضوليين أو هواة تخريب البيوت . وفي ذلك يقول ابن الأثير : « الجمو الموت » هذه كلمة تقولها العرب ، كما تقول « الأسد الموت » و « السلطان النار » أي لقاؤهما مثل الموت والنار ، يعني أن خلوة اللحم معها أشد من خلوة غيره من الغرباء ؛ لأنه ربما حسن لها أشياء ، وحملها على أمور تثقل على الزوج ، من التماس ما ليس في وسعه ، أو سوء عشرة ، أو غير ذلك . ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع اللحم على باطن حاله ، بدخول بيته .

### النظر الآثم إلى الرجل أو المرأة :

ومن ذلك إدامة النظر بشهوة من الرجل إلى المرأة ، ومن المرأة إلى الرجل . فإن العين مفتاح القلب ، والنظر رسول الفتنة ، وبريد الزنا . وقد يما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر      ومعظم النار من مستصغر الشرر

(١) متفق عليه .

وحديثاً قال آخر :

نظرة فابتسامه فسلام فكلام فموعد فلقاء

لهذا وجهه الله أمره إلى المؤمنين والمؤمنات جميعاً بالغيض من الأبصار ، مقترناً بأمره بحفظ الفروج ( قل للْمُؤْمِنِينَ بَغَضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَغِضْضَنْ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ . ) سورة النور : ٣١ ، ٣٢

وفي هاتين الآيتين عدة توجيهات إلهية منها توجيهان يشترك فيهما الرجال والنساء جميعاً وهما الغض من البصر ، وحفظ الفرج والباقي موجه إلى النساء خاصة .

ويلاحظ أن الآيتين أمرتا بالغيض من البصر لا بغض البصر ، ولم تقل « ويحفظوا من فروجهم » كما قالت ( بغضوا من أبصارهم ) فإن الفرج مأمور بحفظه جملة دون تسامح في شيء منه . أما البصر فقد سمح الله للناس بشيء منه رفعاً للحرَج . ورعاية للمصلحة - كما سنرى .

فالغض من البصر ليس معناه إقفال العين عن النظر ، ولا إطراق الرأس إلى الأرض فليس هذا بمراد ولا مستطاع . كما أن الغض من الصوت في قوله تعالى ( وَانْقَضِ مِنْ صَوْتِكَ ) سورة لقمان : ١٩ ليس معناه إغلاق الشفتين عن الكلام . وإنما معنى الغض من البصر حفظه ، وعدم إرساله طليق العنان يلثم الغاديات والرائحات أو الغادين والرائحين . فإذا نظر إلى الجنس الآخر لم يغفل النظر إلى محاسنه ، ولم يطل الالتفات إليه والتعديق فيه .

ولهذا قال الرسول عليه السلام لعلي بن أبي طالب : « يا علي : لا تتبع النظرة النظرة ؛ فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة » (١) .

وقد جعل النبي عليه السلام النظرات الجائعة الشرهة من أحد الجنسين إلى الآخر ؛ زناً للعين ، فقال : « العينان تزنيان وزناهما النظر » (٢) .

ويطابق هذا ما جاء في الإنجيل عن المسيح عليه السلام : « لقد كانت من قبلكم يقولون : لا تزني وأنا أقول لكم : من نظر بعينه فقد زنى » .

إن هذا النظر المتلذذ الجائع ليس خطراً على خلق العقاف فحسب ، بل هو خطر على استقرار الفكر وطمأنينة القلب الذي يصاب بالشرود والاضطراب .

قال الشاعر :

و كنت إذا أرسلت طرفك رائداً      لقلبك يوماً أتعبتك المناظر  
رأيت الذي لا كفه أنت قادرٌ      عليه ولا عن بعضه أنت صابر

### النظر إلى العورات :

كما نهى النبي ﷺ عن النظر إلى العورات ، ولو كان من رجل إلى رجل ، أو من امرأة إلى امرأة قال : « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد » (٣) . وعورة الرجل التي لا يجوز النظر إليها تتحدد فيما بين السرة والركبة ، كما ورد في الحديث . ويرى بعض الأئمة كابن حزم وبعض المالكية أن الفخذ ليس بعورة .

وعورة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبي عنها هي جميع بدنها ما عدا وجهها وكفها ، أما عورتها بالنسبة لمن كان ذا محرم منها كأبيها وأخيها فهي كعورة الرجل أي ما بين السرة والركبة . وقال بعض العلماء : عورتها للمحرم ما لا يبدو عند المهنة ، فما كان يبدو منها عند

(٢) أحمد وأبو داود والترمذي . (٣) البخاري وغيره .

(٣) مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي . واستدل العلماء بالحديث على عدم جواز اضطلاع الرجل مع

الرجل ، والمرأة مع المرأة في ثوب واحد مع التماس بعض البدن .

عملها في البيت عادة فللأقارب المحارم أن ينظروا إليه وما لا فلا . ولعل هذا الرأي هو الأوفق . وأما عورة المرأة بالنسبة للمرأة فهي كعورة الرجل مع الرجل ، فلها النظر إلى جميع بدنها إلا ما بين السرة والركبة .

### متى يباح النظر :

وبما ذكرنا يتبين أن نظر المرأة إلى ما ليس بعورة من الرجل أي ما فوق السرة ونحت الركبة - مباح ما لم تصعبه شهوة أو تخف منه فتنة وقد أذن الرسول ﷺ لعائشة أن تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون بجراهم في المسجد النبوي ، وظلت تتفرج عليهم حتى سئمت هي فانصرفت<sup>(١)</sup> .

ومثل هذا نظر الرجل إلى ما ليس بعورة من المرأة - أي إلى وجهها وكفيها - فهو مباح ما لم تصعبه شهوة أو تخف منه فتنة .

فعن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر - أختها - دخلت على النبي ﷺ في لباس رقيق يشف عن جسمها فأعرض النبي ﷺ عنها وقال : يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا - وأشار إلى وجهه وكفيه<sup>(٢)</sup> .  
وفي الحديث ضعف ولكن تقوية أحاديث صحاح في إباحة رؤية الوجه والكفين وكشفها .

وقد روي أن النبي ﷺ حين وجد الفضل بن عمه العباس ينظر إلى امرأة أجنبية حسناء ، ويطيل الالتفات إليها ، وكان رديف النبي ﷺ فجعل النبي ﷺ بصرف وجهه إلى الشق الآخر ، وقال : « رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الفتنة »<sup>(٣)</sup> .  
وخلاصة القول : أن النظرة البريئة إلى غير عورة من الرجل أو المرأة حلال ما لم تتخذ صفة التكرار والتحديق الذي يصعبه - غالباً - التلذذ وخوف الفتنة .

(١) منفق عليه . (٢) أبو داود . (٣) أصحاب السنن .

وقد عفا الإسلام عن النظرة الحافظة ، التي تقع من الإنسان فجأة حين يرى ما لا يتباح له رؤيته ، فعن جرير بن عبد الله قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فقال : « اصرف بصرك »<sup>(١)</sup> يعني : لاتعاود النظر مرة ثانية .

### إبداء المرأة للزينة الظاهرة :

هذا ما يتعلق بالغض من الأبصار ، الذي أمرت به الآيتان الرجال والنساء . أما التوجيهات الإلهية للنساء في الآية الثانية فهي قوله تعالى :

١ - ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا )

فالمرأة تحب الزينة بفطرتها ، ولاحرج عليها أن تتزين بما شاءت من أصباغ كالكحل والحضاب ، ومن حلي كالحاتم والسوار والقلادة والقرط ، ومن ثياب حريراً أو غير حرير . ولكن عليها ألا يكون منها من زينتها أن تخطف الأبصار وتجذب قلوب الرجال . فلايجل للمرأة أن تظهر زينتها إلا ما كان من شأنه أن يظهر كزينة الوجه واليدين ، فيجوز كشفه تبعاً لهما ؛ إذ أبيع كشفها للحاجة في المعاملة والأخذ والعطاء ، فأمرت بستر ما لا تؤدي الضرورة إلى كشفه ورخص لمن في كشف ما اعتيد كشفه وأدت الضرورة إلى إظهاره ، إذ كانت شرائع الإسلام حنيفة سهلة سمجة ، ولما كان ظهور الوجه والكفين كالضروي ، لاجرم ، اتفقوا على أنها ليس بعورة ، أما القدم فليس ظهوره بضروري فلاجرم اختلفوا : هل هو من العورة أم لا؟<sup>(٢)</sup> .

ب - ( وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ )

الخمر : جمع خمار وهو غطاء الرأس .

والجيوب : جمع جيب وهو فتحة الصدر من الثوب .

والواجب على المرأة المسلمة أن تغطي رأسها بخمارها ، وأن تستر به - أو بأي شيء آخر - صدرها ونحرها وعنقها حتى لاينكشف شيء من هذه المقاتن لنظرات المتطلعين من الغادين والرائحين .

(١) احمد ومسلم وابو داود والترمذي . (٢) تفسير الفخر الرازي ج ٢٣ ص ٢٠٥-٢٠٦ .

ج - ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ) سورة النساء : الآية  
وهذا التوجيه يتضمن نهي النساء المؤمنات عن كشف الزينة الحفية - كزينة الأذن  
والشعر والعنق والصدر والساق - أمام الرجال الأجانب الذين رخص لها أمامهم في إبداء  
الوجه والكفين ( ما ظهر منها ) .

وقد استثنى من هذا النهي اثنا عشر صنفاً من الناس :

- ١ - بعولتهن : أي أزواجهن ، فللرجل أن يرى من زوجته ما يشاء وكذلك  
المرأة وفي الحديث : « احفظ عورتك إلا من زوجتك » .
- ٢ - أبائهن ، ويدخل فيهم الأجداد من قبل الأب والأم .
- ٣ - آباء أزواجهن . فقد أصبح لهم حكم الآباء بالنسبة إليهن .
- ٤ - أبناءهن ، ومنتهى أبناء ذريتهن من الذكور والإناث .
- ٥ - أبناء أزواجهن ، ضرورة الاختلاط الحاصل ، ولأنها بمنزلة أمهم في البيت .
- ٦ - إخوانهن .. سواء أكانوا أشقاء أو من الأب أو من الأم .
- ٧ - بنو إخوانهن ، لما بين الرجل وعمته من حرمة أبدية .
- ٨ - بنو أخواتهن ، لما بين الرجل وخالته من حرمة أبدية .
- ٩ - نساؤهن : أي النساء المتصلات بهن نسباً أو ديناً . وقيل : جميع النساء ، قال  
الرازي وهذا هو المذهب .
- ١٠ - ما ملكت إيمانهن : أي عبدهن وجوارهن . لأن الإسلام جعلهم كأعضاء  
في الأسرة .
- ١١ - التابعون غير أولي الإربة من الرجال . وهم الأجراء والأتباع الذين لاشهوة  
لهم في النساء لسبب بدني أو عقلي . المهم أن يتوافر هذان الوصفان : التبعية للبيت الذي  
يدخلون على نسائه . وفقدان الشهوة الجنسية .
- ١٢ - الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . وهم الصغار الذين لم يثر في أنفسهم

الشعور الجنسي ، فإذا لوحظ عليهم ظهور هذا الشعور لم يسمح للمرأة أن تبدي أمامهم زينتها الخفية - وإن كانوا دون البلوغ .

د - ( وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) .  
فقد كانت المرأة في الجاهلية حين تمر بالناس تضرب برجلها ليسمع قعقة خلخالها ،  
فنهى القرآن عن ذلك ، لما فيه من إثارة خيال الرجال أصحاب النزعات الشهوانية ، ولدلالته  
على نية سيئة لدى المرأة في لفت انظار الرجال اليها وإلى زينتها .  
ومثل هذا في الحكم ما تستعمله المرأة من ألوان الطيب والعطور ذات الروائح  
الفاخرة لتستثير العواطف ، وتجذب اليها انتباه الرجال ، قال عليه السلام : « المرأة إذا  
استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا »<sup>(١)</sup> قال الراوي : يعني زانية .

### تبرج الجاهلية :

وقد خاطب الله نساء نبيه في القرآن فقال ( وَقُرْنِ فِي بَيْوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ) .

والتبرج : هو تزين المرأة في غير بيتها لتجذب أعين الرجال الغرباء عنها .  
وقد روى المفسرون عن مجاهد في معنى « تبرج الجاهلية » قال : كانت المرأة تخرج  
تمشي بين الرجال .

وقال قتادة : كان لمن مشية تكسر وتغنج .  
وقال مقاتل : التبرج أنها تلقي الحمار على رأسها ولا تشده فيداري فلائدها وقرطها  
وعنقها ، ويبدو ذلك كله منها .

هذه صور من تبرج الجاهلية الذي نهى الله عنه ، وأمر المؤمنات بضرب الحمر على  
الجيوب ، والتأدب في المشي والقول ( فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ  
مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ) سورة الأحزاب : ٣٢

وأمر الله نبيه أن يؤذن في الامة بهذا البلاغ الإلهي العام ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزواجك

(١) ابو داود والترمذي .



وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ  
يَعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ ( الأحزاب : ٥٩ )

والجلابيب: جمع جلباب وهو ثوب واسع كالملاء تستتر به المرأة .  
والمطلوب منها أن ترخي بعضه عليها حتى لا ينكشف شيء مما يجب أن تستره من  
جسدها . حتى يعرف من مظهرها أنها مؤمنة عفيفة فلا يتعرض لها ماجن أو منافق بإيذاء .  
فالواضح من تعليل الآية أن هذا الأمر خوف على النساء من أذى المجان والفساق ليس  
خوفاً منهن ، ولا فقداناً للثقة بهن - كما يدعي البعض - فإن المرأة المتبرجة بزينة وثيابها أو  
المتكسرة في مشيتها أو اللينة في حديثها تغري الرجال بها دائماً ، وتطمع العابثين فيها .  
وهذا مصداق الآية الكريمة ( فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ  
مَرَضٌ ) ( سورة الأحزاب : ٣٢ )

### الشذوذ الجنسي :

بقي أن نعرف فيما يختص بتنظيم الغريزة الجنسية في الإسلام ، أنه كما حرم الزنا وحرم  
الوسائل المفضية إليه . حرم كذلك هذا الشذوذ الجنسي الذي يعرف « بعمل قوم لوط »  
أو « اللواط » .  
فهذا العمل الحبيث انتكاس في الفطرة ، وانغماس في حماة القذارة ، وافساد للرجولة ،  
وجناية على حق الأنوثة .

وانتشار هذه الخبيثة القذرة في جماعة ، يفسد عليهم حياتهم ويجعلهم عبيداً لها ،  
وينسبهم كل خلق وعرف وذوق . وحسبنا في هذا ما ذكره القرآن الكريم عن قوم لوط  
الذين ابتكروا هذه الفاحشة القذرة ، وكانوا يدعون نساءهم الطيبة الحلال ، ليأتوا تلك  
الشهوة الخبيثة الحرام . ولهذا قال لهم نبيهم لوط : ( أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ .  
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ؟ ! بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ )  
الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ . ودمغهم القرآن - على لسان لوط - بالعدوان والجهل والإسراف  
والإفساد والاجرام .

ومن أغرب مواقف هؤلاء القوم التي ظهر فيها اعوجاج فطرتهم ، وفقدان رشدهم ،

وانحطاط أخلاقهم ، وفساد أذواقهم : موقفهم من ضيوف لوط الذين كانوا ملائكة عذاب أرسلهم الله في صورة البشر ابتلاءً لأولئك القوم وتسجيلاً عليهم ذلك الموقف الذي حكاه القرآن ( ولما جاءت رُسُلنا لوطاً سيءَ بهم وَصَاقَ بهم ذُرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ . وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ، وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْمَيْمَنَاتِ قَالَ : يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنِي فِي حَيْضِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ؟ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُشْرِدُنَّ . قَالَ : لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ . قَالُوا : يَا لَوْطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ . . ) هود : ٧٧-٨١ .

وقد اختلف فقهاء الاسلام في عقوبة من ارتكبا هذه الفاحشة : أيجدان حد الزاني؟ أم يقتل الفاعل والمفعول به؟ وبأي وسيلة يقتلان؟ أبالسيف؟ أم إحراقاً بالنار؟ أم الغاء من فوق جدار؟

وهذا التشديد الذي قد يبدو قاسياً لما هو تطهير للمجتمع الاسلامي من هذه الجرائم الفاسدة الضارة التي لا يتولد عنها إلا الهلاك والإعلاك .

### الاستمناء باليد :

وقد يشور دم الغريزة في الشاب فيلجأ إلى يده يستخرج بها المني من جسده ليورسح أعصابه ، ويهدى من ثورة الغريزة ، وهو ما يعرف اليوم باسم «العادة المرية» . وقد حرّمها أكثر العلماء ، واستدل الامام مالك بقوله تعالى : ( والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ) المؤمنون : ٧٥-٧٦ والمستمني بيده قد ابتغى لشهوته شيئاً وراء ذلك . وروي عن الامام أحمد أنه اعتبر المني فضلة من فضلات الجسم ، فجاز إخراجه كالفضد وهذا ما ذهب إليه وأيده ابن حزم .

ويمكن أن نأخذ برأي الامام أحمد في حالات ثوران الغريزة وخشية الوقوع في الحرام كشاب يتعلم أو يعمل غريباً عن وطنه ، وأسباب الإغراء أمامه كثيرة ، ويخشى على نفسه فلاخرج عليه أن يلجأ لهذه الوسيلة يطفىء بها ثوران الغريزة .

## في الزَّوْجِ

### لا رهبانية في الاسلام :

وقف الإسلام دون إرخاء العنان لغريزة الجنس لتنتقل بغير حدود ولا قيود .  
ولذلك حرم الزنا وما يقضي اليه وما يلحق به .  
ولكنه إلى جانب ذلك قاوم النزعة المضادة لذلك . . نزعة مصادرة الغريزة وكنيتها .  
ومن أجل ذلك دعا إلى الزواج ، ونهى عن التبتل والحصاء (١) .  
فلا يحل لمسلم أن يعرض عن الزواج مع القدرة عليه ، بدعوى التبتل لله ، أو  
التفرغ للعبادة والترهب والانقطاع عن الدنيا .

وقد لمح النبي ﷺ في بعض أصحابه شيئاً من النزوع إلى هذه الوجهة الرهبانية ، فأعلن  
أن هذا انحراف عن نهج الإسلام ، وإعراض عن سنته عليه الصلاة والسلام . وبذلك طارد  
تلك الأفكار النصرانية من البيئة الإسلامية . فعن أبي قلابة قال : أراد أناس من أصحاب  
رسول الله ﷺ أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويتزهبوا . فقام رسول الله ﷺ فغلظ  
فيهم المقالة ، ثم قال : « إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد : شددوا على أنفسهم فشدد الله  
عليهم فأولئك بقاياهم في الأديار والصوامع ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به ، وحجوا  
واعتمرُوا واستقيموا يستقم بكم » (٢) قال ونزلت فيهم الآية ( يا أيها الذين آمنوا لانحروا موا  
طيبات ما أحل الله لكم ولا تعثروا إن الله لا يحب المعتدين ) سورة المائدة : ٩٠ .  
وعن مجاهد قال : أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويحجوا  
أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت الآية السابقة والتي بعدها (٣) .

(١) التبتل : الانقطاع عن النساء وعن الدنيا للعبادة . والحصاء : قطع الشهوة بسل الحصيتين .

(٢) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر . (٣) ابن جرير في تفسيره .

وروى البخاري وغيره أن رهطاً من الصحابة ذهبوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون أزواجه عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها - أي : اعتبروها قليلة - ثم قالوا : أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ! فقال أحدهم : أما أنا فأصوم الدهر فلا أفطر ، وقال الثاني : وأنا أقوم الليل فلا أنام . وقال الثالث : وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فلما بلغ ذلك النبي ﷺ بين لهم خطأهم وعوج طريقهم وقال لهم : « لئنا أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له ، ولكني أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وقال سعد بن أبي وقاص : « رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو ذن له لاختصينا »<sup>(١)</sup>.

ووجه عليه السلام نداءه إلى الشباب عامة فقال : « يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج »<sup>(٢)</sup> .  
ومن هنا قال بعض العلماء : إن الزواج فريضة على المسلم لا يحل له تركه ما دام قادراً عليه .

ولا يليق بالمسلم أن يصد عن الزواج خشية ضيق الرزق عليه أو ثقل المسؤولية على عاتقه وعليه أن يحاول ويسعى وينتظر فضل الله ومعونته التي وعد بها المتزوجين يرغبون في العفاف والإحصان قال تعالى : ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ . إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) سورة النور : ٣٢ وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة حق على الله عونهم : الناكح الذي يريد العفاف . والمكاتب الذي يريد الاداء - أي العبد الذي يريد أن يحرر رقبته ببذل مقدار من المال يكتب عليه سيده - والغازي في سبيل الله »<sup>(٣)</sup> .

### النظر إلى الخطوبة :

ويشرع للمسلم إذا عزم على الزواج ، واتجهت نيته حطبة امرأة معينة أن ينظر إليها قبل البدء في خطوات الزواج ، ليقدم عليه على بصيرة وبدقة . ولا يضي في الطريق معصوب العينين ، حتى يكون بمنجاة من الوقوع في الخطأ والتورط فيما يكره .

(١) البخاري . (٢) أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه والحاكم .

هذا إلى أن العين رسول القلب ، وقد يكون التقاء العين بالعين سبيلاً لالتقاء القلوب ،  
وائتلاف الأرواح .

روى مسلم عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج  
امراًة من الأنصار فقال رسول الله ﷺ : « أنظرت إليها ؟ قال : لا . قال : فاذهب فانظر  
إليها ؛ فإن في عين الأنصار شيئاً » .

وروى المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ : « انظر إليها ؛ فإنه أحرى  
أن يؤدم<sup>(١)</sup> بينكما » فأتى أوبيا ، فأخبرهما بقول رسول الله ﷺ فكأنها كرها ذلك .  
فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها فقالت : إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر  
فانظر . قال المغيرة : فنظرت إليها فتزوجتها<sup>(٢)</sup> .

ولم يحدد النبي ﷺ للمغيرة ولا للرجل الآخر المقدار الذي تباح لهما رؤيته من المخطوبة .  
وقال بعض العلماء : هو الوجه والكفان . ولكن الوجه والكفين تجوز رؤيتهما - بدون  
شهوة - في غير الخطبة ، وما دام ظرف الخطبة مستثنى فلا بد أنه يجوز له أن يرى منها أكثر  
 مما يجوز في الظروف المعتادة الأخرى . وقد جاء في الحديث : « إذا خطب أحدكم المرأة  
فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل »<sup>(٣)</sup> .

وقد تطرف بعض العلماء في الترخيص بالقدر الذي يرى . وتطرف آخرون في التشديد  
والتضييق . والخير في التوسط والاعتدال . وقد حده بعض الباحثين بأن للخاطب في عصرنا  
الحالي أن يراها في الملابس التي تظهر بها لأبيها وأخوها ومحارمها بلا حرج ، قال : بل له - في  
نطاق الحديث الشريف - أن يصحبها مع أبيها أو أحد محارمها - وهي بزيا الشرعي -  
إلى ما اعتادت أن تذهب إليه من الزيارات والأماكن المباحة لينظر عقلها وذوقها وملامح  
شخصيتها ، فإنه داخل في مفهوم البعضية التي تضمنها قوله عليه السلام « فقدر أن ينظر منها  
بعض ما يدعوه إلى زواجها »<sup>(٤)</sup> .

(١) تحصل الموافقة واللامعة بينكما . (٢) أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وابن حبان والدارمي

(٣) رواه أبو داود (٤) المرأة بين البيت والمجتمع للاستاذ البيه الحولي ص ٢٤ ط ثانية .

وله أن ينظر إليها بعلمها وعلم أهلها ، كما له أن ينظر إليها دون أن تعلم هي أو يعلم أحد من أهلها مادام ذلك بنية الخطبة . وقد قال جابر بن عبد الله عن امرأته : كنت أتجأ لها تحت شجرة لأراها .

ومن حديث المغيرة الذي ذكرناه نعلم أنه لا يباح للأب المسلم أن يمنع ابنته أن يراها من يريد خطبتها صادقاً ، باسم التقاليد ، فإن الواجب أن تخضع التقاليد للشريعة ، لأن تخضع شريعة الله لتقاليد الناس .

كما لا يحل للأب ولا للخاطب ولا للمخطوبة أن يتوسعوا في هذه الرخصة فيلقوا الجبل على الغارب للفتى والفتاة - باسم الخطبة - يذهبان إلى الملاهي والمنزهات والأسواق بغير حضور أحد من المحارم . كما يفعل اليوم عشاق الحضارة الغربية والتقاليد الغربية . إن التطرف إلى اليمين أو اليسار أمر تأباه طبيعة الإسلام .

#### الخطبة المحرمة :

ولا يحل للمسلم أن يتقدم خطبة امرأة مطلقة أو متوفى عنها زوجها في عدتها ؛ لأن وقت العدة حرم للزوجية السابقة ، فلا يجوز الاعتداء عليه . وله أن يفهم المرأة المتوفى عنها زوجها - وهي في العدة - رغبت في زواجها بالتعريض والتلميح لا بالإظهار والتصريح قال تعالى : ( لاجْتِنَاحَ عَلَيْكُمْ قِيَمًا عَمَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ) .

ويحرم عليه أن يخاطب على خطبة أخيه ، إذا كان قد وصل إلى اتفاق مع الطرف الآخر . ذلك أن الخاطب قبله قد اكتسب حقاً يجب أن يسان ، رعاية للعلاقة وحسن المودة بين الناس وبعداً بالمسلم عن سلوك ينافي المروءة ، وبشبه الاختطاف والعدوان . فإذا صرف الخاطب الأول نظره عن الخطبة . أو أذن بنفسه للخاطب الثاني فلا حرج حينئذ عليه .

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخاطب على خطبة أخيه « وروى البخاري عنه أنه قال : « لا يخاطب الرجل على خطبة الرجل حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له » .

### البكر تستاذن ولا تجبر :

والفتاة هي صاحبة الشأن الأول في زواجها ، فلا يجوز لأبها أو وليها أن يهمل رأيها أو يفعل رضاها . قال عليه الصلاة والسلام « النبي أحق بنفسها من وليها . والبكر تستاذن في نفسها ، وإذنها صماتها »<sup>(١)</sup> وجاءت فتاة الى النبي ﷺ فأخبرته أن أباهم زوجها من ابن أخيه وهي له كراهة فجعل النبي ﷺ الأمر اليها ، فقالت : قد أنجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للأب من الأمر شيء<sup>(٢)</sup> .

ولا يجلب للأب أن يؤخر زواج ابنته إذا خطبها كفاء ذو دين وخلق قال ﷺ : « ثلاث لا يؤخرن : الصلاة إذا أتت ، والحجزة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت لها كفاء »<sup>(٣)</sup> وقال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »<sup>(٤)</sup> .

### المحرمات من النساء :

ويحرم على المسلم أن يتزوج واحدة من النساء الآتي ذكرهن :

١ - زوجة الأب - سواء طلقها أو مات عنها - وكان هذا الزواج جائزاً في الجاهلية فأبطله الإسلام . لأن زوجة الأب لها منزلة الأم بعد زواجها بأبيه . فكان من الحكمة تحريمها عليه رعاية لحرمة الأب . ثم إن تحريمها عليه على التأييد يقطع طمعه فيها وطمعها فيه فتستقر العلاقات بينها على أساس من الاحترام والهيبة .

٢ - الأم ، ومثلها الجدة وإن علت من قبل الأب أو الأم .

٣ - البنت ، ومثلها بنت ابنه أو بنته معها امتدت الفروع .

٤ - الأخت : شقيقة كانت أو لأب أو لأم .

٥ - العمة : أخت الأب شقيقة » »

٦ - الحالة : أخت الأم » » »

(٣) الترمذي .

(٢) ابن ماجه وغيره .

(١) متفق عليه .

٧ - بنات الأخ

٨ - بنات الأخت

وهؤلاء النسوة القربيات هي اللاتي يطلق عليهن في الإسلام اسم « المحارم » لأنهن محرمات على المسلم حرمة أبدية لا تحل في وقت من الأوقات ، ولا مجال من الأحوال كما يسمى الرجل « محرماً » بالنسبة اليهن أيضاً .

والحكمة في تحريم زواج هؤلاء القربيات ظاهرة :

أ - فالإنسان الراقى تنبو فطرته على الاشتهاء الجنسي لمثل أمه أو أخته أو بنته . بل إن من الحيوانات ما يبأى ذلك ، وشعور المرء نحو خاله وعمته كشعوره نحو أمه ، والعم والخال كذلك بمنزلة الوالد .

ب - إن الشريعة لو لم تجيء بقطع الطبع فيمن لكان الخطر متوقفاً على العلاقة بين الرجل وبينهن ، لوجود الخلوة وشدة الاختلاط .

ج - إن بين الرجل وبين هؤلاء القربيات عاطفة قائمة مستقرة تتمثل في الاحترام والتكريم أو الحنان والعطف . فكان الاولى أن يتوجه بعاطفة حبه إلى الاجنبيات عنه عن طريق المصاهرة ، فتحدث صلات جديدة ، وتتسع دائرة المحبة والمودة بين الناس « وجعل بينكم مودةً ورحمةً » .

د - إن هذه العاطفة الفطرية بين الرجل وقربياته اللاتي ذكرنا ، والقائمة على الحنان أو التوقير ، يجب إبقاؤها حادة قوية ، لتكون ركنية العلاقة الدائمة بينهم ، وأساس الرعاية والمحبة والولاء . وتعريض مثل هذه العاطفة أو الصلة للزواج وما يحدث فيه من شجار وخلاف قد يؤدي إلى البينونة والانفصال يتنافى وما يراد لتلك العواطف من استقرار وتلك الصلات من ثبات ودوام .

هـ - إن النسل من هؤلاء القربيات يغلب أن يكون ضاويماً ضعيفاً ، وإذا كان في فصيلة الشخص عيوب جسمية أو عقلية فمن شأنه أن يركزها في النسل .

و - إن المرأة في حاجة إلى من يخاصم عنها ، ويحمي مصالحها عند زوجها ، وخاصة

إذا اضطربت العلائق بينها فكيف إذا كان حامياً هو خصمها ؟



### المحرمات بالرضاعة :

٩ - ويحرم على المسلم أن يتزوج المرأة التي أرضعته في صغره ، فقد صارت بإرضاعها له في حكم الأم ، وقد ساءم لبنها في إنبات لحمه وتكوين عظمه ، وأحدث هذا الرضاع عاطفة بنوة وأمومة بينه وبينها ، وقد تحتفي هذه العاطفة ولكنها تكمن في العقل الباطن (اللاشعور) لتظهر فيما بعد عند المقتضى .

وقد اشترط لتأثير هذا الرضاع : أن يكون في الصغر أي : قبل تمام سنتين للرضيع ، وهو الزمن الذي يكون اللبن فيه الغذاء الأول .

وأن لا يقل عدد الرضعات عن خمس مشبعات . والرضعة المشبعة هي التي يدع الطفل فيها الثدي من تلقاء نفسه لشعوره بالتبوع .

وتحديد الرضعات بخمس هو أرجح وأوسط مانجاءت به الروايات .

١٠ - الأخوات من الرضاعة . فكما أن المرأة صارت بالرضاع أمماً للرضيع فكذلك بناتها صرن له أخوات من الرضاعة ، وكذلك أخواتها صرن له خالات من الرضاعة وهكذا سائر أقاربها . وفي الحديث النبوي : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب »<sup>(١)</sup> . فكما يحرم من النسب العممة والحالة وبنت الأخ ، وبنت الأخت فكذلك يحرم هؤلاء من الرضاع .

### المحرمات بالمصاهرة :

١١ - ومن المحرمات : أم الزوجة . وهذه يحرمها الإسلام بمجرد العقد على ابنتها ولو لم يدخل بها ، لأنها تصبح للرجل بمنزلة أمه .

١٢ - الربيبة هي بنت الزوجة التي دخل بها ، فإن لم يكن دخل بالأم ، فلا جناح عليه أن يتزوج البنت .

١٣ - حليمة الابن . ومعنى الابن : هو الابن من الصلب لا الابن المتبنى ، فقد أبطل

(١) متفق عليه .

الإسلام شرعية نظام التبني وما يترتب عليه لما فيه من مخالفة للحقيقة والواقع ، مما يؤدي إلى تحريم الحلال ، وإحلال الحرام . قال تعالى : ( وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ؛ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ) سورة الأحزاب : ٤ أي هو مجرد قول باللسان ، لا يغير الواقع ، ولا يجعل الغريب قريباً .

وحرمة هؤلاء الثلاث لما جاءت لعل طارئة هي المصاهرة ، وما تترتب عليها من صلات ونيقة بين المتصاهرين اقتضت هذا التحريم .

### الجمع بين الأختين :

١٤ - وما حرمه الإسلام على المسلم - وكان مشروعاً في الجاهلية - الجمع بين الأختين كزوجتين ، فإن رابطة الحب الأخوي الذي يحرص الإسلام على دوامه بينها ينافيها أن تكون أحدهما ضرة للأخرى .

وقد صرح القرآن بتحريم الجمع بين الأختين وأضاف الرسول ﷺ إلى ذلك قوله : « لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها » كما في «الصحيحين» وغيرهما . وقال : إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم <sup>(١)</sup> والإسلام يؤكد صلة الأرحام فكيف يشرع ما يؤدي لتقطيعها ؟ !

### المتزوجات :

١٥ - والمرأة المتزوجة مادامت في عصمة زوجها لا يحل لها الزواج بآخر . ولكي تحل لزوج آخر لابد من شرطين :

- أ - أن تزول يد الزوج عنها بموت أو طلاق .
- ب - أن تستوفي العدة التي أمر الله بها ، وجعلها وفاء للزوجية السابقة وسياجاً لها . ومدة العدة هذه للحامل أن تضع حملها فصر الزمن أو طال . وللمتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر ليال . وللمطلقة ثلاث حيضات . وإنما جعلت ثلاثاً ، للتأكد من ضمان براءة الرحم ، خشية

(١) ابن حبان .

أن يكون قد علق به حمل من ماء الزوج السابق . فلا بد من هذا الاحتياط منعاً لاختلاط الانساب . وهذا بالنسبة لغير الصغيرة أو كبيرة السن التي انقطع عنها الحيض . أماهما فعدتها ثلاثة أشهر .

قال تعالى : ( والمطلقاتُ يتربصنَ بأنفسهنَّ ثلاثةَ قروءٍ ، ولا يحلُّ لهنَّ أنَّ يكتنمنَ ما خلقَ اللهُ في أرحامِهِنَّ إن كنَّ يؤمننَّ باللهِ واليومِ الآخرِ ) سورة البقرة : ٢٢٨ وقال : ( واللّائِي يئسنَ منَ المَحِيضِ مِن نِّسائِكُم إن ارْتبتم فعدّتهنَّ ثلاثةَ أشهرٍ ، واللّائِي لَمْ يَحِيضنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعنَّ حَمْلَهُنَّ ) سورة الطلاق : ٤ وقال : ( والذِينَ يَتَوَقَّوْنَ مِنْكُم وَيَدْرُؤْنَ أَرْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ) سورة البقرة : ٢٣٤

وهذه الاصناف الخمسة عشر من محرمات النساء ذكرها القرآن الكريم في آيات ثلاث من سورة النساء قال عز وجل : ( ولا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ، وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِن نِّسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَم تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ) سورة النساء : ٢٢ - ٢٤

### المشركات :

١٦ - ومن المحرمات : المشركة ، وهي التي تعبد الأوثان كمشركات العرب ومن

شاهين .

قال تعالى : ( ولا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، وَلَأُمَّةٌ مِّنْهُ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ، وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ،

وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ . أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ  
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ( سورة البقرة : ٢٢١ )

بيّنت الآية أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج مشركاً ، كما لا يجوز للمسلمة أن تتزوج مشركاً للاختلاف الشاسع بين الدينين فهؤلاء يدعون الى الجنة ، وأولئك يدعون الى النار . هؤلاء مؤمنون بالله وبالنبوة وبالآخرة ، وأولئك مشركون بالله منكرون للنبوة جاحدون بالآخرة .

والزواج سكينه ومودة فكيف يلتقي هذان الطرفان المتباعدان ؟

### زواج الكتابيات :

أما الكتابيات من اليهود والنصارى فقد أجاز القرآن الزواج منهن ، تبعاً لنظرته لاهل الكتاب ، ومعاملته الخاصة لهم ، واعتبارهم أهل دين سماوي وإن حرقوا فيه وبدلوا . فكما أباح مؤاكنهم أباح مصاهرتهم بزواج المسلم من نسايتهم . قال تعالى : ( وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ) سورة المائدة : ٥

وهذا لون من التسامح الإسلامي الذي قل أن يوجد له نظير في الأدبيات والملل الأخرى فرغم ريمه لأهل الكتاب بالكفر والضلال أباح للمسلم أن تكون الكتابية - وهي على دينها - زوجته وربة بيته ، وسكن نفسه ، وموضع سره ، وأم أولاده ومع أنه يقول في شأن الزوجية وأسرارها ( وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) سورة الروم : ٢١

وهنا تشبيه لا بد أن توجه اليه : إن المسلمة المتدينة الحريصة على دينها أفضل للمسلم من مجرد مسلمة ورثت الإسلام عن أبويها ، والرسول صلوات الله عليه يعلمنا ذلك فيقول : « اظفر بذات الدين تربت يداك » « فإذا علمنا ذلك تبين لنا أن المسلمة - أيا كانت - أفضل للمسلم من أي امرأة كتابية .

ثم إذا كان المسلم يخشى من مثل هذه الزوجة على عقيدة أولاده أو توجيهم فالواجب أن يستبرئ، لدينه ويحْتَنَب هذا الخطر .  
وإذا كان عدد المسلمين قليلاً في بلد - كجالية من الجاليات مثلاً - فالأرجح هنا أن يجرم على رجالهم زواجهم بغير المسلمات ، لأن أزواجهن بغيرهن في هذا الحال ، مع حرمة زواج المسلمات من الآخرين ، قضاء على بنات المسلمين أو على فئة غير قليلة منهن بالكساد والبوار وفي هذا ضرر محقق على المجتمع المسلم . وهو ضرر يمكن أن يزال بتقييد هذا المباح وتعليقه إلى حين .

### زواج المسلمة من غير المسلم :

ويجرم على المسلمة أن تتزوج غير مسلم ، كتابياً أو غير كتابي ، ولا يجلب لها مجال وقد ذكرنا قوله تعالى: ( وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ) سورة البقرة: ٢٢١ وقال في شأن المؤمنات المهاجرات ( فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ؛ لَأَهُنَّ حَيْلُ هُنَّ ، وَلَا هُمْ يُجْلُونَ لهنَّ ) سورة الممتحنة : ١٠ ولم يرد نص باستثناء أهل الكتاب من هذا الحكم ، فالحرمة مجمع عليها بين المسلمين .

وإنما أجاز الإسلام للمسلم أن يتزوج يهودية أو نصرانية ، ولم يجز للمسلمة أن تتزوج بأحدهما ؛ لأن الرجل هو رب البيت والقوام على المرأة والمسؤول عنها . والإسلام قد ضمن للزوجة الكتابية - في ظل الزوج المسلم - حرية عقيدتها ، رصان لها - بتشريعاته وإرشاداته - حقوقها وحرمتها . ولكن ديناً آخر - كالنصرانية أو اليهودية - لم يضمن للزوجة المخالفة في الدين أي حرية ، ولم يصن لها حقها . فكيف يغامر الإسلام بمستقبل بناته ، ويؤمى بهن في أيدي من لا يرقبون في دينهن إلا ولا ذمة ؟ !

وأساس هذا أن الزوج لا بد أن يحتم عقيدة زوجته ضماناً لحسن العشرة بينها ، والمسلم يؤمن بأصل اليهودية والنصرانية كدينين سماويين - بغض النظر عما حرف منها - ويؤمن

بالتوراة والإنجيل ككتابين من عند الله ، ويؤمن بموسى وعيسى كرولين من عند الله من أولي العزم من الرسل . فالمرأة الكتابية تعيش في كنف رجل يحترم أصل دينها وكتابها ونبيها بل لا يتحقق إيمانه إلا بذلك . أما اليهودي أو النصراني فلا يعترف أدنى اعتراف بالإسلام ولا بكتاب الإسلام ولا برسول الإسلام . فكيف يمكن أن تعيش في ظل امرأة مسلمة يطالبها دينها بشعائر وعبادات ، وفروض وواجبات ويشرع لها أشياء ويجرم عليها أشياء؟ ألا إنه من المستحيل أن تبقى للمسلمة حرمة عقيدتها ، وتتمكن من رعاية دينها ، والرجل القوام عليها يجحده كل الجحود !!

ومن هنا كان الإسلام منطقياً مع نفسه حين حرم على الرجل المسلم أن يتزوج وثنية مشركة ؛ لأن الإسلام ينكر الشرك والوثنية كل الإنكار فكيف يتحقق بينها السكون والمودة والرحمة ؟

إن الجمع بينها يشبه ما قاله الشاعر العربي قديماً :

أيما المنكح الثريا سهيلاً      عمرّك الله ، كيف يلتقيان ؟  
هي شامية إذا ما استقلت      وسهيل إذا استقل يمان !!

### الزانيات :

١٧ - والمراد بالزانيات هنا البغايا اللاتي يجاهرن بالزنا ويتكسبن به وقد روي أن مرثد بن أبي مرثد استأذن النبي ﷺ أن يتزوج بغياً كانت له بها علاقة في الجاهلية - واسمها عناق - فأعرض النبي ﷺ عنه حتى نزل قوله تعالى : ( الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ) والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ وحُرْمَ ذلك على المؤمنين ( سورة النور : ٣ فتلا النبي ﷺ عليه الآية وقال له : « لاتنكحها »<sup>(١)</sup> .

ذلك أن الله تعالى لما أباح زواج المحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أتوا الكتاب - كما مر - والمحصنات هن العفيفات . وكذلك أحل للرجال الزواج بشرط أن يكونوا ( مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ) سورة النساء : ٢٤ فمن لم يقبل هذا الحكم من

(١) القصة في أبي داود والنسائي والترمذي .

كتاب الله ولم يلتزمه فهو مشرك ، لا يرضى بنكاحه إلا من هو مشرك مثله ومن أقرب هذا الحكم وقبله والتزمه ، ولكنه خالفه ونكح ما حرم عليه ، لم يصح النكاح فيكون زانياً .

وهذه الآية ذكرت بعد آية الجلدي في سورة النور ( الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة . . الآية ) سورة النور : ٢ فهذه عقوبة بدنية ، وتلك عقوبة أدبية فإن تحريم زواج الزاني والزانية يشبه التجريد من شرف المواطن ، أو إسقاط الجنسية أو الحرمان من حقوق معينة في العرف الحديث .

قال ابن القيم رحمه الله بعد أن بين معنى الآية السابقة (١) :

وكما أن هذا الحكم هو موجب القرآن وصرح به فهو موجب الفطرة ، ومقتضى العقل فإن الله سبحانه حرم على عبده أن يكون قرناناً ديوثاً زوج بغي ، فإن الله فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه ، ولهذا إذا بالغوا في سب الرجل قالوا : زوج قجة فحرم الله على المسلم أن يكون كذلك .

وبما يوضح هذا التحريم . . أن هذه الجناية من المرأة تعود بفساد فراش الزوج وفساد النسب الذي جعله الله بين الناس لتتام مصالحهم ، وعده من جملة نعمه عليهم ، فالزنا يفضي إلى اختلاط المياه واستنباه الأنساب ، فمن محاسن هذه الشريعة تحريم نكاح الزانية حتى تتوب وتستبرأ ( أي : تعرف براءة رحمها بأن تحيض حيضة على الأقل ) .

وأيضاً فإن الزانية خبيثة . . والله سبحانه جعل النكاح سبباً للمودة والرحمة ، والمودة خالص الحب فكيف تكون الحبيثة مودودة للطيب زوجاً له ؟ والزواج سمي زوجاً من الأزواج وهو الاستنباه ، فالزوجان : الاثنان المتشابهان ، والمنافرة تامة بين الطيب والحبيث شرعاً وقدرأ ، فلا يحصل معها الأزواج والتواحم والتواد . وصدق الله إذ يقول :  
( الْحَبِيبَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْحَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ )  
سورة النور : ٢٦

(١) «إغاثة اللفغان» ج ١ ص ٦٧٦٦

## زواج المتعة :

والزواج في الإسلام عقد متين وميثاق غليظ ، يقوم على نية العشرة المؤبدة من الطرفين لتحقيق ثمرته النفسية التي ذكرها القرآن - من السكن النفسي والمودة والرحمة ، وغايته النوعية العمرانية من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنساني ( واللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَقَّقَ لَكُمْ ) سورة النحل : ٧٢

أما زواج المتعة، وهو ارتباط الرجل بامرأة لمدة يجددناها لقاء أجر معين ، فلا يتحقق فيه المعنى الذي أشرنا إليه . وقد أجازهُ الرسول ﷺ قبل أن يستقر التشريع في الإسلام . أجازهُ في السفر والغزوات ، ثم نهى عنه وحرّمه على التأييد .

وكان السر في إباحته أولاً أن القوم كلوا في مرحلة يصح أن نسميها « فترة انتقال » من الجاهلية إلى الإسلام ؛ وكان الزنا في الجاهلية مبسراً منتشراً . فلما كان الإسلام ، واقتضاهم أن يسافروا للغزو والجهاد شق عليهم البعد عن نساءهم مشقة شديدة ، وكلوا بين أقوياء الإيمان وضعفاء ؛ فأما الضعفاء ، فخيف عليهم أن يتورطوا في الزنا ، وأعظم به فاحشة وساء سيلاً .

وأما الأقوياء فعزّموا على أن يخصوا أنفسهم أو يجبووا ماذا كيرهم كما قال ابن مسعود : « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا نساء فقلنا : ألا نستخفي ؟ فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك ، ورخص لنا أن نكح المرأة بالثوب إلى أجل » (١) .

وبهذا كانت إباحة المتعة رخصة لحل مشكلة الفريقيين من الضعفاء والأقوياء ، وخطوة في سير التشريع إلى الحياة الزوجية الكاملة ، التي تتحقق فيها كل أغراض الزواج من احصان واستقرار وتناسل ، واتساع دائرة العشيرة بالمصاهرة .

وكما تدرّج القرآن بهم في تحريم الخمر وتحريم الربا - وقد كان لها انتشار وسلطان في الجاهلية - تدرّج النبي ﷺ بهم كذلك في تحريم الفروج . فرخص عند الضرورة بالمتعة ثم حرّم النبي ﷺ هذا النوع من الزواج . كما روى ذلك عنه عليّ كرم الله وجهه (١) ،

(١) متفق عليه .



وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم . ومن ذلك ما أخرجه مسلم في « صحيحه » عن سبرة الجبلي « أنه غزا مع النبي ﷺ فتح مكة ، فأذن لهم في متعة النساء . قال : فلم يخرج حتى حرّمها رسول الله » ، وفي لفظ من حديثه : « وإن الله حرّم ذلك إلى يوم القيامة » .

ولكن هل هذا التحريم تحريم باتّ كزواج الأمهات والبنات أو هو تحريم مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ، فيباح عند الضرورة وخوف العنت ؟

الذي رآه عامة الصحابة أنه تحريم باتّ حاسم لارخصة فيه بعد استقرار التشريع . وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تباح للضرورة . فقد سأله سائل عن متعة النساء فرخص له فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد ، وفي النساء قلة أو نحوه ؟ فقال ابن عباس : نعم<sup>(١)</sup> ثم لما تبين لابن عباس رضي الله عنه أن الناس توسّعوا فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة ، أمسك عن فتياه ورجع عنها<sup>(٢)</sup> .

### الزواج بأكثر من واحدة :

والأصل في الزواج في الإسلام أن يكون بواحدة ليتحقق السكن والمودة والرحمة بين الزوجين في أكمل صورها .

ولكنه لا اعتبارات إنسانية هامة ، فردية واجتماعية ، أباح للمسلم أن يتزوج بأكثر من واحدة .

وقد كان كثير من الأمم والملل قبل الإسلام ، يبيعون التزوج بالجسم الغفير من النساء قد يبلغ العشرات ، وقد يصل إلى المائة والمئات ، دون اشتراط لشرط ، ولا تقييد بقيد . فلما جاء الإسلام وضع لتعدد الزوجات قيوداً وشرطاً .

فأما القيد فجعل الحد الأقصى للزوجات أربعاً . وقد أسلم غيلان الثقفي وتحتة عشر نسوة فقال له النبي ﷺ : « اختبر منهن أربعاً وفارق سائرهن »<sup>(٣)</sup> . وكذلك من أسلم عن ثمانية<sup>(٤)</sup> وعن خمس<sup>(٥)</sup> ناهى الرسول ﷺ أن يمسك منهن إلا أربعاً .

(١) البخاري . (٢) زاد المعاد ج ٤ ص ٧ ط صبح (٣) الشافعي وأحمد والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة والدارقطني والبيهقي . (٤) رواه ابو داود (٥) الشافعي في « مسنده » .

أما زواج الرسول ﷺ بتسع نسوة فكان هذا شيئاً خصه الله به لحاجة الدعوة في حياته ، وحاجة الأمة اليهن بعد وفاته .

### العدل شرط في إباحة التعدد :

وأما الشرط الذي اشترطه الإسلام لتعدد الزوجات فهو ثقة المسلم في نفسه أن يعدل بين زوجتيه أو زوجاته في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت والنفقة ، فمن لم يتق في نفسه بالقدرة على أداء هذه الحقوق بالعدل والسوية حرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة قال تعالى : ( فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ ) النساء : ٣ . وقال عليه الصلاة والسلام : « من كانت له امرأتان يميل لإحدهما على الأخرى جاء يوم القيامة يمر أحد شقيه ساقطاً أو مائلاً »<sup>(١)</sup> .

والميل الذي حذر منه هذا الحديث هو الجور على حقوقها ، لا مجرد الميل القلبي ، فإن هذا داخل في العدل الذي لا يستطاع ، والذي عفا الله عنه وسامح في شأنه ، قال سبحانه وتعالى : ( وَكُنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَكُنْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ ) النساء : ١٢٩ . ولهذا كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ، ويقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك .. فلا تمني فيما نملك ولا أملك<sup>(٢)</sup> يعني بما لا يملكه أمر القلب والميل العاطفي إلى إحدها خاصة .

وكان إذا أراد سفرأ حكم بينهن القرعة ، فأبتهن خرج سهمها سافر بها<sup>(٣)</sup> . وإنما فعل ذلك دفعاً لوحر الصدور ، وترضية للجميع .

### الحكمة في إباحة التعدد :

إن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة التي ختم بها الرسالات ، لهذا جاء بشريعة عامة خالدة تتسع للأقطار كلها ، وللأعصار قاطبة ، وللناس جميعاً . إنه لا يشرع للحضري ويفعل البدوي ، ولا للأقاليم الباردة ، وينسى الحارة ، ولا لعصر خاص مهملأ بقية العصور والأجيال .

(١) أحمد واهل السنن والدارمي وابن حبان والحاكم . (٢) اهل السنن وابن حبان والحاكم .

(٣) منفق عليه .

إنه يقدر ضرورة الافراد وضرورة الجماعات :

فمن الناس من يكون قوي الرغبة في النسل ولكنه رزق بزوجة لا تنجب ، لعقم أو مرض أو غيره . أفلا يكون أكرم لها وأفضل له أن يتزوج عليها من تحقق له رغبته مع بقاء الأولى وضمن حقوقها ؟

ومن الرجال من يكون قوي الغريزة تأثر الشهوة ، ولكنه رزق بزوجة قليلة الرغبة في الرجال ، أو ذات مرض أو تطول عندها فترة الحيض ، أو نحو ذلك ، والرجل لا يستطيع الصبر كثيراً عن النساء ، أفلا يباح له أن يتزوج بأخرى حليلة بدل أن يبحث عنها خلية ؟ وقد يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال - وخاصة في أعقاب الحروب التي تلتهم صفوة الرجال والشباب - وهنا تكون مصلحة المجتمع ومصلحة النساء أنفسهن أن يكن ضرائر على أن يعشن العمر كله عوانس محرومات من الحياة الزوجية وما فيها من سكون ومودة وإحسان ، ومن نعمة الأمومة ، ونداء الفطرة في حناياهن يدعو إليها .

إنها إحدى طرائق ثلاث أمام هؤلاء الزائدات عن عدد الرجال القادرين على الزواج :

- ١ - فلما أن يقضين العمر كله في مرارة الحرمان !
  - ٢ - وإما أن يرخى لهن العنان ليعشن أدوات هو لعبت الرجال الحرام !
  - ٣ - وإما أن يباح لهن الزواج برجل متزوج قادر على النفقة والإحسان .
- ولاريب أن هذه الطريقة الأخيرة هي الحل العادل ، والبلسم الشافي ، وذلك هو ما حكم به الإسلام ( وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) المائدة : ٥٠



## في العلاقة بين الزوجين

اهم القرآن بباراز الغايات الروحية من الزواج ، وجعلها الدعائم التي يقوم عليها بناء الحياة الزوجية ، وهي تتمثل في سكون النفس مع اضطرابها الجنسي الفطري بالحُب بين الزوجين ، وتوسيع دائرة المودة والألفة بين العشيرتين بالمصاهرة ، واكتال عاطفة الخنان والرحمة الإنسانية ، وانتشارها بين الوالدين إلى الأولاد. وإلى هذه المعاني يرشد قوله تعالى: ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) الروم: ٢١

### في العلاقة الحسية بين الزوجين :

ولكن القرآن مع هذا لم يغفل الجانب الحسي والعلاقة الجسدية بين الزوج وزوجته ، وهدى فيها إلى أقوم السبل التي تؤدي حق الفطرة والغريزة ، وتتجنب - مع ذلك - الأذى والانحراف .

فقد روي أن اليهود والمجوس كلوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها ، والنصارى كلوا يجامعونها ؛ ولا يبالون بالحيض ، وان أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس .

لهذا توجه بعض المسلمين بالسؤال إلى النبي ﷺ عما يجل لهم وما يحرم عليهم في مخالطة الحائض فنزلت الآية الكريمة : ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ قَاعَتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ) سورة البقرة : ٢٢٢ .

وقد فهم فاس من الاعراب أن معنى اعتراضهن في الحيض ألا يساكنوهن فيبين النبي ﷺ لهم المراد من الآية وقال : إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم آمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم ، فلما سمع اليهود ذلك قالوا : هذا الرجل يريد ألا يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه (١) .

فلا بأس على المسلم إذا أن يستمتع بامرأته بعيداً عن موضع الأذى . وبهذا وقف الإسلام - كشأنه دائماً - موقفاً وسطاً بين المتطرفين في مباحة الحائض إلى حد الإخراج من البيت ، والمتطرفين في المخالطة إلى حد الاتصال الحسي .

وقد كشف الطب الحديث ما في إفرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم إذا بقيت فيه ، كما كشف سر الأمر باعتزال جماع النساء في الحيض . . فإن الأعضاء التناسلية تكون في حالة احتقان ، والأعصاب تكون في حالة اضطراب بسبب إفرازات الغدد الداخلية ، فالاختلاط الجنسي بضرها ، وربما منع نزول الحيض ، كما يحصل كثيراً من الاضطراب العصبي . . وقد يكون سبباً في التهاب الأعضاء التناسلية (٢) .

#### اتقاء الدبر :

ونزل في شأن العلاقة الحسية قوله تعالى : ( نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُسْلِمُونَ ) وبشّر المؤمنين ( سورة البقرة : ٢٢٣ )

ولنزول هذه الآية سبب وحكمة ذكرها علامة الهند ولي الله الدهلوي قال : كان اليهود يضيقون في هيئة المباشرة من غير حكم سماوي . وكان الأنصار ومن واهم يأخذون سنتهم ، وكانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فنزلت هذه الآية - فأتوا حَرْثَكُمْ أَنى شِئْتُمْ - أي أقبل وأدبر ما كان في صمام واحد وهو القبيل موضع الحرث - وذلك لأنه لا شيء في ذلك تتعلق به المصلحة المدنية والمالية . والإنسان أعرف بمصلحة خاصة نفسه ، وإنما كان ذلك من تعمقات اليهود ، فكان من حقه أن ينسخ (٣) .

(٢) انظر كتاب « الإسلام والطب الحديث »

(١) انظر تفسير الرازي ج ٦ ص ٦٦

(٣) حجة الله البالغة ج ٢ ص ١٣٤

للمرحوم الدكتور عبد العزيز إسماعيل .

فليس من شأن الدين أن يحدد للرجل هيئات المباشرة وكيفيةها ، إنما الذي يهم الدين أن يتقي الزوج الله ويعلم أنه ملاقيه ، فيجتنب الدبر ، لأنه موضع أذى وقدر وفيه شبه باللواط الحثيث ، فكان من حق الدين أن ينهى عنه ، ولذا قال عليه السلام : « لا تأتوا النساء في أدبارهن »<sup>(١)</sup> وقال في الذي يأتي امرأته في دبرها : « هو اللوطية الصغرى »<sup>(٢)</sup> وسألته امرأة من الأنصار عن وطء المرأة في قبلها من ناحية دبرها ، فتلا عليها قوله تعالى : ( نِيسَاؤُكُمْ حَرِّتُمْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرِّتُكُمْ أَنْتُمْ سِئْتُمْ ) صماماً واحداً<sup>(٣)</sup> وسأله عمر فقال : يا رسول الله ! هلكت قال : وما أهلكك ! قال : حوالت رجلي البارحة - كناية عن الوطء من الدبر في القبُل - فلم يردّ عليه شيئاً حتى نزلت الآية السابقة ، فقال له : أقبل وأدبر ، واتق الحِيضة والدبر<sup>(٤)</sup> .

#### حفظ أسرار الزوجية :

أتى القرآن على الزوجات الصالحات بأنهن ( قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ) سورة النساء : ٣٤ ومن جملة الغيب الذي ينبغي أن يحفظ ما كان بين الزوجة وزوجها من علاقة خاصة ، فلا يصح أن تكون حديثاً في المجالس أو سمرّاً في الندوات مع الأصدقاء أو الصديقات ، وفي الحديث الشريف : « إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها »<sup>(٥)</sup> .

وعن أبي هريرة قال : صلى بنا رسول الله ﷺ فلما سلم أقبل علينا بوجهه فقال : مجالسكم هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخص ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلي كذا وفعلت بأهلي كذا ؟! فسكتوا .. فأقبل على النساء فقال : هل منكن من تحدثت ؟ فحدث فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتناولت ليراه رسول الله ﷺ ويسمع كلامها فقالت : إي والله .. إنهم يتحدثون ، وإنهن ليتحدثن فقال عليه السلام : هل تدرين ما مثل من فعل ذلك ؟. إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان

(١) أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه . (٢) أحمد والنسائي . (٣) أحمد .

(٤) أحمد والترمذي . (٥) مسلم وابو داود .

وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة ففضى حاجته منها والناس ينظرون إليه<sup>(١)</sup> .  
وكفى بهذا التشبيه تنفيراً للمسلم من ارتكاب هذه الحماقة ، وذلك الإسفاف . فليس  
يرضى مسلم لنفسه أن يكون شيطاناً أو كالشيطان !!

### تنظيم النسل :

لا ريب أن بقاء النوع الإنساني من أول أغراض الزواج أو هو أولها . وبقاء النوع لما  
يكون بدوام التناسل . وقد حجب الإسلام في كثرة النسل ، وبارك الأولاد ذكرًا وإناثًا  
ولكنه رخص للمسلم في تنظيم النسل إذا دعت إلى ذلك دواع معقولة وضرورات معتبرة ،  
وقد كانت الوسيلة الشائعة التي يلجأ إليها الناس لمنع النسل أو تقليده في عهد الرسول ﷺ -  
هي العزل ( وهو قذف النطفة خارج الرحم عند الإحساس بنزولها ) وقد كان الصحابة  
يفعلون ذلك في عهد النبوة والوحي كما روي في الصحيحين عن جابر : « كنا نعزل على عهد  
رسول الله ﷺ والقرآن ينزل » وفي صحيح مسلم قال : « كنا نعزل على عهد رسول الله  
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا » .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إن لي جارية وأنا أعزل عنها ، وإني  
أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجال . وإن اليهود تحدث : أن العزل المؤودة  
الصغرى !! فقال عليه السلام : كذبت اليهود . لو أراد الله أن يخلق ما استطعت أنت  
تصرفه<sup>(٢)</sup> . ومراد النبي ﷺ أن الزوج - مع العزل - قد نقلت منه قطرة تكون سبباً  
للحمل وهو لا يدري .

وفي مجلس عمر تذاكروا العزل فقال رجل : إنهم يزعمون أنه المؤودة الصغرى فقال علي  
لا تكون مؤودة حتى تمر عليها الأطوار السبعة : حتى تكون سلالة من طين ثم تكون نطفة ثم  
علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تكسى لحماً ثم تكون خلقاً آخر . فقال عمر : صدقت أطل الله بقاءك .

### مبررات لتنظيم النسل :

ومن أول هذه الضرورات : الحشية على حياة الأم أو صحتها من الحمل أو الوضع ،

(٢) أصحاح السنن .

(١) أحمد وأبو داود والبراز .

إذا عرف ذلك بتجربة أو إخبار طيب ثقة . قال تعالى : ( وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ) ، وقال : ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) .

ومنها الحشية في وقوع حرج ذنوي قد يقضي به إلى حرج في دينه ، فيقبل الحرام ، ويرتكب المحظور من أجل الأولاد ، قال تعالى : ( يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ) البقرة : ١٨٥ . ( مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ) سورة المائدة : ٦ .

ومن ذلك الحشية على الأولاد أن تسوء صحتهم أو تضرب تربيتهم . وفي « صحيح مسلم » عن أسامة بن زيد أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أعزل عن امرأتي . فقال له رسول الله ﷺ : لم تفعل ذلك؟ فقال الرجل : أسفت على ولدها - أو قال - على أولادها . فقال رسول الله ﷺ : لو كان ضاراً لضر فارس والروم . وكأنه عليه السلام رأى أن هذه الحالات الفردية لا تضر الأمة في مجموعها بدليل أنها لم تضر فارس والروم - وهما أقوى دول الأرض حينذاك .

ومن الضرورات المعتبرة شرعاً الحشية على الرضيع من حمل جديد ووليد جديد - وقد سمي النبي ﷺ الوطء في حالة الرضاع وطء الغيلة أو الغيل لما يترب عليه من حمل يفسد اللبن ويضعف الولد ، وإنما سماه غيلاً أو غيلة ؛ لأنه جنابة خفية على الرضيع فأشبهه القتل سراً .

وكان عليه الصلاة والسلام يجتهد لأمره بما يصلحها ، وينهاها عما يضرها . وكان من اجتهاده لأمره أن قال : « لا تقتلوا أولادكم سراً فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره »<sup>(١)</sup> ولكنه عليه السلام لم يؤكده النهي إلى درجة التحريم . ذلك لأنه نظر إلى الأمم القوية في عصره فوجدتها تصنع هذا الصنيع ولا يضرهم - فالضرر إذاً غير مطرد - هذا مع خشية العنت على الأزواج لو جزم النهي عن وطء المرضعات . ومدة الرضاع قد تمتد إلى حوالين كاملين



لمن أراد أن يتم الرضاعة . لذلك كله قال : « لقد هممت أن أنهي عن الغيلة ثم رأيت فارس والروم يفعلونه ولا يضر أولادهم شيئاً » (١) .

قال ابن القيم رحمه الله في بيان الصلة بين هذا الحديث والحديث السابق - لا تقتلوا أولادكم سرّاً - : « أخبر النبي ﷺ في أحد الجانبين أنه - أي الغيل - يفعل في الوليد مثل ما يفعل من يصرع الفارس عن فرسه كأنه يدعثره ويصرعه ، وذلك بموجب نوع أذى ولكنه ليس بقتل للولد وإهلاك له ، وإن كان قد يترتب عليه نوع أذى للطفل ، فأرشدهم إلى تركه ولكنه لم ينه عنه - أي نهي تحريم - ثم عزم على النهي سدّ الذريعة الأذى الذي ينال الرضيع ، فرأى أن سد هذه الذريعة لا يقاوم المفسدة التي تترتب على الإمساك عن وطء النساء مدة الرضاع ، ولا سيما من الشباب وأرباب الشهوة التي لا يكسرهما إلا مواقعة نسائهم ، فرأى أن هذه المصلحة أرجح من مفسدة سد الذريعة . فنظر ورأى الأمتين - اللتين هما من أكثر الأمم وأشدّها بأساً - يفعلونه ولا يتقونّه مع قوتهم وشدتهم فأمسك عن النهي عنه » (٢) .

وقد استحدث في عصرنا من الوسائل التي تمنع الحمل ما يحقق المصلحة التي هدف إليها الرسول ﷺ - وهي حماية الرضيع من الضرر - مع تجنب المفسدة الأخرى - وهي الامتناع عن النساء مدة الرضاع وما في ذلك من مشقة .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقرر أن المدة المثلّي في نظر الإسلام بين كل ولدين هي ثلاثون أو ثلاثة وثلاثون شهراً لمن أراد أن يتم الرضاعة .

وقرر الإمام أحمد وغيره أن ذلك يباح إذا أذنت به الزوجة ؛ لأن لها حقاً في الولد ، وحقاً في الاستمتاع . وروي عن عمر أنه نهى عن العزل إلا بإذن الزوجة . وهي لفظة بارعة من لفتات الإسلام إلى حق المرأة في عصر لم يكن يعترف لها بحقوق .

(١) مسلم .

(٢) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم ص ٦٢ وانظر «زاد المعاد» ج ٤ ص ١٦ وما بعدها ط صبيح .

### إسقاط الحمل :

وإذا كان الإسلام قد أباح للمسلم أن يمنع الحمل لضرورات تقتضي ذلك فلم يبح له أن يجني على هذا الحمل بعد أن يوجد فعلاً .

واتفق الفقهاء على أن إسقاطه بعد نفخ الروح فيه ، حرام وجريمة ، لايجل للمسلم أن يفعله لأنه جنابة على حيٍّ ، متكامل الخلق ، ظاهر الحياة ، قالوا : ولذلك وجبت في إسقاطه الدية إن نزل حياً ، وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتاً .

ولكنهم قالوا : إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه - بعد تحقق حياته هكذا - يؤدي لاجتياز الأم إلى موت الأم ، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين فإذا كان في بقاءه موت الأم ، وكان لا منقذ لها سوى إسقاطه ، كان إسقاطه في تلك الحالة متعيناً ، ولا يضحى بها في سبيل إنقاذه ؛ لأنها أحله ، وقد استقرت حياتها ، ولها حظ مستقل في الحياة ، ولها حقوق وعليها حقوق ، وهي بعد هذا وذاك عماد الأسرة . وليس من المعقول أن نضحى بها في سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته ، ولم يحصل على شيء من الحقوق والواجبات<sup>(١)</sup> .

وقال الإمام الغزالي يفرق بين منع الحمل وإسقاطه : « ليس هذا - أي : منع الحمل - كالإجهاض والوآد ؛ لأن ذلك جنابة على موجود حاصل . والوجود له مراتب . وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتخلط بماء المرأة ، وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جنابة فإن صارت نطفة فعلاقة ، كانت الجنابة أفحش ، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلق ، ازدادت الجنابة تفاحشاً ، ومنتهى التفاحش في الجنابة هي بعد الانفصال حياً<sup>(٢)</sup> .

### في حقوق المعاشرة بين الزوجين :

والزواج - كما أسلفنا - عهد وثيق ربط الله به بين رجل وامرأة ، أصبح كل منهما يسمى بعده «زوجاً» بعد أن كان «فرداً» هو في العدد فرد ، وفي ميزان الحقيقة «زوج» لأنه يمثل الآخر ، ويمثل في حناياه آلامه وآماله معاً .

(١) الفتاوى للشيخ شلتوت ؛ ٦٤ ؛ (٢) الإحياء ؛ ربيع العادات كتاب النكاح ؛ ٧ ؛

وقد صور القرآن الكريم مبلغ قوة هذا الرباط بين الزوجين فقال : ( هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ ) سورة البقرة : ١٨٧ وهو تعبير يوحي بمعاني الاندماج والستر والحماية والزينة بحققها كل منها لصاحبه .

لهذا كان على كل من الزوجين حقوق لصاحبه لا بد أن يرعاهما ، ولا يجوز له أن يفرط فيها . وهي حقوق متكافئة . إلا فيما خصت الفطرة به الرجال كما قال تعالى : ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ) سورة البقرة : ٢٢٨ وهي درجة القوامة والمسؤولية .

وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسبت . ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ، ولا تهجر إلا في البيت » (١) .

فلا يجل للزوج المسلم أن يحمل النفقة على زوجته وكسوتها ، وفي الحديث النبوي : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » (٢) .

ولا يجل له أن يضرب وجه زوجته لما فيه من إهانة لكرامة الإنسان ومن خطر على هذا العضو الذي يجمع محاسن الجسم .

وإذا جاز للمسلم عند الضرورة أن يؤدّب زوجته الناشئة المتمردة فلا يجوز له أن يضربها ضرباً مبرحاً أو ضرباً يصيب وجهها أو مقاتلتها .

كما لا يجل للمسلم أن يقبّح زوجته ، بأن يؤذيها بلسانه ، ويسمعا ما تكره ويقول لها : قبّحك الله وما يشابهها من عبارات .

وفي حق الزوج على الزوجة قال ﷺ : « لا يجل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ،

ولا تخرج وهو كاره ،

ولا تطيع فيه أحداً ،

ولا تعتزل فراشه ،

ولا تضربه ( إذا كانت أقوى منه جسداً ) فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه ،

(١) ابو داود وابن حبان في « صحيحه » . (٢) ابو داود والسنائي والحافظ .

فلن قبل منها فيها ونعمت وقبل الله عذرها ، وأفلح ( أي : أظهر ) حجتها ، وإن هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها<sup>(١)</sup> .

### على كل من الزوجين أن يصبر على صاحبه :

ويجب على المسلم أن يصبر على زوجته إذا رأى منها بعض ما لا يعجبه من تصرفها ، ويعرف لها ضعفها كأنثى ، فوق نقصها كإنسان ، ويعرف لها حسناتها بجانب أخطائها ، ومزاياها إلى جوار عيوبها . وفي الحديث : لا يفرك - أي : لا يبغض - مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضي منها غيره<sup>(٢)</sup> . وقال تعالى : ( وَعَاشِرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ) سورة النساء : ١٧ وكما أوجب الإسلام على الزوج الاحتمال والصبر على ما يبكره من زوجته أمرت الزوجة هي الأخرى أن تعمل على استرضاء زوجها بما عندها من قدرة وسحر ، وحذرهما أن تبيت وزوجها غاضب .

وفي الحديث : «ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً : رجل أمّ قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصارمان (متخاصمان)»<sup>(٣)</sup>

### عند النشوز والشقاق :

وما دام الرجل هو سيد البيت ورب الأسرة ، بحكم تكوينه واستعداده ووضعه في الحياة ، وبذله للمهر . ووجوب النفقة عليه ، فلا يحل للمرأة أن تخرج عن طاعته وتمرد على سلطانه ، فتفسد الشركة ، وتضطرب سفينة البيت أو تفرق ما دام لا ربان لها . وإذا لاحظ الزوج على زوجته مظاهر النشوز والعصيان له ، والترفع عليه ، فعليه أن يحاول إصلاحها بكل ما يقدر عليه مبتدئاً بالكلمة الطيبة والوعظ المؤثر والإرشاد الحكيم . فإن لم تجد هذه الوسيلة هجرها في مضجعها ، محاولاً أن يستثير فيها غريزة الأنثى لعلها أن تتقاد له ويعود الصفاء .

(١) الحاكم . (٢) مسلم . (٣) ابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » .

فإن لم نجد هذه ولا تلك جرّب التأديب باليد مجتنباً الضرب المبرح مبتعداً عن الوجه ، وهو علاج يجدي في بعض النساء في بعض الأحوال بقدر معين . وليس معنى الضرب هنا أن يكون بسوط أو خشبة ، وإنما هو من نوع ماقاله عليه السلام لخادمة عنده أغضبه في عمل : لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك .

وقد نفر عليه السلام من الضرب وقال : يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ولعله أن يجامعها في آخر اليوم « (١) » .

قال الإمام الحافظ ابن حجر : « وفي قوله ﷺ : « من يضرب خياركم » دلالة على أن ضربهن مباح في الجملة ، ومحل ذلك أن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته ، فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيham لا يعدل إلى الفعل ، لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن العشرة ، المطلوبة في الزوجية ، إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله ، وأخرج النسائي حديث عائشة : ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة له ولا خادماً قط ، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا في سبيل الله أو تنتهك حرمة الله فينتقم الله « (٢) » .

فإن لم ينفع هذا كله ، وخيف اتساع الشقة بينها تدخل المجتمع الإسلامي وأهل الرأي والخير فيه يحاولون الإصلاح ، فيعشون حكماً من أهله ، وحكماً من أهلها من أهل الخير والصالح ، عسى أن تصدق نيتها في لم الشعث وإصلاح الفاسد فيوفق الله بينها .

وفي هذا كله قال تعالى : « وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تبتغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ، وإن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْتِهِمَا فَابْتِئِمُوا حَكماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللهُ كَانَ عَلِيماً خَبيراً » .  
سورة النساء : ٣٤ ، ٣٥ .

(١) أحمد ، وفي البخاري قريب منه . (٢) فتح الباري ج ٩ ص ٢١٩ (١٠ - الحلال والحرام)

### هنا فقط يباح الطلاق :

وهنا وبعد أن فشلت تلك التجارب كلها ، وخابت تلك الوسائل جميعاً ، يباح للزوج أن يلجأ إلى وسيلة أخيرة شرعها الإسلام ، استجابة لنداء الواقع ، وتلبية لداعي الضرورة ، وحلًا لمشكلات لا يحلها إلا الفراق بالمعروف . . تلك هي وسيلة «الطلاق» .

أجاز الإسلام اللجوء إلى هذه الوسيلة على كرهه ، ولم يندب إليها ولا استحبابها ، بل قال عليه السلام : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »<sup>(١)</sup> « ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق »<sup>(١)</sup> .

والتعبير بأنه حلال مبعوض إلى الله يشعر بأنه رخصة شرعت للضرورة ، حين تسوء العشرة ، وتستحكم النفرة بين الزوجين ، ويتعذر عليهما أن يقيما حدود الله وحقوق الزوجية وقد قيل : إن لم يكن وفاق ففراق . وقال تعالى : ( وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ ) .  
سورة النساء : ١٣

### الطلاق قبل الاسلام :

وليس الإسلام هو الدين الفذ الذي أباح الطلاق ، فقبل الإسلام كان الطلاق شائعاً في العالم كله - إذا استثنينا أمة أو أمتين ، وكان الرجل يغضب على المرأة فيطردها من داره محقاً أو مبطلاً ، دون أن تملك المرأة له دفعاً ، أو تأخذ منه عوضاً ، أو تجد لنفسها عنده حقاً .  
« ولما نبه ذكر الأمة اليونانية وازدهرت حضارتها كان الطلاق شائعاً فيها بلا قيد ولا شرط .

وكان الطلاق لدى الرومانيين معتبراً من كيان الزواج نفسه ، حتى إن القضاة كانوا يحكمون ببطان الزواج إن اشترط كلا الطرفين عدم الطلاق فيه .  
وكان الزواج الديني لدى الأجيال الأولى للرومانيين يجرم الطلاق ، ولكنه في الوقت نفسه يمنح الزوج على امرأته سلطاناً لاحد له . فيبيح له أن يقتلها في بعض الأحوال ثم رجعت ديانتهم فأباحت الطلاق كما كان مباحاً أمام القانون المدني .

(١) ابو داود .

### الطلاق في الديانة الموسوية :

أما الديانة الموسوية ، فقد حسنت من حالة الزوجة ، ولكنها أباحت الطلاق وتوسعت في إباحته . وكان الزوج يجبر شرعاً على أن يطلق امرأته إن ثبتت عليها جريمة الفسق ، حتى ولو غفر لها هو تلك الجريمة ، وكان القانون يجبره أيضاً على أن يطلق امرأته إن لبثت معه عشر سنين ولم تأت به بذرية <sup>(١)</sup> .

### الطلاق في الديانة المسيحية :

والمسيحية هي الديانة التي شذت عما ذكرنا من ديانات ، وخالفت الديانة الموسوية نفسها وأعلن الإنجيل على لسان المسيح تحريم الطلاق ، وتحريم زواج المطلقين والمطلقات ففي إنجيل متى ٥ : ٣١ ، ٣٢ : « قد قيل : من طلق امرأته فليدفع اليها كتاب طلاق . أما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته إلا لعلة الزنا فقد جعلها زانية ، ومن تزوج مطلقة فقد زنى وفي إنجيل مرقس ١٠ : ١١ ، ١٢ : من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها . وإذا طلقت المرأة زوجها ، وتزوجت بأخر ، ارتكبت بذلك جريمة الزنا » .

وقد علل الإنجيل هذا التحريم القاسي بأن « ما جمعه الله لا يصح أن يفرقه الإنسان » <sup>(٢)</sup> وهذه الجملة صحيحة المعنى ، ولكن جعلها علة لتحريم الطلاق هو الشيء الغريب ؛ فإن معنى أن الله جمع بين الزوجين . أنه أذن بهذا الزواج وشرعه ، فصح أن ينسب الجمع إلى الله ؛ وإن كان الإنسان هو المباشر لعقد الزواج . فإذا أذن الله في الطلاق وشرعه لأسباب ومبررات تقتضيه ، فإن التفريق حينئذ يكون من الله أيضاً ، وإن كان الإنسان هو الذي يباشر التفريق . وبهذا يتضح أن الإنسان لا يكون مفرقا ما جمعه الله ، وإنما الجمع والمفرق هو الله جل شأنه ، أليس الله هو الذي فرق بينهما بسبب الزنا ؟ فلم إذا لا يفرق بينهما بسبب آخر يوجب الفراق .

(١) من كتاب الإسلام دين عام خالد المرحوم فريد وجدي ص ١٧٢

(٢) انظر إنجيل متى ١٩ : ٦ ومرقس ١٠ : ٩

### اختلاف المذاهب المسيحية في شأن الطلاق :

ورغم أن الإنجيل استثنى من تحريم الطلاق ما إذا كان السبب «علة الزنا» فإن أتباع المذهب الكاثوليكي يؤولون هذا الاستثناء، ويقولون : « ليس المعنى هنا أن للقاعدة شذوذاً ، أو أن هناك من القضايا ما يسمح فيه بالطلاق . فلا طلاق البتة في شريعة المسيح والكلام هنا ( في قوله إلا لعلة الزنا ) عن عقد فاسخ ذاته ، فليس له من شرعية العقد ، وصحته إلا الظواهر . إنه زنا ليس إلا . ففي هذه الحالة يحل للرجل ، لا بل يجب عليه أن يترك المرأة » (١).

أما أتباع المذهب البروتستانتى ؛ فيجيزون الطلاق في أحوال معينة منها حالة زنا الزوجة وخيانتها لزوجها وبعض حالات أخرى زادوها على نص الإنجيل ، ولكنهم وإن أجازوا الطلاق لهذا السبب أوذاك ، يجرمون على المطلق والمطلقة أن يتعابجا بزوجية بعد ذلك . وأتباع المذهب الأرثوذكسي قد أجازت مجامعهم المليية في مصر الطلاق ، إذا زنت الزوجة كما نص الإنجيل ، وأجازوه لأسباب أخرى ، منها العقم لمدة ثلاث سنين والمرض المعدي والحصام الطويل الذي لا يرجى فيه صلح . وهذه أسباب خارجة على ما في الإنجيل . ومن أجل ذلك أنكر المحافظون من رجال هذا المذهب اتجاه الآخرين إلى إباحة الطلاق لهذه الأسباب ، كما أنكروا إباحة الزواج المطلق أو المطلقة بحال من الأحوال . وعلى هذا الأساس رفضت إحدى المحاكم المصرية المسيحية دعوى زوجة مسيحية تطلب الطلاق من زوجها لأنه معسر ، وقالت المحكمة في حكمها : « إنه من العجيب أن بعض القوامين على الدين من رجال الكنيسة وأعضاء المجالس الملي العام ، قد سايروا التطور الزمني ، فاستجابوا لرغبات ضعيفي الإيمان ، فأباحوا الطلاق لأسباب لا سند لها من الإنجيل .. وحكم الشريعة المسيحية قاطع في أن الطلاق غير جائز إلا لعلة الزنا . وترتب على زواج أحد المطلقين بأنه زواج مدنس ، بل هو الزنا بعينه » (٢).

(١) من شرح قسم الأبحاث الدينية بالمعهد القبطي الكاثوليكي لإنجيل متى من ٢٩

(٢) جريدة الاهرام بتاريخ ١/٣/١٩٥٦



### نتيجة تزمت المسيحية في الطلاق :

ولقد كان من نتيجة هذا التزمت الغريب من المسيحية في أمر الطلاق، وإهدار الطبيعة الإنسانية والمقتضيات الحيوية التي توجب الانفصال في بعض الأحيان - كان من نتيجة ذلك تمرد المسيحيين على دينهم ومرورهم من وصايا أنجيلهم ، كما يبرق السهم من الرمية . ولم يستطيعوا إلا أن «يفرقوا ماجمعه الله» ! فاصطنع أهل الغرب المسيحي قوانين مدنية تبيح لهم الخروج من هذا السجن المؤبد ، ولكن كثيراً منهم - كالأمر بكان أسرفوا وأطلقوا العنان في إباحة الطلاق - كأنهم يتجدون الإنجيل - وبذلك يوقعونه لأتفه الأسباب وأصبح عقلاؤهم يشكون من هذه الفوضى التي أصابت هذه الرابطة المقدسة ، والتي تهدد الحياة الزوجية ونظام الأسرة بالانهيار ، حتى أعلن احد قضاة الطلاق المشهورين هناك ، أن الحياة الزوجية ستزول من بلادهم وتحل محلها الإباحة والفوضى في العلاقة بين النساء والرجال في زمن قريب ، وهي الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الأسباب ، خلافاً لهداية جميع الأدبان ، إذ لادين ولاحب يربطهما ، بل الشهوات والتنقل في وسائل المسرات .

### كفر فريد في بابه :

« وهذه الظاهرة وهي السير في الأحوال الشخصية وفق قانون مدني ، يختلف عن تعاليم الدين ، لا تكاد توجد في غير شعوب الغرب المسيحي ، فجميع أهل الملل والنحل الأخرى حتى البرهميون والبوذيون والوثنيون والمجوس ، يسرون في أحوالهم الشخصية وفق تعاليم دياناتهم . وقد نجد من بينهم من استحدثت في الأحوال العينية قوانين مدنية تختلف عن تعاليم دينه . ولكننا لانجد من بينهم من استحدثت قوانين مدنية في الأحوال الشخصية - أي في شؤون الزواج والطلاق وما إلى ذلك - وأمكن لهذه الملل والنحل أن تسير الحياة العملية ، وتجاري طبيعة البشر في هذه الشؤون . والمسيحيون وحدهم هم الذين كفروا بدينهم من الناحية العملية في الأحوال الشخصية على العموم ، وفي شؤون الطلاق على الخصوص ؛

لانهم هم أنفسهم قد وجدوا أن تعاليمه في هذا الصدد تنكر الواقع ، وتجاهل طبيعة الإنسان ولا تصلح للتطبيق في الحياة» (١) .

### المسيحية كانت علاجاً مؤقتاً لاشريعة عامة :

وان صح ماجاء في الإنجيل بشأن الطلاق ، ولم يكن هذا من التغيير الذي أصاب الأناجيل في قرونها الأولى .. فلا شك أن الذي يتأمل في الأناجيل - حتى بوضعها الحاضر - يتبين له أن المسيح عليه السلام ، لم يكن يقصد إلى وضع شريعة عامة خالدة للناس جميعاً . ولما جاء ليقاوم تجاوز اليهود حدودهم فيما رخص الله لهم فيه ، كما صنعوا في أمر الطلاق . فقد جاء في الفصل التاسع عشر من إنجيل متى ، أن المسيح حين انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية إلى عبر الأردن ، دعا إليه الفريسيون ليجربوه قائلين : هل يحل للإنسان أن يطلق زوجته لأجل كل علة؟ (أي سبب) ، فأجابهم قائلاً : أما قرأتم أن الذي خلق الإنسان في البدء ذكر أو أنثى خلقهم ، وقال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته ، فيصيران كلاهما جسداً واحداً ، فليسا هما اثنين بعد ، ولكنهما جسد واحد ، وما جمعه الله فلا يفترقه الإنسان ، فقالوا له : فلماذا أوصى موسى أن تعطى (أي المرأة) كتاب طلاق وتخلي ؟ ! فقال لهم : إن موسى لأجل مساواة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولم يكن من البدء هكذا . وأنا أقول لكم : من طلق امرأته إلا لعلة زنى ، واخذ أخرى فقد زنى ومن تزوج مطلقة فقد زنى . فقال له تلاميذه : إن كانت هكذا حال الرجل مع امرأته فأجدر له ألا يتزوج ( متى ١٩ : ١-١٠ ) .

فالواضح من هذا الحوار ان المسيح لما اراد ان يجد من غلو اليهود في استعمال الإذن في الطلاق الذي اعطاهم موسى ، فعاقبهم بتحريم الطلاق عليهم ، إلا إذا زنت المرأة . فهو علاج مؤقت لفترة مؤقتة حتى تأتي الشريعة العامة الخالدة ببعثة محمد .

وليس من المعقول ان المسيح يريد هذا شرعاً ابدياً لكل الناس ، فإن حواريه واخلص

(١) من كتاب حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور علي عبد الواحد والي ص ٨٨

تلاميذه أنفسهم أعلنوا استنقالمهم لهذا الحكم العنيف وقالوا : « إن كان هذا شأن الرجل مع امرأته فأجدر له ألا يتزوج » ، فإن مجرد الزواج من امرأة يجعلها في عنقه غللاً لا يمكن الانفكاك عنه بحال ، مهما امتلأ قلبه من البغض لها والضيق بها والسخط عليها ، ومهما تنافرت طباعها واتجاهاتها .

وقديماً قال الحكيم : إن من أعظم البلايا مصاحبة من لا يوافقك ولا يفارقك .

وقال الشاعر العربي :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بُدّ

### قيود الاسلام للحد من الطلاق :

هذا وقد وضعت الشريعة الاسلامية الغراء قيوداً عديدة في سبيل الطلاق حتى ينحصر في أضيق نطاق مستطاع .

فالطلاق بغير ضرورة تقتضيه ، وبغير استنفاد الوسائل الأخرى التي ذكرناها - طلاق محرم محظور في الإسلام ؛ لأنه - كما قال بعض الفقهاء - ضرر بنفسه وبزوجته ، وإعدام للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة اليه فكان حراماً كإتلاف المال ، ولقول النبي ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار »<sup>(١)</sup> .

وأما ما يصنعه الذواقون المطلقون ، فهذا شيء لا يجه الله ولا رسوله ، قال عليه السلام : لا أحب الذواقين من الرجال والذواقات من النساء<sup>(٢)</sup> ، وأقل : « إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات »<sup>(٣)</sup> .

وقال عبد الله بن عباس : إنما الطلاق عن وطر .

### طلاق المرأة وهي حائض حرام :

وإذا وجد الوطر والضرورة التي تبرر الطلاق ، فليس مباحاً للمسلم أن يسارع اليه في أي وقت شاء ، بل لا بد من تخير الوقت المناسب .

(١) المغني لابن قدامة ج ٧ ص ٧٧ والحديث رواه ابن ماجه والدارقطني وله طرق .

(٢) الطبراني والدارقطني . (٣) الطبراني في « الكبير » بإسناد حسن .

والوقت المناسب - كما حددته الشريعة - أن تكون المرأة طاهراً ، ليس بها حيض ولا نفاس ، وألا يكون قد جامعها في هذا الطهر خاصة ، إلا إذا كانت حاملاً قد استبان حملها . ذلك أن حالة الحيض - ومثله النفاس - توجب اعتزال الزوج لزوجته ، فربما كان حرمانه أو توتر أعصابه ، هو الدافع إلى الطلاق ، لهذا أمر أن ينتظر حين ينتهي الحيض ثم تطهر ، ثم يطلقها قبل أن يمسي .

ويحرم عليه أن يطلقها في وقت الحيض كما يحرم عليه أيضاً أن يطلقها وهي طاهر بعد أن يكون قد اتصل بها ، فمن يدري لعلها علقته منه في هذه المرة ، ولعله لو علم بحملها لغير رأيه في فراقها ، ورضي العشرة معها من أجل الجنين الذي في بطنها . فإذا كانت طاهراً لم يمسي ، أو كانت حاملاً قد استبان حملها ، عرف أن الدافع له إلى الطلاق إنما هو النفرة المستحكمة ، فلا حرج عليه حينئذ أن يطلقها .

وفي « الصحيح » أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض ، على عهد رسول الله ﷺ ، فسأل عمر بن الخطاب عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال له : « مره فليراجعها ثم إن شاء طلقها وهي طاهر قبل أن يمسي ، فذلك الطلاق للعدة ، كما أمر الله تعالى في قوله تعالى ( يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ) أي مستقبلات عدتهن ، وذلك في حالة الطهر .

وفي رواية : مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً .

ولكن هل ينفذ الطلاق ويقع ، أم لا يقع ؟

المشهور أنه يقع ويكون المطلق آتياً .

وقال طائفة من الفقهاء : لا يقع ؛ لأنه طلاق لم يشرعه الله تعالى البتة ، ولا أذن

فيه فليس من شرعه ؛ فكيف يقال بنفوذه وصحته ؟

وقد روى أبو داود بسند صحيح أن ابن عمر سئل : كيف ترى في رجل طلق

امرأته حائضاً ؟ فقص على السائل قصته حين طلق امرأته وهي حائض ، وأن رسول الله

ﷺ ردها عليه ولم يرها شيئاً .

### الحلف بالطلاق حرام :

ولا يجوز للمسلم أن يجعل من الطلاق ميماً يحلف به على فعل هذا أو ترك ذلك، أو يهدد به زوجته : إن فعلت كذا فهي طالق .

فإن للبعين في الإسلام صيغة خاصة لم يأذن في غيرها ، وهي الحلف بالله تعالى ؛ قال رسول الله : « من حلف بغير الله فقد أشرك »<sup>(١)</sup> . « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »<sup>(٢)</sup> .

### المطلقة تبقى في بيت الزوجية مدة العدة :

والواجب في شريعة الإسلام أن تبقى المطلقة في بيتها - أي بيت الزوجية - مدة العدة ، ويحرم عليها أن تخرج من البيت ، كما يحرم على الزوج أن يخرجها منه بغير حق ، وذلك أن للزوج - طوال مدة العدة - أن يراجعها ويردها إلى حظيرة الزوجية مرة أخرى - إذا كان هذا هو الطلاق الأول أو الثاني - وفي وجودها في البيت قرباً منه إثارة لعواطفه وتذكير له أن يفكر في الأمر مرة ومرة قبل أن يبلغ الكتاب أجله ، وتنتهي أشهر العدة التي أمرت أن تتربصها استبراء للرحم ، ورعاية لحق الزوج وحرمة الزوجية ، والقلوب تتغير ، والأفكار تتجدد ، والغضب قد يرضى ، والتأثر قد يهدأ ، والكاره قد يجب .

وفي ذلك يقول الله تعالى في شأن المطلقات : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ عَنْهَا بَافَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدَ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُجْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ) سورة الطلاق : ١

وإن كان ولا بد من الفراق بين الزوجين ، فالمطلوب منها أن يكون بمعروف وإحسان بلا إيذاء ولا افتراء ولا إضاعة للحقوق . قال تعالى : ( فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ) الطلاق : ٢ . وقال : ( فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْمِيرُوحٌ بِإِحْسَانٍ ) الطلاق : ٢ . وقال : ( وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقَّقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ ) سورة البقرة : ٢٤١ .

(٢) مسلم .

(١) أبو داود والترمذي والحاكم .

### الطلاق مرة بعد مرة :

وقد منح الإسلام للمسلم ثلاث تطليقات في ثلاث مرات ، على أن يطلقها كل مرة في طهر لم يجامعها فيه طلقه واحدة ، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها ، فإن بدا له أن يمكها في العدة أمسكها ، وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها ، أمكن أن يردّها إليه بعقد جديد ، وإن لم يكن له فيها غرض لم يضره أن تتزوج بزواج غيره .

فإن أعادها إلى عصمته بعد الطلقة الأولى ، ثم حدث بينها النفور والشقاق مرة ثانية وعجزت الوسائل الأخرى عن تصفية الجو بينها ، فله أن يطلقها للمرة الثانية - على الطريقة التي ذكرناها - وله أيضاً أن يراجعها في العدة بغير عقد أو يعيدها بعد العدة بعقد جديد .

فإذا عاد فطلقها للمرة الثالثة كان هذا دليلاً واضحاً على أن النفرة بينها مستحكمة ، والوفاق بينها غير مستطاع . لهذا لم يجز له بعد التطليقة الثالثة أن يردّها إليه ، ولا تحل له بعد ذلك حتى تتكح زوجاً غيره زواجاً شرعياً صحيحاً مقصوداً لذاته لا مجرد تحليلها للزوج الأول . ومن هذا نرى أن المسلم الذي يجمع هذه المرات الثلاث في مرة واحدة أو لفظة واحدة قد ضاد الله فيما شرعه ، وانحرف عن صراط الإسلام المستقيم . وقد صح أن رسول الله ﷺ أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال : أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟! حتى قام رجل فقال : يا رسول الله ؛ ألا أقتله<sup>(١)</sup> .

### إمساك بمعروف أو تسريح باحسان

وإذا طلق الزوج زوجته وبلغت الأجل المحدد لها - أي قاربت عدتها أن تنقضي - كان على

الزوج أحد امرين :

أما أن يمكها بمعروف ، ومعنى ذلك : أن يراجعها بقصد الإحسان والإصلاح ، لا بقصد المشاكسة والإضرار .

وأما أن يسرحها ويفارقها بمعروف ، بأن يتركها حتى تنقضي عدتها ويتم الانفصال بينهما بلا تشويش ولا مضارة ، ولا مشاحة فيما لأحدهما على الآخر من حقوق .

(١) النساء .

ولا يحل له أن يراجعها قبيل انقضاء عدتها منه ، قاصداً إيداعها بإطاله العدة عليها ،

وحرمانها من التزوج بغيره أطول مدة يستطيعها . وهكذا كان يفعل اهل الجاهلية .

وقد حرم الله هذه المضارة للمرأة في محكم كتابه ، بأسلوب ترعد منه الصدور وتوجل

القلوب . قال تعالى : ( وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

أَوْ سَرِحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ .. وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِيَتَعْتَدُوا .. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

فَقَدَّ ظِلْمَ نَفْسِهِ .. وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعاً .. وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعِظُكُمْ بِهِ .. وَاتَّقُوا اللَّهَ ..

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) البقرة : ٢٣١

وبالتأمل في هذه الآية الكريمة نجد أنها قد اشتملت على سبع فقرات ، فيها تحذير بعد

تحذير ، وتذكير يتلوه تذكير ، ووعيد على إثر وعيد ، وكفى بذلك ذكرى لمن كان له قلب

أو ألقى السمع وهو شهيد .

### لا يجوز منع المطلقة عن الزواج بمن ترضى :

وإذا انقضت عدة المطلقة ، فلا يحل لزوجها أو وليها أو احد غيرهما ان يعرضها عن الزواج

بمن تريد ، ولا يعترض طريق رغبتها مادام الخاطب والمخطوبة قد تراضيا بينهما بالطريق

المعروف شرعاً و عرفاً .

فما يصنعه بعض المطلقين من محاولة افرض سيطرته على مطلقتها ، وتهديدها أو تهديد

اهلها إذا تزوجت بعده - إنما هو من عمل الجاهلية الجلاء .

ومثل هذا وقوف اهل المرأة وأوليائها في سبيل رجوعها الى مطلقها إذا أراد مراجعتها ،

وتراضيا سوياً ان يتراجعا بالمعروف ، ويرتقا ما كان بينهما من فتوق « والصِّلْحُ خَيْرٌ »

كما قال الله .

وفي هذه المعاني جاءت الآية الكريمة : ( وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

تَعْضَلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ . ذَلِكَ

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ

وَأَطْهَرُ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) البقرة : ٢٣٢

### حق الزوجة الكارهة :

والمرأة إذا كرهت زوجها ولم تعد تطيق عشرته أن تقدي نفسها منه، وتشتري حريتها برداً ما كان دفع لها من مهر وهدايا أو أقل منها أو أكثر حسب تراخيها، والأولى ألا يأخذ منها أكثر مما بذل لها من قبل ، قال تعالى : ( فَبِأَن خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حَدُودَ اللَّهِ فَتَلَا بُجُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ) البقرة : ٢٢٩ .

وقد جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ ، وقالت : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعيب عليه في خلق ولادين ولكني لأطيقه بضعاً ، فسألها عما أخذت منه فقالت : حديقة ، فقال لها : أتردن عليه حديقتك ؟ قالت : نعم ، فقال النبي ﷺ لثابت : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة<sup>(١)</sup> .

ويحرم على الزوجة أن تسارع إلى طلب الطلاق من زوجها بغير ما بأس من جهته ، ولا داع مقبول يؤدي إلى التفريق بينهما . قال عليه السلام : « أما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة »<sup>(٢)</sup> .

### مضارة الزوجة حرام :

ولا يجزى للزوج أن يضار زوجته ويسيء عشرتها لتقدي نفسها منه برد ما آتاها من المال كله أو بعضه ، ما لم تأت بفاحشة مبينة . وفي ذلك يقول الله : ( وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ) النساء : ١٩

ويحرم عليه إذا كان هو الكاره الراغب في فراقها طموحاً إلى غيرها أن يأخذ منها شيئاً كما قال سبحانه : ( وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُوتَهُنَّ بِهَتَّاتِنَا وَآثِمًا مُّبِينًا ، وَكَيْفَ تَأْخُذُوتَهُنَّ وَقَدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) سورة النساء : ٢٠ ، ٢١

(١) رواه البخاري والنسائي . (٢) أبو داود .



### الحلف على هجر الزوجة حرام

ومن روائع الإسلام في رعاية حق المرأة تحريمه على الزوج أن يغضب زوجته في هجر فراشها ، ويمتنع عن قربانها مدة لا تحتملها أنوثتها . فإذا أكثد هذا الهجر يمين منه ألا يقربها ( لا يجامعها ) أعطي مهلة أربعة أشهر ، عسى أن تهدأ فيها نفسه ، وتسكن ناثرة غضبه ويراجع ضميره . فإذا عاد الى رشده واتصل بها قبل انقضاء الأشهر الأربعة او في آخرها ، فإن الله يغفر له ما فرط منه ، ويفتح له باب التوبة الفسيح . وعليه أن يكفّر عن يمينه .

وإذا مضت هذه المدة ولم يرجع عن عزمه ، ويتحلل من يمينه ، فإن امرأته تطلق منه جزاءً وفاقاً على ما أهمل في حقها .

ومن الفقهاء من يطلقها عليه بمضي المدة المذكورة بغير انتظار لقضاء قاض أو حاكم . ومنهم من يشترط رفع الأمر إلى الحاكم بعد مضي المدة ، فيخيره بين مراجعة نفسه وإرضاء زوجه وبين الطلاق ، وليختار لنفسه ما يحلو .

وهذا الحلف على عدم قربان الزوجة هو المعروف في الشريعة باسم « الإيلاء » وفيه جاء قول الله تعالى : ( لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ - أَيِ يَحْلِفُونَ عَلَى الْبَعْدِ عَنْهُنَّ - تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، فَإِنْ قَاؤُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) سورة البقرة : ٢٢٦ ، ٢٢٧

ولمّا حددت المهلة بأربعة أشهر ، اتكون فرصة كافية ليراجع الرجل فيها نفسه ويثوب إلى رشده ، ولأنها في العادة أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها . وفي هذا يروي المفسرون قصة عمر رضي الله عنه حين كان يعس بالليل فسمع امرأة تنشد :  
لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا خليل الأعبه  
فوالله ، لولا الله نخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

وقد بحث عمر عن قصتها فعرف أن زوجها غائب في كتاب المجاهدين من زمن طويل ، فسأل ابنته حفصة ما أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها ؟ قالت : أربعة أشهر .  
وعندئذ عزم أمير المؤمنين ألا يغيب زوجاً عن امرأته أكثر من أربعة أشهر .

## بين الوالدين والاولاد

الاسلام يحفظ الأنساب :

الولد سر أبيه ، وحامل خصائصه ، وهو في حياته قرّة عينه ، وهو بعد مماته امتداد لوجوده ، ومظهر لخلوده . يرث منه الملامح والسمات ، والخصائص والمميزات يرث الحسن منها والقبیح ، والجيد والرديء . هو بضعة من قلبه ، وفلذة من كبده . لهذا حرم الله الزنا ، وفرض الزواج ، حتى يصون الأنساب ، ولا تختلط المياه ، ويعرف الولد من أبوه ، ويعرف الوالد من بناته وبنوه ؟ فبالزواج تختص المرأة برجلها ويحرم عليها أن تحونه ، أو تسقي زرعه بماء غيره . وبذلك يكون كل من تلدهم في فراش الزوجة اولاد زوجها . بدون أن يحتاج ذلك إلى اعتراف أو إعلان من الأب أو دعوى من الأم فالولد للفراش <sup>(١)</sup> كما قال رسول الإسلام .

لا يجوز للأب أن ينكر نسب ابنه :

ومن هنا لا يحل للزوج أن ينكر نسب ولد ولدته زوجه في فراشه أي في حالة قيام زوجية صحيحة بينها . فإن إنكاره هذا يلحق أكبر الضرر ، وأقبح العار بالزوجة والولد فلا يباح له الإقدام عليه لشك عارض أو وهم طارئ أو إشاعة خبيثة . أما إذا جزم بأن امرأته خاتمه بأدلة تجمعت لديه ، وقرائن لا يستطيع أن يدفعها عن نفسه ، فإن شريعة الإسلام لم ترض أن تدعه يربي من يعتقد أنه ليس بابن له ، ويورث من لا يرثه في رأيه ، أو على الأقل يكون فريسة للشك طول حياته . وقد جعلت الشريعة له مخرجاً من ذلك بما عرف في الفقه باسم «العان» فمن تأكد أو ظن ظناً راجحاً أن زوجته قد لوّث فراشه بماء غيره وجاءت بولد من ذلك الغير وليس له بينة على ذلك فله أن يرفع ذلك إلى القاضي ويجري القاضي بينهما

(١) متفق عليه .

الملاعنة التي فصلها القرآن الكريم في سورة النور : ( والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فشهادة أحدٍهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، وبدراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ) سورة النور : ٧ ثم يفرق بينها إلى الأبد ، ويلحق الولد بأمه .

### التبني حرام في الاسلام :

وإذا كان الأب لا يجوز له أن ينكر نسب من ولد في فراشه ، فإنه لا يحل له كذلك أن يتبنى من ليس بابن له من صلبه . وقد كان العرب في الجاهلية كغيرهم من الأمم في التاريخ يلحقون بأنسابهم وأسرهم من شاءوا عن طريق التبني ، فلرجل أن يضيف إلى بنوته من يختاره من الفتيان ، ويعلن ذلك فيصبح واحداً من أبنائه وأسرته له ما لهم وعليه ما عليهم ويحمل بذلك اسم الأسرة ويكون له حقوقها . ولم يكن يمنع هذا التبني أن يكون للفتى المتبنى أب معلوم ونسب معروف .

جاء الإسلام فوجد هذا التبني منتشرأ في المجتمع العربي ، حتى إن النبي ﷺ نفسه كان قد تبني زيد بن حارثة في الجاهلية ، وهو فتى عربي سبي صغيراً في غارة من غارات العرب في الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة ، ثم وهبته للنبي ﷺ بعد أن تزوجته ولما عرف أبوه وعمه مكانه ، وطلباه من النبي ﷺ ، خيره النبي ﷺ ، فما كان منه إلا أن اختار رسول الله ﷺ على أبيه وعمه ، فأعتقه النبي ﷺ وتبناه وأشهد على ذلك القوم . وعرف منذ ذلك الحين باسم « زيد بن محمد » وكان أول من آمن به من الموالي .

ماذا كان رأي الإسلام في هذا النظام الجاهلي ؟

لقد رأى بحق أن التبني تزوير على الطبيعة والواقع ، تزوير يجعل شخصاً غريباً عن أسرة فرداً منها ، يخلو بنسائها على أنهن محارمه وهن عنه غريبات فلا زوجة الرجل المتبنى أمه ولا بنته أخته ، ولا أخته عمته . : إنما هو أجنبي عن الجميع .

ويرث هذا الابن المدعى من الرجل أو المرأة على أنه ابنهما ، ويحجب ذوي القربى  
الأصلاء المستحقين . وما أكثر ما يحقد الأقارب الحقيقيون على هذا الدخيل الذي عدا  
عليهم فأغتصب حقوقهم ، وحال بينهم وبين ما كانوا يرجون من ميراث . وما أكثر ما يثور  
هذا الحقد ، ويورث نار الفتن ، ويقطع الأواصر والأرحام !!

لهذا أبطل القرآن هذا النظام الجاهلي ، وحرمه تحريماً باتاً ، وألغى آثاره كلها ، قال  
تعالى : ( وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ  
وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ  
فِإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ) سورة الأحزاب : ٤ ، ٥ .

ولنتأمل هذه الكلمة القرآنية الناصحة ( وما جعل ادعاءكم أبناءكم ذلكم قَوْلُكُمْ  
بأفواهكم ) أي إن التبني إنما هو كلمة فارغة ليس وراءها حقيقة خارجية .

إن الكلام باللسان لا يبدل الحقائق ، ولا يغير الواقع ، ولا يجعل الغريب قريباً ،  
ولا الأجنبي أصيلاً ، ولا الدعي ولداً . الكلام بالفم لا يجري في عروق المتبني دم المتبني ،  
ولا يخلق في صدر الرجل حنات الأبوة ، ولا في قلب الغلام عواطف البنوة ، ولا يورثه  
خصائص الفضيلة ، ولا ملامح الأسرة الجسدية والعقلية والنفسية .

وقد ألغى الإسلام كل الآثار التي كانت تترتب على هذا النظام من إرث وتحريم  
للزواج من حليلة المتبني .

ففي الإرث لم يجعل القرآن لغير صلة الدم والزوجة والقربة القرابة الحقيقية قيمة وسببا  
في الميراث ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ) آخر سورة الأنفال  
وفي الزواج أعلن القرآن أن من المحرمات حلالات الأبناء الحقيقيين لا الأعداء  
( وحلائلُ أبنائكم الذين من أصلابكم ) سورة النساء : ٢٤ فيباح للرجل أن  
يتزوج حليلة متبناه لأنها امرأة إنسان غريب عنه في الواقع ، فلا بأس أن يتزوجها إذا  
طلقها الآخر .

### إبطال التبني بالتشريع العملي بعد التشريع القولي :

ولم يكن هذا الأمر سهلاً على الناس، فقد كان التبني نظاماً اجتماعياً عميق الجذور في حياة العرب . فشاعت حكمة الله ألا يكتمني في هدمه وإهدار آثاره بالقول وحده بل بالقول والعمل جميعاً .

واختارت الحكمة الإلهية لهذه المهمة رسول الله ﷺ نفسه ، ليزيل كل شك ، ويدفع كل حرج عن المؤمنين في إباحة زواج مطلقات أديعتهم ، وأن يوقنوا أن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله . وكان زيد بن حارثة الذي عرفنا أنه كان يقال له زيد بن محمد قد تزوج زينب بنت جحش ، ابنة عمه النبي . وقد اضطربت بينها العلائق وكثرت شكوى زيد من زوجته إلى النبي ﷺ ، والنبي يعلم - بما نعت الله في روعه - أن زيداً مطلقها ، وأنه متزوجها بعده ولكن الضعف البشري غلب عليه في بعض اللحظات فخشى مواجهة الناس فكان يقول لزيد كلما شكاه : أمسك عليك زوجك واتق الله .

وهنا نزل القرآن يعاتب النبي ﷺ ، وفي الوقت نفسه يشد أزره في مواجهة المجتمع ، بتعظيم بقايا هذا النظام القديم والتقليد الراسخ ، الذي يجرم على الرجل أن يتزوج امرأة متبناه الغريب عنه . قال تعالى : ( وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ ) وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ( بالعتق ، وهو زيد ) أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَنًا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ . إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ) الأحزاب : ٣٧ . ثم مضى القرآن بحامي عن رسول الله ﷺ في هذا العمل ويؤكد إباحته ويرفع الحرج عنه : ( مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا . الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ

وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا . مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا )  
الأحزاب : ٣٨-٤٠ .

### التبني بمعنى التربية والرعاية :

ذلك هو التبني الذي أبطله الإسلام ، هو الذي يضم فيه الرجل طفلاً إلى نفسه ، يعلم أنه ولد غيره ، ومع هذا يلحقه بنسبه وأسرته ، ويثبت له كل أحكام البنوة وآثارها من إباحة اختلاط وحرمة زواج واستحقاق ميراث . وهناك نوع يظنه الناس تبنيًا وليس هو بالتبني الذي حرمه الإسلام . وذلك أن يضم الرجل إليه طفلاً يتيمًا أو لقيطاً ، ويجعله كابنه في الحنو عليه والعناية به والتربية له ، فيحضنه ويطعمه وبكسوه ويعلمه ويعامله كأنه ابنه من صلبه ، ومع هذا لم ينسبه لنفسه ولم يثبت له أحكام البنوة المذكورة . فهذا أمر محمود في دين الله ، يستحق صاحبه عليه المثوبة في الجنة وقد قال عليه السلام : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا . وأشار بالسبابة والوسطى . وفرج بينهما »<sup>(١)</sup> واللقيط في معنى اليتيم . وهو بعد ذلك أولى ما يطلق عليه « ابن السبيل » الذي أمر برعايته الإسلام .

وإذا لم يكن للرجل ذرية وأراد أن ينفع هذا الولد بشيء من ماله ، فله أن يهبه مائشاً في حياته ، وأن يوصي له في حدود الثلث من التركة قبل وفاته .

### التلقيح الصناعي :

وإذا كان الإسلام قد حمى الأنساب بتحريم الزنا وتحريم التبني ، وبذلك تصفوا الأسرة من العناصر الغربية عنها . فإنه يحرم ما يعرف « بالتلقيح الصناعي » إذا كان التلقيح بغير نطفة الزوج بل يكون في هذه الحالة - كما قال الاستاذ الأكبر الشيخ شلتوت - جريمة منكرة وإثماً عظيماً ، يلتقي مع « الزنا » في إطار واحد : جوهرهما واحد ، ونتيجتهما واحدة وهي وضع ماء رجل أجنبي قصداً في حرت لیس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجة

(١) البخاري وأبو دارد والترمذي .

شرعية يظلمها القانون الطبيعي ، والشريعة السماوية ، ولولا قصور في صورة الجريمة ، لكان حكم التلقيح في تلك الحالة ، هو حكم الزنا الذي حددته الشرائع الإلهية ، ونزلت به كتب السماء .

وإذا كان التلقيح البشري بغير ماء الزوج على هذا الوضع وبذلك المنزلة كان دون شك أفظع جرمًا ، وأشد نكرًا من التبيي . . فإن ولد التلقيح يجمع بين نتيجة التبيي المذكور ، وهي إدخال عنصر غريب في النسب ، وبين خسة أخرى وهي التقاؤه مع الزنا في اطار واحد تنبو عنه الشرائع والقوانين ، وينبو عنه المستوى الإنساني الفاضل ، وينزلق به إلى المستوى الحيواني الذي لا شعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة « (١) .

### انتساب الولد إلى غير أبيه يوجب العنة :

وكما حرم الإسلام على الأب أن ينكر نسب ولده بغير حق ، حرم على الولد أن ينتسب لغير نسه ، ويدعى إلى غير أبيه ، وعدّ النبي ﷺ ذلك من المنكرات الشنعاء التي تستوجب لعنة الخالق والخلق . روى ذلك من فوق المنبر علي رضي الله عنه من صحيفة كانت عنده ، عن رسول الله ﷺ وفيها يقول : « من ادعى إلى غير أبيه أو انتهى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » (٢) أي توبة ولا فدية .

وعن سعد بن أبي وقاص عنه ﷺ أنه قال : « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه ، فالجنة عليه حرام » (٣) .

### لاقتلوا أولادكم :

بعد أن حفظ الإسلام الأنساب على هذا النحو ، أوجب لكل من الولد والوالد حقوقاً على الآخر ، تقتضيها الوالدية والبنوة . وحرم على كل منها أموراً تقتضيها صيانة هذه الحقوق ورعايتها .

(١) انظر الفتاوى للشيخ شنتوت ص ٣٠٠ . (٢) متفق عليه . (٣) متفق عليه .

فلولد حق الحياة . وليس لآبيه ولا أمه أن يعتدي على حياته بالقتل أو الوأد، كما كان يصنع بعض العرب في الجاهلية - والبنت والابن في ذلك سواء قال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ، إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) الإسراء: ٣١ (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) التكويد: ٨، ٩ . ومهما يكن الدافع الى هذا المنكر - اقتصادياً كخشية الفقر وضيق الرزق، أو غير اقتصادي كخشية العار اذا كان المولود بنتاً - فإن الإسلام يحرم هذا العمل الوحشي أشد التحريم، لأنه قتل وقطيعة رحم ، وعدوان على نفس ضعيفة . ولذلك سئل عليه السلام: أي الذنب أعظم؟ فقال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك! قيل ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك<sup>(١)</sup> .

وقد بايع النبي النساء - كالرجال - على تحريم هذه الجريمة والانهاء عنها ( أن لا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ سَيِّئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ ) سورة الممتحنة : ١٢ .

ولولد حق الرعاية ، والتربية والنفقة ، فلا يجوز إهماله أو إضاعته .

قال عليه السلام : « كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته »<sup>(٢)</sup> « كفى بالمرء اثماً أن يضع من يقوت »<sup>(٣)</sup> « إن الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته »<sup>(٤)</sup> .

### التسوية بينهم في العطاء :

ويجب على الأب أن يسوي بين أولاده في العطية حتى يكونوا له في البوسواء، ويجرم عليه أن يؤثر بعضهم بمنحة أو عطاء بغير مبرر ولا حاجة ، فيوغر صدور الآخرين، ويوقد بينهم نار العداوة والبغضاء والأم كالأب في ذلك .

قال عليه السلام «اعدلوا بين أبنائكم . اعدلوا بين أبنائكم . اعدلوا بين أبنائكم »<sup>(٥)</sup> وقصة هذا الحديث أن امرأة بشير بن سعد الأنصاري طلبت إليه أن يخص ولدها النعمان

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه . (٣) أبو داود والنسائي والحاكم .

(٤) ابن حبان في «صحيحه» . (٥) أحمد والنسائي وأبو داود .



ابن بشير بمنحة مالية - كحديقة أو عبد - وأرادت توثيق هذه الهبة فطلبت منه أن يشهد على ذلك رسول الله ﷺ ، فذهب إليه فقال : يا رسول الله ، إن ابنة فلان - زوجته - سألتني أن أنحل ابنها غلامي - عبيدي - فقال ﷺ : « له اخوة ؟ قال : نعم . قال : فكلمهم أعطيت مثل ما أعطيت ؟ قال : لا . قال : فليس يصلح هذا ، وإنني لا أشهد إلا على حق » (١) « لا تشهدني على جور . إن لبنك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما لك عليهم من الحق أن يبروك » (٢) « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » (٣) .

وعن الإمام أحمد أن التفاضل يجوز إن كان له سبب كأن يحتاج الولد لزمانة (عاهة به) أو نحو ذلك دون الباقيين (٤) .

### الوقوف في الميراث عند حدود الله :

ومثل ذلك الميراث ، فلا يحل لوالد أن يحرم بعض أولاده من الميراث : لا يحل له أن يحرم الإناث أو يحرم أولاد زوجة غير محظية عنده .

كما لا يحل لقريب أن يحرم قريبه المستحق من الميراث بحيلة يصطنعها ، فإن الميراث نظام قرره الله بعلمه وعدله وحكمته ، وأعطى به كل ذي حق حقه ، وأمر الناس أن يفتقروا فيه عند ما حده وشرعه . فمن خالف هذا النظام في تقسيمه وتحديدده فقد اتهم ربه . وقد ذكر الله شؤون الميراث في ثلاث آيات من القرآن قال في ختام الآية الأولى : ( أَبَاؤَكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ، لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ) سورة النساء : ١١

وقال في ختام الآية الثانية : ( غَيْرَ مُضَارٍّ ، وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) مسلم وأحمد وأبو داود . (٢) رواية أبي داود . (٣) الشيخان .

(٤) قال في « المفتي » : فإن خص بعضهم لمن يقتضي تخصيصه مثل اختصاصه بحاجة أو زمانة أو عمى أو كثرة عائلة أو اشتغاله بالعلم أو نحوها من الفضائل . أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعته أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها ، فقد روي عن أحمد ما يدل على جواز ذلك ، لقوله في تخصيص بعضهم بالوقف : لا بأس به إذا كان حاجة واكمه على سبيل الإثارة ، والعطية في معناه »

خَالِدِينَ فِيهَا . وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِرِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (سورة النساء : ١٢، ١٣)  
 وقال تعالى في ختام الآية الأخيرة من الميراث : ( يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَقْضُوا  
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) (سورة النساء آخر السورة .  
 فمن خالف عما شرع الله في الميراث فقد ضل عن الحق الذي بيّنه الله ، واعتدى حدود  
 الله عز وجل ، فيلنظر وعيد الله ( نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ) .

### عقوق الوالدين من الكبائر :

وللوالدين على الولد حقوق تتمثل في البر والطاعة والإكرام . وهو ما تنادي به الفطرة  
 ويوجبها الوفاء والعرفان بالجميل . ويتأكد ذلك في حق الأم ، فإنها قاست من آلام الحمل  
 والوضع والإرضاع والتربية ما قاست . قال تعالى : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ  
 إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ، وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا )  
 سورة الأحقاف : ١٦ .

وجاء رجل يسأل النبي ﷺ : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك قال : ثم  
 من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك <sup>(١)</sup>  
 وجعل النبي عليه السلام عقوق الوالدين من أكبر الكبائر ، وجعل مرتبته بعد الشرك  
 بالله تعالى - كما هو صنيع القرآن - ففي « الصحيحين » : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟  
 ثلاثة . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس  
 فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور » .

وقال عليه السلام : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، والرجلة  
 (المتشبهة بالرجال) » <sup>(٢)</sup>

وقال : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة ، إلا عقوق الوالدين ،  
 فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات » <sup>(٣)</sup> .

(١) متفق عليه . (٢) النسائي والبخاري بإسنادين جيدين والحاكم . (٣) الحاكم وصححه إسناده .

وأكد الوصية بالوالدين حين يبلغان الكبر ، فتهن قوتها ، وتشتد حاجتها الى مزيد من العناية بشؤونها ، والرعاية لمشاعرهما المرهفة. وفي ذلك يقول القرآن : ( وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً . واخفص لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ) سورة الأسراء : ٢٣ ، ٢٤ . وقد ورد في الآثار تعقيباً على هذه الآيات : لو علم الله في العقوق شيئاً أدنى من أف حرمة .

### التسبب في سب الوالدين من الكبائر :

وأكثر من ذلك أن رسول الله ﷺ يجعل تسبب الولد في لعن أبويه من المحرمات ، بل من كبائر الذنوب . قال : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . فاستغرب القوم أن يلعن رجل عاقل مؤمن والديه وهما سبب حياته ، فقالوا : وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » (١) . فكيف بمن يسبها في وجهها ؟!

### التطوع للجهاد بغير إذن الوالدين لا يجوز :

ولحرص الإسلام على رضا الوالدين حرّم على الولد أن يتطوع للجهاد بغير إذن من أبويه ، مع ما للجهاد في سبيل الله من منزلة في الإسلام لا تعد لها منزلة قائم الليل ، ولا صائم النهار . عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد ، فقال أحى والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيها فجاهد » (٢) أي اجعل ميدان جهادك برهما ورعايتهما . وفي رواية عنه قال : « أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله . قال : فهل من والدك أحد حي ؟ قال : نعم ، بل كلاهما

(١) متفق عليه .

حي<sup>١</sup> . قال : أفتبغني الأجر من الله ؟ قال : نعم . قال : فارجع إلى والدك فأحسن صحبتها<sup>(١)</sup> . وعنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : جئت أبايعك على الهجرة ، وتركت أباي بيكيان . فقال : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما »<sup>(٢)</sup> .  
وعن أبي سعيد أن رجلاً من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال : « هل لك أحد باليمن ؟ قال : أبواي . قال : أذن لك ؟ قال : لا . قال : فارجع إليهما فاستأذنها ، فإن أذن لك فجاهد ، وإلا فبرهما »<sup>(٣)</sup> .

### الولدات المشركان :

ومن أروع ما جاء به الإسلام في معاملة الوالدين أنه حرّم عقوقهما ولو كانا مشركين كافرين ، بل ولو كانا مبالغين في شركهما ، داعين إليه بحيث يحاولان ويجاهدان أن يقتنا ابنهما المسلم عن دينه . وفي ذلك يقول تعالى : ( أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مِمَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ لِي ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ) سورة لقمان : ١٤ ، ١٥ .

فقد أمر المسلم في هاتين الآيتين ألا يطيعهما فيما يحاولانه ويأمرانه به ، إذ لا طاعة لخلق في معصية الخالق . وأي معصية أكبر من الشرك بالله ؟ ولكنه أمر أن يصاحبهما في الدنيا معروفاً ، غير متأثر بموقفهما من إيمانه ، بل متبعاً سبيل من أناب إلى الله من المؤمنين الأبرار ، تاركاً الحكم بينه وبينهما إلى أحكم الحاكمين - يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، وهذه قمة التسامح لم يبلغها دين من الأديان .



## الفصل الرابع

### الحلال والإحرام في الحياة العامة للمسلم

- في المعتقدات والتقاليد
- في المعاملات
- في اللهو والترفيه
- في العلاقات الاجتماعية
- في علاقة المسلم بغير المسلم

## في المعتقرات والتقاليد

المعتقيدة السليمة هي أساس المجتمع الإسلامي ، والتوحيد هو جوهر هذه العقيدة ، وروح الإسلام كله . وحماية هذه العقيدة وهذا التوحيد الخالص ، هو أول ما يسعى إليه الإسلام في تشريعه وفي إرشاده . ومحاربة المعتقدات الجاهلية التي أساءتها الوثنية الضالة أمر لا بد منه لتطهير المجتمع المسلم من سوائب الشرك وبقايا الضلال .

### احترام سنن الله في الكون :

وكان من أول العقائد التي غرسها الإسلام في نفوس أبنائه : أن هذا الكون الكبير الذي يعيش الإنسان فوق أرضه وتحت سماءه ، لا يسير جزافاً أو يمشي على غير هدى ، كما أنه لا يسير وفق هوى أحد من الخلق ، فإن أهواءهم - مع عماها وضلالها - متضاربة متنافرة ( وَكَو اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ )

سورة المؤمنون : ٧١

ولكن هذا الكون مربوط بقوانين مطردة ، وسنن ثابتة ، لا تتبدل ولا تتحوّل كما أعلن القرآن ذلك في غير آية ( فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ) فاطر : ٤٣ .

وقد تعلم المسلمون من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، أن يحترموا هذه السنن الكونية ، ويطلبوا المسببات من أسبابها التي ربطها الله بها ، ويعرضوا عما يقال عن الأسباب الخفية المزعومة التي يلجأ إليها ويروجها عادة سدنة المعابد ، ومحترفو الدجل ، والمتاجرون بالأديان .

### حرب على الأوهام والخرافات :

وقد جاء النبي ﷺ فوجد في المجتمع طائفة من الدجالين تعرف باسم « الكهّان » أو « العرافين » الذين يدّعون معرفة الغيوب الماضية أو المستقبلية ، عن طريق اتصالمهم بالجن

أو غير ذلك ، فأعلن الرسول ﷺ الحرب على هذا الدجل الذي لا يقوم على علم ولا هدى ولا كتاب منير .

وتلا عليهم ما أوحى الله به ( قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ) النحل : ٦٥ . فلا الملائكة ولا الجن ، ولا البشر يعلمون الغيب .

وأعلن عليه السلام بأمر ربه : ( وَكَو كُنْتُمْ أَغْلَمُ الْغَيْبِ لَا سْتَكْتُمْتُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ ، إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) سورة الأعراف : ١٨٨

وأخبر تعالى عن جن سليمان : ( أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ السَّعِيرِ ) .

فمن ادعى معرفة الغيب الحقيقي ، فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس . وقد وصلنا جاء بعض الوفود إلى النبي ﷺ ، فظنوا أنه من يزعمون الاطلاع على الغيب ، فخبأوا له شيئاً في أيديهم ، وقالوا له : أخبرنا ماهو؟ فقال لهم في صراحة : «إني لست بكاهن ، وإن الكاهن والكهانة والكهان في النار .»

### تصديق الكهان كفر :

ولم تقتصر حملة الإسلام على الكهان والدجالين وحدهم ، بل أشرك معهم في الإثم من يجيئونهم ويسألونهم ويصدقونهم في أوهامهم وتضليلهم .

قال عليه الصلاة والسلام : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء ، فصدقه بما قال ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »<sup>(١)</sup> .

وقال : « من أتى كاهناً فصدقه بما قال ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »<sup>(٢)</sup> . ذلك أن ما أنزل على محمد ﷺ أن الغيب لله وحده ، وأن محمداً لا يعلم الغيب ولا يعلمه غيره من باب أولى ( قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ، إِنِّي نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ) .

(١) مسلم . (٢) البزار باسناد جيد قوي .

فإذا عرف المسلم هذا من قرآنه صريحاً واضحاً ، ثم صدق أن بعض الخلق يكشفون  
أستار القدر، ويعلمون ما يمكنه صدر الغيب من أسرار ، فقد كفر بما أنزل الله على رسوله .

### الاستقسام بالأزلام :

وللحكمة التي ذكرناها حرم الإسلام الاستقسام بالأزلام .  
والأزلام - وتسمى القداح - هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية مكتوب على  
أحدها : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي . والثالث غفل من الكتابة . فإذا أرادوا  
سفرأ أو غزواً أو زواجاً أو نحو ذلك ، أتوا إلى بيت الأضنام - وفيه الأزلام - فاستقسموها  
أي طلبوا علم ما قسم لهم من السفر والغزو ونحوه ، فإن خرج السهم الأمر أقدموا على  
الأمر وإن خرج السهم الناهي أحجموا وأمسكوا عنه ، وإن خرج الغفل أجلوها مرة أو  
مرات أخرى ، حتى يخرج الأمر أو الناهي .

وبشبه هذا في مجتمعنا ضرب الرمل والودع ، وفتح الكتاب والكوتشينة ، وقراءة  
الغنجال ، وكل ما كان من هذا القبيل . وكل هذا حرام منكر في الإسلام .

قال تعالى بعد أن ذكر ما حرم على عباده من الأطعمة ( وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ  
ذَلِكُمْ فِسْقٌ ) المائدة : ٣ . وقال النبي ﷺ : « لا ينال الدرجات العلى من تكهن أو  
استقسام ( أي بالأزلام ) أو رجوع من سفر تطيرا » (١) .

### السحر :

ومن ذلك أن الإسلام قاوم السحر والسحرة ، وقال القرآن فيمن يتعلمون السحر :

( وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ) البقرة : ١٠٢

وقد عد النبي ﷺ السحر من كبائر الذنوب الموبقات ، التي تهلك الأمم قبل الافراد ،  
وتردي أصحابها في الدنيا قبل الآخرة . قال : « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله  
وما هي ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الزبا ،  
وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٢) .

(١) الطبراني باسنادين رواه أحدهما ثقات . (٢) متفق عليه .



وقد اعتبر بعض فقهاء الإسلام السحر كفراً ، أو مؤدياً إلى الكفر ، وذهب بعضهم إلى وجوب قتل الساحر تطهيراً للمجتمع من شره .

وعلمنا القرآن الاستعاذة من شر أرباب السحر (وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) سورة الفلق : ٤ ، والنفت في العقد من طرائق السحرة وخواصهم ، وفي الحديث : « من نفت في عقدة فقد سحر ومن سحر فقد أشرك » (١) .

وكما حرم الإسلام على المسلم الذهاب إلى العرافين لسؤالهم عن الغيوب والأسرار ، حرم عليه أن يلجأ إلى السحر أو السحرة لعلاج مرض ابتلي به ، أو حل مشكلة استعصت عليه ، فهذا ما برىء رسول الله ﷺ منه ، قال : « ليس منا من تطير أو تطيّر له ، أو [تكهن أو تكهنن له أو سحر أو سحر له] » (٢) .

ويقول ابن مسعود : « من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » (٣) .

ويقول الرسول ﷺ : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم » (٤) .

فالحرمة هنا ليست على الساحر وحده ، وإنما هي تشمل كل مؤمن بسحره مشجع له ، مصدق لما يقول .

وتشدد الحرمة وتفحش إذا كان السحر يستعمل في أغراض هي نفسها محرمة ، كالتفريق بين المرء وزوجه ، والإضرار البدني ، وغير ذلك مما يعرف في بيئة السحارين .

### تعليق التأمم ( الأحجية ) :

ومن هذا الباب تعليق التأمم والودع ونحوها ، على اعتقاد أنها تشفي من المرض أو تقي منه ، ولا زال في القرن العشرين من يعلق على بابه حذاء فرس ، ولا زال بعض المضللين إلى اليوم في كثير من بلاد الدنيا يستغلون جهل الدماء ، ويكتبون لهم أحجية وعناثم ، يخطون فيها خطوطاً وطلاسم ، ويتلون عليها أقساماً أو عزائم ، ويزعمون أنها تحرس حاملها من اعتداء الجن ، أو مس العقارب ، أو شر العين والحسد ، إلى آخر ما يزعمون .

(١) النسائي (٢) البرازي بإسناد جيد (٣) البرازي وأبو يعلى بإسناد جيد (٤) ابن حبان في « صحيحه »

وللوقاية والعلاج طرق معروفة شرعها الإسلام ، وأنكر على من تركها واتجه إلى طرق الدجاجة المضلين .

قال عليه السلام : « تداووا فإن الذي خلق الداء خلق الدواء »<sup>(١)</sup>  
وقال : « إن كان في شيء من أدويتكم خير ، ففي هذه الثلاثة : شربة عسل ، أو شرطة بحجم ، أو كية بنار »<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأنواع الثلاثة تشمل بروحها وبالقياس عليها في عصرنا ، ما يتناول من الدواء بطريق القم ، والتداوي بطريق العملية الجراحية ، والتداوي بطريق السكي ، ومنه العلاج بالكهرباء .

أما تعليق خرزة أو ودعة أو حجاب ، أو قراءة بعض الرقي المطلسة ، للعلاج أو الوقاية . فهو جهل وضلال يصادم سنن الله ، وينافي توحيده .

عن عقبه بن عامر أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله ﷺ ، فباع تسعة ، وأمسك عن رجل منهم ، فقالوا : ما شأنه ؟

فقال : إن في عضده تميمة !

فقطع الرجل التيممة ، فباعه رسول الله ﷺ ثم قال : « من علق فقد أشرك »<sup>(٣)</sup>.  
وفي حديث آخر قال : « من علق تيممة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا أودع الله له »<sup>(٤)</sup>.

وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ ، أبصر على عضد رجل حلقة - أراه قال - من صفر ، فقال : ويحك ما هذه ؟ فقال : من الواهنة ؟ قال : أما إنني لا تريدك إلا وهنا ، أبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً »<sup>(٥)</sup>.

(١) البخاري . (٢) متفق عليه . (٣) أحمد والحاكم واللفظ له ورواه أحمد ثقة .

(٤) أحمد وابو يعلى بإسناد جيد ، والحاكم وصححه .

(٥) أحمد وابن حبان في « صحيحه » وابن ماجه دون قوله : أبذها النح ..

وقد أثرت هذه التعاليم في أصحاب النبي ﷺ فارتفعوا بأنفسهم عن قبول هذه الأضاليل ، وتصديق تلك الأباطيل .

عن عيسى بن حمزة قال : دخلت على عبد الله بن حكيم وبه حمرة ، فقلت : ألا تعلق تيمية ؟ فقال : نعوذ بالله من ذلك . وفي رواية : الموت أقرب من ذلك . قال رسول الله ﷺ : « من علق شيئاً أو وكل إليه » .

وعن ابن مسعود أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود ، فحذبه فقطعه ، ثم قال : لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقي والتائم والتولة شرك . قالوا : يا أبا عبد الرحمن ؛ هذه الرقي والتائم قد عرفناها فما التولة ؟ قال : شيء تصنعه النساء يتجنبن إلى أزواجهن » (١) . وهو لون من ألوان السحر .

قال العلماء : المنهي عنه من الرقي ما كان بغير لسان العرب فلا يدري ما هو ، ولعله قد يدخله سحر أو كفر ، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى ، فإنه مستحب ، والرقية حينئذ دعاء ورجاء إلى الله لا علاج ودواء . وقد كانت رقي أهل الجاهلية بمزوجة بالسحر والشرك أو الطلاسم ، التي ليس لها معنى مفهوم .

وقد روي أن ابن مسعود رضي الله عنه نهى امرأته عن مثل هذه الرقي الجاهلية فقالت له : فإني خرجت يوماً فأبصر في فلان فدمعت عيني التي تليه ( أي أنه أصابها بعين حاسدة شريرة ) فإذا رقيتها سكنت دمعها ، وإذا تركتها دمعت ، فقال ابن مسعود لها : ذلك الشيطان إذا أطعته تركك ، وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك ، ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله ﷺ كان خيراً لك ، وأجدر أن تشفى : تنضحين في عينك الماء ، وتقولين : أذهب البأس رب الناس ، أشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً (٢) .

(١) ابن حبان في « صحيحه » والحاكم باختصار عنه ، وقال : صحيح الاسناد .

(٢) ابن ماجه واللفظ له ، وابود داود باختصار ، والحاكم أخصر منها .

### التطير (التشاؤم) :

والتطير أو التشاؤم ببعض الأشياء ، من أمكنة وأزمنة وأشخاص وغير ذلك ، من الأوهام التي راجت سوقها - ولا تزال راثية - عند كثير من الجماعات والأفراد ، وقد يما قال قوم صالح له : ( اطِيرْنَا بِكَ وَبَيْنَ مَعَكَ ) سورة النمل : ٤٧

وكان فرعون وقومه إذا أصابتهم سيئة ( يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ) سورة الأعراف : ١٣١ وكثيراً ما قال الكفار الضالون ، حينما ينزل بهم بلاء الله لدعاتهم ورسول الله اليهم : ( إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ ) سورة يس : ١٨

وكان جواب هؤلاء المرسلين : ( طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ) سورة يس : ١٩ أي سبب شؤمكم مصاحب لكم ، وهو كفركم وعنادكم ، وعتوكم على الله ورسوله .

وكان لعرب الجاهلية في هذا الجانب سبح طويل ، واعتقادات شتى ، حتى جاء الإسلام فأبطلها ، وردمهم إلى النهج العقلي القويم .

ونظم النبي ﷺ التطير مع الكهانة والسحر في سلك واحد وقال : « ليس منا تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له » (١) .

وقال ﷺ : « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » (٢) .

العيافة : الحط في الرمل ، وهو ضرب من التكهن لا زال حتى اليوم

الطَّرِيقُ : الضرب بالحصى ، وهو نوع من التكهن أيضاً .

الجبت : ما عبد من دون الله تعالى .

إن هذا التطير أمر قائم على غير أساس من العلم أو الواقع الصحيح ؛ إنما هو انسياق وراء الضعف ، وتصديق للوهم ، وإلا فما معنى أن يصدق إنسان عاقل ، أن النجس في معين ، أو مكان معين ، أو رقم معين ، أو ينزعج من صوت طائر أو حركة عين ، أو سماع

كلمة ؟!

(١) الطبراني عن ابن عباس بإسناد حسن . (٢) أبو داود والنسائي وابن حبان في « صحيحه » .

وإذا كان في الطبع الإنساني شيء من الضعف يسول للإنسان أن يتشاءم من بعض الأشياء ، لأسباب خاصة ؛ فإن عليه ألا يستسلم لهذا الضعف ويتأدى فيه ، وخاصة إذا وصل إلى مرحلة العمل والتنفيذ .

قال عليه السلام : «ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الظن ، والطيرة ، والحسد ؛ فإذا ظنفت فلا تحقق ، وإذا تطيرت فلا تراجع وإذا حسدت فلا تبغ»<sup>(١)</sup> وبذلك تكون هذه الأمور الثلاثة مجرد خراطر وأحاديث نفس لا أثر لها في السلوك العملي وقد عفا الله عنها . وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : «الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك»  
قال ابن مسعود : «ومامنا إلا... ولكن يذهب الله بالتوكل»<sup>(٢)</sup> يعني ابن مسعود : مامنا أحد إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك ، ولكن الله يذهب ذلك عن قلب من يتوكل عليه ولا يثبت على ذلك الخاطر .

حرب على تقاليد الجاهلية :

وكما شن الإسلام حملاته على معتقدات الجاهلية وأوهامها ، لما لها من خطر على العقل والخلق والسلوك ، شن غارات مثلها على تقاليد الجاهلية التي كانت تقوم على العصبية والكبرياء والفخر وتمجيد القبيلة .

لاعصية في الاسلام :

وكان أول ماصنه الإسلام في ذلك أن أهال التراب على العصبية بكل صورها ، وحرّم على المسلمين أن يجيؤا أي نزعة من نزعاتها أو يدعوا إليها ، وأعلن النبي ﷺ براءته ممن يفعل ذلك قال :

« ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية »<sup>(٣)</sup> .

(١) الطبراني (١) أبو داود والترمذي . (٢) أبو داود .

فلا امتياز للون معين من البشرية ، ولا لجنس خاص من الناس ، ولا لرقعة معينة من الأرض ، ولا يحل لمسلم أن يتعصب للون على لون ، ولا لقوم على قوم ، ولا لإقليم على إقليم . ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينتصر لقومه في الحق والباطل والعدل والجور كما قال الشاعر :

عن واثله بن الأسقع قال : قلت : يا رسول الله ؛ ما العصبية ؟ قال : أنت تعين قومك على الظلم <sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ) النساء : ١٣٥ . ( وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا ) المائدة : ٨ <sup>٣</sup>

وعدل النبي ﷺ مفهوم هذه الكلمة التي كانت شائعة في الجاهلية ، ومأخوذة على ظاهرها « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . ولما قالها ﷺ لأصحابه بعد أن رسخ في قلوبهم الإيمان - مريداً بها معنى آخر - عجبوا ودهشوا ، وقالوا : يا رسول الله : هذا تنصره مظلوماً فكيف تنصره ظالماً؟ قال : تمتعه من الظلم فذلك نصر له <sup>(٢)</sup> .

### لافضل لأبيض على أسود :

روى البخاري أن أبا ذر وبلالاً الحبشي رضي الله عنهما - وكلاهما من السابقين الأولين - تغاضبا وتساباً ، وفي ثورة الغضب قال أبو ذر لبلال : يا ابن السوداء ! فشكاه بلال إلى النبي ﷺ ، فقال النبي لأبي ذر : أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ! وعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له : « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود ؛ إلا أن تفضله بتقوى الله » <sup>(٣)</sup> .

وقال ﷺ : « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب » <sup>(٤)</sup> .

(١) أبو داود . (٢) البخاري . (٣) أحمد . (٤) البزار .

## لا افتخار بالأنساب :

وحرم الإسلام على المسلم أن يسير مع هوى الجاهلية في التفاخر بالأنساب والأحساب، والتعظيم بالآباء والأجداد، وقول بعضهم لبعض: أنا ابن فلان وأنت ابن فلان، وأنا من نسل كذا وأنت من سلالة كذا.

وما قيمة الأنساب والسلالات إذا كان الناس جميعاً ينتمون إلى أصل واحد؟ ولو فرض أن للأنساب قيمة فما فضل الإنسان أو ذنبه إن ولد من هذا الأب أو ذاك؟

يقول الرسول ﷺ: « إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحدكم، كلكم بنو آدم... ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى... » (١).

« الناس لآدم وحواء... إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا أنسابكم يوم القيامة، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢).

وصب النبي ﷺ جام غضبه على المتفاخرين بالآباء والأجداد في عبارات صارمة قارعة، فقال: « ليتين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم، أو ليكون أهون على الله من الجعل الذي يدهسه الحرة بأنفه. إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقى وفاجر شقى. الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب » (٣).

وفي حجة الوداع حيث عشرات الآلاف يستمعون إلى رسول الإسلام في أوسط أيام التشريق في الشهر الحرام والبلد الحرام ألقى النبي ﷺ خطبة الوداع، فكان من المبادئ التي أعلنها: « يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) » (٤).

(١) أحمد . (٢) ابن جرير . (٣) أبو دارود والترمذي . (٤) البيهقي .

### النياحة على الموتى :

ومن التقاليد التي حاربها الإسلام : تقاليد الجاهلية في الموت وما يتصل به من نياحة وعويل ، وغلو في إظهار الحزن والجزع .

وقد علم الإسلام أتباعه أن الموت لما هو رحلة من دار إلى دار ، فليس فناء مطلقاً ، ولا عدماً صرفاً ، وأن الجزع لا يجي ميئاً ، ولا يرد قضاء قضى الله به . فعلى المؤمن أن يتقبل الموت كما يتقبل كل مصيبة تصيبه - صابراً محتسباً ، آخذاً العيسرة ، آملاً في لقاء أديب في الدار الآخرة ، مردداً قول القرآن : (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) سورة البقرة . أما صنيع أهل الجاهلية فهو منكر حرام برىء منه رسول الله ﷺ حين قال : « ليس منا من لطم الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » (١) .

ولا يحل للمسلم أن يلبس من شارات الحداد أو يتوكأ التزيّن أو يغيّر الزيّ والهئية المعتادة ، إظهاراً للجزع والحزن : إلا ما كان من زوجة على زوجها فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشراً ، وفاء لحق الزوجية ، وللرباط المقدس الذي جمع بينهما ، حتى لا تكون معرضاً للزينة ، ومتعلقةً لأبصار الخطّاب في مدة العدة ، التي اعتبرها الإسلام امتداداً للزوجية السابقة في كثير من الحقوق ، وسياجاً لها .

وأما الحزن من غير جزع ، والبكاء من غير عويل ، فذلك من الأمور الفطرية التي لا اثم فيها . وسمع عمر بعض النسوة يبكين على خالد بن الوليد ، فأراد بعض الرجال منعهن ، فقال له : دعهن يبكين على أبي سليمان ، ما لم يكن نفع أو لقلقة .

والنقع : التراب على الرأس ، والقلقة : الصوت .



(١) رواه البخاري . . . . . (٢) . . . . .



## في المعاملات

خلق الله الناس على حالة يحتاج فيها بعضهم الى بعض ، فليس يملك كل فرد كل ما يهـمـه ويكفيه ، بل يملك هذا بعض ما يستغني عنه ، ويحتاج الى بعض ما يستغني عنه الآخرون ، فألهم الله أن يتبادلوا السلع والمنافع بالبيع والشراء وسائر هذه المعاملات حتى تستقيم الحياة ، ويسير دولاها بالخير والإنتاج .

وقد بعث النبي ﷺ وللعرب أنواع من البيع والشراء والمبادلات ، فأقرم على بعضها ، بما لا يتنافى ومبادئ الشريعة التي جاء بها . ونهاهم عن البعض الآخر بما لا يتفق وأهدافها وتوجيهاتها. وهذا النهي يدور على معان منها: الإعانة على المعصية والغرر والاستغلال ، والظلم لأحد المتعاقدين ونحو ذلك .

### بيع الأشياء المحرمة حرام :

أ - فما جرت العادة بأن يقتني لمعصية حظرها الإسلام ، أو يكون الانتفاع المقصود به عند الناس نوعاً من المعصية ، فيعه والاتجار فيه حرام ، كالحنزير والخمر والاطعمة والأشربة المحرمة بعامه والأصنام والصلبان والتماثيل ونحوها ، ذلك أن في إجازة بيعها والاتجار فيها تنويهاً بتلك المعاصي ، وحملاً للناس عليها أو تسهلاً لهم في اتخاذها ، وتقريباً لهم منها . وفي تحريم بيعها واقتنائها إهمال لها ، وإخمال لذكرها ، وإبعاد للناس عن مباشرتها . ولذا قال عليه السلام : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام »<sup>(١)</sup> وقال ﷺ : « إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه »<sup>(٢)</sup> .

### بيع الغرر محظور :

ب - وكل عقد لبيع فيه ثغرة للتنازع ، بسبب جهالة في المبيع أو غرر يؤدي الى

(١) أحمد وأبو داود .

(٢) متفق عليه .

الحصومة بين الطرفين أو غبن أحدهما للآخر ، فقد نهى عنه النبي ﷺ سداً للذريعة .  
وفي هذا جاء النهي عن بيع ما في صلب الفحل أو بطن الناقة أو الطير في الهواء أو  
السماك في الماء ، وعن كل ما فيه غرر<sup>(١)</sup> ( أي جهالة وعدم تحديد للمعقود عليه ) .  
ومن ذلك أن النبي ﷺ وجد الناس في زمنه يبيعون النار في الحقول أو الحدائق قبل  
أن يبدو صلاحها . وبعد تعاقدهم يحدث أن يصبها آفة سماوية ، فهلك الثمار ، ويختصم  
البائع والمشتري ؛ يقول البائع : قد بعته وتم البيع ، ويقول المشتري : لما بعته لي ثمرأ  
ولم أجده ، فهى النبي ﷺ عن بيع النار حتى يبدو صلاحها ، إلا أن يشترط القطع في  
الحال ، ونهى عن بيع السبل حتى يبيض ويأمن العاهة . وقال : رأيت إذا منع الله الثمرة ،  
يتم يستحل أحدكم مال أخيه ؟! <sup>(٢)</sup> .

### التلاعب بالأسعار :

ج - والإسلام يجب أن يطلق الحرية للسوق ، ويتركها للقوانين الطبيعية تؤدي فيها  
دورها ، وفقاً للعرض والطلب . ومن أجل ذلك نرى الرسول ﷺ حين غلا السعر على  
عبدته ، فقالوا : يا رسول الله سعر لنا قال : إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق وإني  
لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال <sup>(٣)</sup> .  
ونبي الإسلام يعلن بهذا الحديث أن التدخل في حرية الأفراد بدون ضرورة مظلمة  
يجب أن يلقي الله بريئاً من تبعثها .  
ولكن إذا تدخلت في السوق عوامل غير طبيعية كاحتكار بعض التجار ، وتلاعبهم  
بالأسعار ، فمصلحة المجموع هنا مقدمة على حرية بعض الأفراد ، فيباح التسعير استجابة  
لضرورة المجتمع أو حاجته ، ووقاية له من المستغلين الجشعين ، معاملة لهم بنقيض مقصودهم  
كما تقرر القواعد والأصول .

(١) النهي عن الغرر في « صحيح » مسلم وغيره .

(٢) البخاري وغيره .

(٣) احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وابو يعلى .

قال العلماء : « إذا كان أبواب الطعام يتحكمون في السوق ، ويتعدون في القيمة تعدياً فاحشاً ، وعجز القاضي عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسكير ، فيحنثد لا بأس به ، بمشورة أهل الرأي والبصر »<sup>(١)</sup> .

### المحتكر ملعون :

ورغم أن الإسلام يكفل الحرية للأفراد في البيع والشراء والتنافس الفطري ، فإنه ينكر أشد الإنكار أن تدفع بعض الناس أنانيتهم الفردية وطمعهم الشخصي إلى التضخم على حساب غيرهم ، والإثراء ولو من أقوات الشعب وضرورياته .

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن الاحتكار بعبارات شديدة زاجرة . فقال : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه »<sup>(٢)</sup> .

وقال ﷺ : « لا يحتكر إلا خاطي »<sup>(٣)</sup> وليست كلمة خاطيء هذه كلمة هينة إنما الكلمة التي دمع بها القرآن الجباة العتاة فرعون وهامان وجنودهما فقال : ( إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ) سورة القصص .

وقد أبان النبي ﷺ عن نفسية المحتكر وأنانيته البشعة فقال : « بئس العبد المحتكر . إن سمع برخص ساءه ، وإن سمع بغلاء فرح »<sup>(٤)</sup> .

وقال : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون »<sup>(٥)</sup> .

وذلك لأن انتفاع التاجر يكون بأحد وجهين : أن يخزن السلعة ليبيعهما بضمن غال ، عند ما يبحث الناس عنها فلا يجدونها ، فيأتي المحتاج الشديد الحاجة فيبذل فيها ما يطلب منه وإن فحش وجاوز الحد .

والوجه الآخر : أن يجاب السلعة فيبيعهما بربح يسير ، ثم يأتي بتجارة أخرى عن قريب فيربح ، ثم يجلب أخرى ويربح قليلاً وهكذا ، وهذا الانتفاع أوفق بالمصلحة المدنية ، وأكثر بركة ، وصاحبه مرزوق كما بشره رسول الله ﷺ .

(١) من كتاب الهداية في الفقه الحنفي . (٢) أحمد والحاكم وابن أبي شيبة والبخاري .

(٣) مسلم . (٤) ذكره رزين في جامعه . (٥) ابن ماجه والحاكم .

ومن الأحاديث الهامة في شأن الاحتكار والتلاعب بالأسعار ما رواه معقل بن يسار صاحب رسول الله ﷺ ، حين أنقله المرض فأتاه عبيد الله بن زياد (الوالي الأموي) يعوده فقال له : هل تعلم يا معقل أني سفكت دماً حراماً ؟ قال لا أعلم . قال : هل علمت أني دخلت في شيء من أسعار المسلمين ؟ قال : ما علمت . ثم قال معقل : أجلسوني فأجلسوه ثم قال : اسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئاً ما سمعته من رسول الله ﷺ مرة ولا مرتين : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغلبه عليهم كانت حقاً على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة » ، قال : أنت سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال : غير مرة ولا مرتين<sup>(١)</sup> .

ومن نصوص هذه الأحاديث وفحواها استنبط العلماء أن تحريم الاحتكار مشروط بأمرين : أولهما : أن يكون ذلك في بلد يضر الاحتكار بأهله في ذلك الوقت .  
وثانيهما : أن يكون قصده بذلك إغلاء الأسعار على الناس ، ليضاعف ربحه هو .

### التدخل المقتعل في حرية السوق :

ومما يلحق بالاحتكار ما نهى عنه النبي ﷺ من بيع الحاضر للبادي ( الحاضر هو ساكن المدينة ، والبادي هو ساكن البادية ) وصورة هذا - كما قال العلماء - أن يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة اليه ، ليبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة ، فيقول له : خل متاعك عندي حتى أبيعك لك على المهلة بثمان غال ، ولو باع البادي بنفسه لأرخس ونفع البلدين ، وانتفع هو أيضاً .

وكانت هذه صورة كثيرة الشيوخ في مجتمعهم إذ ذاك ، قال أنس : « نهي أن يبيع حاضر لباد ، ولو كان أخاه لأبيه وأمه »<sup>(٢)</sup> وبذلك تعلموا أن المصلحة العامة فوق الروابط الخاصة .

وقال ﷺ : « لا يبيع حاضر لباد ، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض »<sup>(٣)</sup> .

---

(١) احمد والطبراني . (٢) متفق عليه . (٣) مطبوع .

وهذه الكلمة النبوية الموجزة : « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » تضع مبدأً هاماً في الميدان التجاري : أن تتروك السوق وأسعارها ومبادلاتها للتنافس الفطري ، والعوامل الطبيعية دون تدخل مقنع من بعض الأفراد .

وقد سئل ابن عباس عن معنى « لا يبيع حاضر لباد » فقال : « لا يكون له سمساره »<sup>(١)</sup> ومعنى هذا أنه إذا دلت على السعر ونصح له وعرفه بأحوال السوق من غير أن يأخذ أجراً كيشان السمسرة فهذا لا بأس به ، لأنه ينصحه الله والنصيحة جزء من الدين بل هي الدين كله كما في الحديث الصحيح : « الدين النصيحة »<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث الآخر : « إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له »<sup>(٣)</sup> .

أما السمسار ، فالغالب أن حرصه على أجره قد ينسبه رعاية المصلحة العامة في مثل هذه المعاملة .

### السمسرة حلال :

وأما السمسرة في غير هذا الموطن فلا حرج فيها ، لأنها نوع من الدلالة والتوسط بين البائع والمشتري ، و كثيراً ما تسهل لها أو لأحدهما كثيراً من السلع والمنافع . وقد أصبحت «الوساطة» التجارية في عصرنا ألزم من أي وقت مضى ، لتعقد المعاملات التجارية ، ما بين استيراد وتصدير ، وتجار جملة ، وتجار تجزئة ، وأصبح السمسرة يؤدون دوراً مهماً . ولا بأس أن يأخذ السمسار أجره نقوداً معينة أو عمولة بنسبة معينة من الربح أو ما يتفقون عليه .

قال البخاري في صحيحه : لم ير ابن سيرين وعطاء وإبراهيم والحسن بأجر السمسار بأساً . وقال ابن عباس : لا بأس بأن يقول : بع هذا الثوب فما زاد على كذا وكذا فهو لك . وقال ابن سيرين : إذا قال : بعه بكذا فما كان من ربح فهو لك أو بيني وبينك فلا بأس به . وقال النبي ﷺ : « المسلمون عند شروطهم »<sup>(٤)</sup> .

(١) البخاري . (٢) مسلم . (٣) أحمد .  
(٤) ذكره البخاري معلقاً ، وراه أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم موصولاً .

### الاستغلال والخداع التجاري حرام :

ولمنع التدخل المقتعل أيضاً نهى النبي ﷺ عن النجش<sup>(١)</sup> .  
والنجش - كما فسره ابن عمر - أن تعطي في السلعة أكثر من ثمنها ، وليس في نفسك  
اشترائها ، ليقتردي بك غيرك . وكثيراً ما يكون عن اتفاق لخداع الآخرين .  
ولكي تكون المعاملة بعيداً عن كل صورة للاستغلال التجاري ، وتلييس الأسعار ،  
نهى النبي ﷺ عن تلقي السلع قبل الوصول إلى السوق ؛ ففي ذلك وقف للسلعة عن مجالها  
الحيوي الذي يتعمل فيه السعر المناسب لها ، حسب العرض والطلب الحقيقيين ، وقد يغيب  
صاحب السلعة إذا لم يكن لديه علم بالسعر في السوق ، واذلك جعل له النبي ﷺ الخيار  
إذا ورد السوق<sup>(٢)</sup> .

### من غشنا فليس منا :

والإسلام يحرم الغش والخداع بكل صورة من الصور ، في كل بيع وشراء ، وفي سائر  
أنواع المعاملات الإنسانية . والمسلم مطالب بالتزام الصدق في كل شؤونه ، والنصيحة في  
الدين أغلى من كل كسب دنيوي .

قال عليه الصلاة والسلام : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما  
في بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما »<sup>(٣)</sup> .

وقال : « لا يجز لأحد يبيع ببعاً إلا بين مافيه ، ولا يجز لمن يعلم ذلك إلا بينه »<sup>(٤)</sup> .  
ومر رسول الله ﷺ برجل يبيع طعاماً (حبوباً) فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى  
بللاً ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال : أصابته السماء ( أي المطر ) ، فقال ﷺ :  
فهل جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟! من غشنا فليس منا »<sup>(٥)</sup> .

وفي رواية : أنه مرّ بطعام ، وقد حسنه صاحبه ، فوضع يده فيه ، فإذا طعام ردي ،  
فقال : « بع هذا على حدة ، وهذا على حدة ، من غشنا فليس منا »<sup>(٦)</sup> .

(١) متفق عليه . (٢) مسلم . (٣) البخاري . (٤) الحاكم والبيهقي .

(٥) مسلم . (٦) أحمد .

وكذلك كان سلف المسلمين يفعلون : يبيّنون ما في المبيع من عيب ولا يكتُمون ،  
وَيُصدّقون ولا يكذبون ، وينصّحون ولا يغشون .

باع ابن سيرين ساة فقال للمشتري : أرى إليك من عيب فيها ؛ لأنها تقلب العلف برجلها .  
وباع الحسن بن صالح جارية ، فقال للمشتري : إنها تنخمت مرة عندنا دماً .  
مرة واحدة ، ومع هذا يأبى ضميره المؤمن إلا أن يذكرها له ، وإن نقص الثمن .

### كثرة الحلف :

وتشتدّ الجريمة إذا أيد غشه بيمين كاذبة . وقد نهى النبي ﷺ التجار عن كثرة الحلف  
بعامة وعن الحلف الكاذب بخاصة . وقال : الحلف متفقة للسلعة بمحقة للبركة <sup>(١)</sup> .  
وإنما كرهه إكثار الحلف في البيع ؛ لأنه مظنة لتغرير المتعاملين أولاً ، وسبب لزوال  
تعظيم اسم الله من القلب ثانياً .

### تطيف الكيل والميزان :

ومن ألوان الغش تطيف المكيال والميزان .  
وقد اهتم القرآن بهذا الجانب من المعاملة ، وجعله من وصاياها العشر في آخر سورة  
الأنعام : ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا )  
الأنعام : ١٥٢ . وقال تعالى : ( وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ  
الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) الإسراء : ٣٥ . وقال تعالى : ( وَبَلِّغْ  
لِلْمُطْفِقِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْ زَنُوا لَهُمْ  
يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَتَوَكَّمَّ عَظِيمِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ  
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) أول سورة المطففين .

وعلى المسلم أن يتحرى العدل في ذلك ما استطاع ، فإن العدل الحقيقي فلما يتصور ،  
ومن هنا قال القرآن عقب الأمر بالإيفاء « لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعًا » .  
وقد قص القرآن علينا نأقوم جاروا في معاملاتهم ، وانحرفوا عن القسط في الكيل

(١) البخاري .

والوزن ، وبخسوا الناس أشياءهم ، فأرسل الله إليهم رسولاً يردمهم إلى صراط العدل والإصلاح كما يردمهم إلى التوحيد .

أولئك هم قوم شعيب الذين صاح فيهم داعياً ومنذراً : ( أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتَسُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ) الشعراء : ١٨١-١٨٣ .

وهذه المعاملة مثال لما يجب أن يكون عليه المسلم في حياته وعلاقاته ومعاملاته كلها ؛ فلا يجوز له أن يكيل بكيلين أو يزن بميزانين ؛ ميزان شخصي ، وميزان عام ، ميزان له ولمن يجب ، وميزان للناس عامة ؛ ففي حق نفسه ومن يتبعه يستوفي ويتزيد ، وفي حقوق الآخرين يخسر وينقص .

شراء المنهوب والمسروق مشاركة للناهب والسارق :

ومن الصور التي حرّمها الإسلام ليحارب بها الجريمة ، ويحاصر المجرم في أضيق دائرة أنه لم يجز للمسلم أن يشتري شيئاً يعلم أنه مقصوب أو مسروق أو مأخوذ من صاحبه بغير حق ؛ لأنه إذا فعل يعين الغاصب أو السارق أو المعتدي ، على غصبه وسرقته وعدوانه قال رسول الله ﷺ : « من اشترى سرقة ( أي مسروفاً ) وهو يعلم أنها سرقة ، فقد اشترك في إثمها وعارها »<sup>(١)</sup> .

ولا يدفع الإثم عنه طول أمد المسروق أو المنهوب في يد السارق والناهب ، فإن طول الزمن في شريعة الإسلام لا يجعل الحرام حلالاً ، ولا يسقط حق المالك الأصلي بالتقادم ، كما تقرر ذلك بعض القوانين الوضعية .

### تحريم الربا :

أباح الإسلام استثمار المال عن طريق التجارة . وقال الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن دَرَآضٍ مِّنْكُمْ ) النساء : ٢٩ .

(١) البيهقي .



وأنتى على الضاربين في الأرض للتجارة فقال : ( وآخرون يضربون في الأرض يبتغون

من فضل الله ) سورة المزمل : ٢

ولكن الإسلام سد الطريق على كل من يحاول استثمار ماله عن طريق الربا ، فحرم قلبه وكثيره ، وشنع على اليهود إذ أخذوا الربا وقد نهوا عنه . وكان من أواخر ما نزل من القرآن قوله تعالى في سورة البقرة : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تقفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ) سورة

البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

وأعلن الرسول ﷺ حربه على الربا والمرابين ، وبين خطرهما على المجتمع فقال : « إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » (١).

ولم يكن الإسلام في ذلك بدعا في الأديان السماوية ؛ ففي الديانة اليهودية جاء في العهد القديم ( إذا افتقر أخوك فاحمله ، لا تطلب منه رجماً ولا منفعة .. آية ٢٤ فصل ٢٢ سفر الخروج ) .

وفي النصرانية جاء في إنجيل لوقا : « افعلوا الخيرات ، وأقرضوا غير منتظرين عائديها وإذا يكون ثوابكم جزئياً ٢٤ - ٢٥ فصل ٦

وإن كان الذي يؤسف له أن يد التحريف قد وصلت إلى العهد القديم فجعلت مفهوم كلمة « أخوك » السالفة ، خاصاً باليهودي وجاء في سفر تثنية الاشتراع : « للأجنبي تقرض بربا ، ولكن لأخيك لا تقرض بربا ٢٣-١٩ » .

### حكمة تحريم الربا :

والإسلام حين شدد في أمر الربا وأكد حرمة ، إنما راعى مصلحة البشرية في أخلاقها واجتماعها واقتصادها .

وقد ذكر علماء الإسلام في حكمة تحريم الربا وجوهاً معقولة ، كشفت الدراسات الحديثة وجاهتها ، وأكدت وزادت عليها .

(١) رواه الحاكم ، وروى نحوه أبو يعلى بإسناد جيد .

ونكتفي بما ذكره الإمام الرازي في تفسيره :  
أولاً : أن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض ؛ لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين يحصل له زيادة درهم من غير عوض . ومال الإنسان متعلق حاجته ، وله حرمة عظيمة ، كما في الحديث « حرمة مال الإنسان كحرمة دمه » فوجب أن يكون أخذه من غير عوض محرماً .

ثانياً : أن الاعتقاد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد ، فقد كان أو نسيته ، خف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة وذلك يقضي إلى انقطاع منافع الخلق . ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجار والحرف والصناعات والعمارات .

( ولا شك أن هذه الحكمة مقبولة من الوجهة الاقتصادية )  
ثالثاً : أنه يفرض إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ؛ لأن الربا إذا حرم طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله ، ولو حل الربا لسكانت حاجة المحتاج تجعله على أخذ الدرهمين بدرهمين ، فيفرض ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان .  
( وهذا تعليل مسلم من الجانب الأخلاقي )

رابعاً : أن الغالب أن المقرض يكون غنياً ، والمستقرض يكون فقيراً فالقول بتجوز عقد الربا يمكن للغني من أن يأخذ من الفقير الضعيف مالا زائداً وذلك غير جائز برحمة الرحيم<sup>(١)</sup>  
( وهذه نظرة إلى الجانب الاجتماعي )

ومعنى هذا أن الربا فيه اعتصار الضعيف لمصلحة القوي ، ونتيجته أن يزداد الغني غنى والفقير فقراً .

بما يفرض إلى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أو طبقات أخرى مما يخلق الأحقاد والضغائن ، ويورث نار الصراع بين المجتمع بعضه وبعض ، ويؤدي إلى الثورات المتطرفة والمبادئ الهدامة .

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٧ ص ٩٤ طبعة عبد الرحمن محمد ، بتصرف قليل . (١)

كما أثبت التاريخ القريب خطر الربا والمرابين على السياسة والحكم والأمن المحلي والدولي جميعاً .

### مؤكل الربا وكاتبه :

آكل الربا هو الدائن صاحب المال الذي يعطيه للمستدين فيسترده بفائدة تزيد على أصله . وهذا ملعون عند الله والناس بلا ريب ولكن الإسلام - على سنته في التحريم - لم يقصر الجريمة على آكل الربا وحده بل أشرك معه في الإثم مؤكل الربا - أي المستدين الذي يعطي الفائدة - وكاتب عقد الربا ، وشاهديه .

وفي الحديث : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه »<sup>(١)</sup> .

وإذا كانت هناك ضرورة أو حاجة ملحة اقتضت معطي الفائدة أن يلجأ إلى هذا الأمر ، فإن الإثم في هذه الحال يكون على آخذ الربا ( الفائدة ) وحده .  
١ - وهذا بشرط أن تكون هناك ضرورة أو حاجة حقة ، لا مجرد توسع في الكماليات أو أمور يستغنى عنها .

٢ - ثم أن يكون هذا الترخيص بقدر ما يفي بالحاجة دون تزيد ، فمتى كان يكفيه تسعة جنيهات مثلاً ، فلا يجمل له أن يستقرض عشرة .

٣ - ومن ناحية أخرى ، عليه أن يستنفذ كل طريقة للخروج من مأزقه المادي ، وعلى إخوانه المسلمين أن يعينوه على ذلك ، فإن لم يجد وسيلة إلا هذا ، فأقدم عليه غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم .

### الرسول يستعيذ بالله من الدين :

وبما ينبغي للمسلم أن يعرفه من تعاليم دينه أنه يأمره بالاعتدال في حياته والاقتصاد في معيشته ( ولا تُسرفوا إنه لا يحب المُسرفين ) ( ولا تُبذروا بُذيراً إن المُبذرين كانوا إخوان الشياطين ) .

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وصححه ، والنسائي ، وابن ماجه .

وحين طلب القرآن من المؤمنين أن ينفقوا ، لم يطلب إليهم إلا إنفاق بعض ما رزقوا لأكله ، ومن أنفق بعض ما يكتسب فقلما يفتقر ، ومن شأن هذا التوسط والاعتدال ؛ ألا يجوح المسلم إلى الاستدانة وخصوصاً أن النبي ﷺ كرهها للمسلم ، فإن الدين في نظر الرجل الحريم بالليل ومذلة بالنهار ، وكان النبي ﷺ يستعيز بالله منه ويقول : اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال « (١) وقال : أعوذ بالله من الكفر والدين فقال رجل : أتعدل الكفر بالدين يا رسول الله ؟ قال : نعم « (٢) .

وكان يقول في صلاته كثيراً : اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم (الدين) فقيل له : إنك تستعيز من المغرم كثيراً يا رسول الله فقال : إن الرجل إذا غرم (استدان) حدث فكذب ووعد فأخلف « (٣) .

فبين ما في الاستدانة من خطر على الأخلاق نفسها .

وكان لا يصلي على الميت إذا عرف أنه مات وعليه ديون لم يترك وفاقها ، تخويفاً للناس من هذه العاقبة ، حتى أفاء الله عليه من الغنائم والأنقال ، فكان يقوم هو بسدادها . وقال : « يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين » (٤) .

وفي ضوء هذه التوجيهات لا يلجأ المسلم إلى الدين إلا للحاجة الشديدة ، وهو حين يلجأ إليه لا تقارقه نية الرفاء أبداً .

وفي الحديث « من ادان أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » (٥) .

فإذا كان المسلم لا يلجأ إلى الدين المباح ( أي بغير فائدة ) إلا نزولاً على حكم الضرورة وضغط الحاجة فكيف إذا كان هذا الدين مشروطاً بالفوائد الربوية ؟ !

### البيع لأجل مع زيادة الثمن :

وبما يحسن ذكره هنا أنه يجوز للمسلم أن يشتري ويدفع ثمن الشراء نقداً ، كما يجوز له أن يؤخره إلى أجل بالتراضي . وقد استوى النبي ﷺ طعاماً من يهودي لتفقه أهله إلى أجل ، ورهنه درعاً من حديد (٥) .

(١) أبو داود . (٢) النسائي والحاكم . (٣) البخاري . (٤) مسلم . (٥) البخاري .

فلذا زاد البائع في الثمن من أجل التأجيل ، كما يفعله معظم التجار الذين يبيعون بالتقسيط - فمن الفقهاء من حرم هذا النوع من البيع مستنداً إلى أنه زيادة في المال في مقابل الزمن فأشبهه الربا .

وأجازه جمهور العلماء ، لأن الأصل الإباحة ، ولم يرد نص بتحريم وليس مشابهاً للربا من جميع الوجوه ، وللبائع أن يزيد في الثمن لاعتبارات يراها ، ما لم تصل إلى حد الاستغلال الفاحش والظلم البين ، ولما صارت حراماً .

قال الشوكاني : ( قالت الشافعية والحنفية ، وزيد بن علي والمؤيد بالله والجمهور : يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه . وهو الظاهر )<sup>(١)</sup> .

### السلم :

وعلى عكس هذا يجوز للسلم أن يدفع مقداراً معلوماً من المال حالاً ليتسلم في مقابله صفقة بعد أجل معين . وهو المعروف في الفقه الإسلامي بعقد « السلم » . وهذا نوع من المعاملات كان سائداً في المدينة ، ولكن النبي ﷺ أدخل عليه تعديلات وشروطاً ، ليتفق وماتت عليه الشريعة في المعاملات .

قال ابن عباس : قدم النبي ﷺ المدينة فوجدهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين - أي يسلفون مالاً في الحال ليحصلوا على الثمار بعد سنة أو سنتين - فقال النبي ﷺ : من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم<sup>(٢)</sup> .

وبهذا التحديد في الكيل أو الوزن والأجل يرتفع النزاع والغرر . ومن هذا القبيل أنهم كانوا يسلفون في ثمار نخيل بأعيانها ، فنهاهم عن ذلك لما فيه من الغرر ؛ إذ قد تصاب تلك النخيل بعاهة فلا تثمر شيئاً .

---

(١) نيل الاوطار ج ٥ ص ١٥٣ قال الشوكاني : وقد جئنا رسالة في هذه المسألة سميها « شفاء الملل في حكم زيادة الثمن بمجرد الاجل » وقد حققناها تحقيقاً لم نسبق إليه . (٢) رواه الجماعة .

والصورة السليمة لهذه المعاملة أن لا يشترط ثمر نخلة بعينها ولا قمح أرض بعينها وهكذا بل يشترط الكيل أو الوزن فقط .  
فإذا كان هناك استغلال يبين لصاحب النخل أو الأرض بأن اضطرت الحاجة أن يقبل العقد ، فحينئذ يتجه القول بالتحريم .

### تعاون العمل ورأس المال :

ربما قال قائل : إن الله وزع المواهب والحظوظ على الناس بقدر وحكمة ، فكثيراً ما نجد عند إنسان الكفاية والخبرة ، ولا نجد عنده الكثير من المال ، أو لا نجد عنده مالا أصلاً وبإزائه نجد آخر عنده المال الكثير ، مع الخبرة القليلة ، أو لا خبرة له . فلماذا لا يعطي صاحب المال ماله لصاحب الكفاية والخبرة ، يعمل فيه ويستثمره ، على أن يجزى مقابل ماله بقائدة محددة ، وبذلك ينتفع الكفء بالمال ، وينتفع الغني بالكفاية ؟ وبخاصة أن هناك مشروعات كبيرة تحتاج إلى مساهمة أفراد كثيرين بأموالهم ، وفي الناس كثيرون عندما فضل أموال ، وليس عندهم الفراغ أو القدرة على استثمارها . فلماذا لا تستغل هذه الأموال في تلك المشروعات الحيوية الكبيرة يديرها أُناس من ذوي الدراية والخبرة ؟

ونقول : إن شريعة الإسلام لم تمنع أن يتعاون رأس المال والخبرة أو المال والعمل - كما يقول الفقه الإسلامي - ولكنها أقامت هذا التعاون على أساس عادل ومنهج سديد ، فإذا كان رب المال قد رضياً شركة بينه وبين صاحبه ، فعليه أن يتحمل مسؤولية الشركة بكل نتائجها . ولهذا تشترط الشريعة الإسلامية في مثل هذه المعاملة التي سماها الفقهاء «المضاربة» أو «القراض» أن يشترك كل من الطرفين المتعاقدين في الربح إذا ربحا ، وفي الخسارة إن خسرا ، ونسبة الربح والخسارة تكون وفق اتفاقهما ، فلها أن يجعلها لأحدهما النصف أو الثلث أو الربع ، أو أدنى من ذلك أو أكثر ، وللآخر الباقي . وإذا أياً كان التعاون بين رأس المال والعمل تعاون الشريكين المتكافلين : لكل نصيبه من الغنم ، وعلى كل نصيبه من الغرم قل أو أكثر . فإذا ربحا تقاسما الربح كما اشترطا ، وإن خسرا كانت الخسارة من الربح ، فإن

استغرقت الربح وزادت أخذ من رأس المال بقدرها ، ولاغرابة في أن يخسر رب المال جزءاً من ماله ، كما خسر شريكه جهده وعرقه .

ذلك هو قانون الإسلام في هذه المعاملة : أما أن يفرض لصاحب المال ربح محدد مضمون لا يزيد ولا ينقص وإن تضاعف الربح أو تفاقمت الخسارة فهذا مجافاة للعدل الصريح وتحيز لرأس المال ضد الخبرة والعمل ، ومعاندة لقوانين الحياة التي تعطي وتمنع ، وتشجيع لحب الكسب المضمون دون عمل ولا مخاطرة ، وذلك هو روح الربا الحبيث .

وقد نهى النبي ﷺ في المزارعة على الأرض ، أن يجعل في العقد لأحدهما غلة مساحة معينة من الأرض ، أو مقدار محدد من الخارج ، كقنطار أو قنطارين مثلاً ، لما في ذلك من شبه بالمراباة والمقامرة . فقد لا تخرج الأرض غير المقدار المشروط أو لا تخرج شيئاً فيكون لأحدهما الغنم كله ، وعلى الآخر الغرم كله . وهذا ما لا ترضاه العدالة .

هذا الشرط المفسد للمزارعة بالنص الصريح ، هو في رأبي أصل لإجماع الفقهاء على الاشتراط في «المضاربة» ألا يحدد نصيب لأحدهما يضمه على كل حال<sup>(١)</sup> ، وبجت الصفقة أم خسرت . وتعليهم فساد المضاربة هنا كتعليهم فساد المزارعة هناك فهم يقولون هنا : إنه إذا شرط أحدهما دراهم معلومة احتمل ألا يربح غيرها فيحصل على جميع الربح ، واحتمل ألا يربحها . . . وقد يربح كثيراً فيستخر من شرطت له الدرام<sup>(٢)</sup> .

وهذا تعليل موافق لروح الإسلام الذي يبني كل معاملاته على العدالة المحكمة الواضحة .

### اشترك أصحاب رؤوس الأموال :

وكما يجوز للمسلم أن يستغل ماله منفرداً فيما شاء من عمل مباح وكما جاز له أن يعطي ماله أو جزءاً منه لمن شاء من أهل الدراية والدربة على سبيل «المضاربة» يجوز له أيضاً أن

(١) نكل الدكتور محمد يوسف موسى في رسالة « الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة » عن الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الوهاب خلاف أن هذا الاشتراط من الفقهاء في المضاربة لإدليل عليه من القرآن أو السنة ومال إلى رأيها بقدر ، ولكنني أرى أن ماورد في المزارعة يكفي أصلاً يقاس عليه هنا . والله اعلم .

(٢) المفتي ج ٥ ص ٣٤ .

يشترك هو وآخر أو آخرون من أرباب الأموال في عمل من الأعمال صناعي أو تجاري أو غير ذلك ، فمن الأعمال والمشروعات ما يحتاج إلى أكثر من عقل وأكثر من يد ، وأكثر من رأس مال . والمرء قليل بنفسه كثير بغيره والله تعالى يقول : « وتعاونوا على البر والتقوى » وكل عمل يجلب للفرد أو المجتمع خيراً ، أو يدفع عنه شراً فهو بر وتقوى إذا توافرت له النية الصالحة .

فالإسلام لا يبيح مثل هذه الأعمال المشتركة فحسب ، بل هو يباركها وبعد عليها بمعونة الله في الدنيا ، ومثوبته في الآخرة ، مادامت في دائرة ما أحله الله ، بعيدة عن الربا والغرر ، والظلم والجشع والحياة بكل صورها . وفي ذلك يقول رسول الإسلام : « يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنها »<sup>(١)</sup> . ويد الله كناية عن التوفيق والمعونة والبركة .

ويروي الرسول ﷺ عن ربه أنه يقول : « أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان أحدهما صاحبه خرجت من بينها »<sup>(٢)</sup> « وجاء الشيطان »<sup>(٣)</sup> .

### شركات التأمين :

ومن صور المعاملات الجديدة ما يسمى « بشركات التأمين » ومنه ما يكون تأميناً على الحياة ، وما يكون تأميناً ضد الحوادث . ولنا أن نسأل عن طبيعة هذه الشركات :

### هل هي مؤسسات تجارية ؟

لو كانت كذلك لوجب أن يخضع كل مساهم ( أي مؤمن ) فيها للربح والخسارة ووفق تعاليم الإسلام .

وفي التأمين ضد الحوادث يدفع المؤمن مقداراً من المال في العام فإذا قدر سلامة ما أمن عليه من متجر أو مصنع أو سفينة أو غير ذلك فإن الشركة تستولي على المبلغ كله ولا يسترد

(١) الدارقطني . (٢) ابو داود والحاكم وصححه . (٣) ذكر هذه الزيادة وزين في جامعه .



شيئاً منه . وإذا حلت به كارثة عوض بالمقدار المتفق عليه . وهذا أبعد ما يكون عن طبيعة التجارة والاستراك التضامني .

وفي التأمين على الحياة إذا أمن بمبلغ ٢٠٠٠ ألفين من الجنيهات مثلاً ودفع أول قسط ثم اخترمته المنية فإنه يستحق الألفين كاملة غير منقوصة . ولو كان شريكاً في تجارة ما استحق غير قسطه وربحه .

ثم هو لو أدخل بالتزامه نحو الشركة وعجز عن سداد الأقساط - بعد دفع بعضها - لضاع عليه ما دفعه أو جزء كبير منه . وهذا أقل ما يقال فيه : إنه شرط فاسد .

ولا وزن لما يقال : إن الطرفين - المؤمن والشركة - قد تراضيا ، وهما أدري بما يصلحها ، فإن آكل الربا ومؤكاه متراضيان ، ولا عبي الميسر متراضيان ، ولكن لا عبوة بتراضيا ، ما دامت معاملتها غير قائمة على أساس من العدالة الواضحة التي لا يشوبها غرر ولا تظالم ، ولا غنم مضمون لأحد الطرفين غير مضمون للطرف الآخر . العدالة إذا هي الأساس ولا ضرر ولا ضرار .

#### هل هي مؤسسات تعاونية :

وإذا لم يتضح لنا بوجه من الوجوه أن العلاقة بين المؤمن والشركة علاقة الشريك بالشريك فماذا عسى أن تكون طبيعة العلاقة بينها ؟ هل هي علاقة تعاون ؟ وهذه الجمعيات إذا مؤسسات تعاونية تقوم على مساهمة مجموعة من المتبرعين بقادير من أموالهم يدفعونها بقصد المساعدة بعضهم لبعض .

ولكن « لكي يكون هناك تعاون سليم بين أي جماعة لتساعد أحد أفرادها إذا نزل به مكروه ، يشترط فيما يجمع من مال لتحقيق هذه الغاية أمور :

١ - أن يدفع الفرد نصيبه المفروض عليه في ماله على وجه التبرع ، قياماً بحق الأخوة ومن هذا المال المجموع تؤخذ المساعدات المطلوبة للمحتاجين .

٢ - إذا أريد استغلال هذا المال المدخر فبالوسائل المشروعة وحدها .

٣ - لا يجوز لفرد أن يتبرع بشيء ما على أساس أن يعرض بمبلغ معين إذا حل به

حادث ، ولكن يعطي من مال الجماعة بقدر ما يعوض خسارته أو بعضها ، على حسب ما تسمح به حال الجماعة .

٤ - التبرع هبة والرجوع فيها حرام ، فإذا حدث فليراع حكم الشرع في ذلك <sup>(١)</sup> . وهذه الشروط لا تنطبق إلا على ما تقوم به بعض النقابات والهيئات عندنا ، حيث يدفع الشخص اشتراكاً شهرياً على وجه التبرع ، ليس له أن يسترده ويرجع فيه ، ولا يشترط مبلغاً معيناً يمنحه عند حدوث ما يكره .

أما شركات التأمين وخاصة التأمين على الحياة فإن هذه الشروط لا تنطبق عليها مجال .

- ١ - فالأفراد المؤمنون لا يدفعون بقصد التبرع ، ولا يحظر لهم هذا على بال .
- ٢ - وشركات التأمين جارية على استغلال أموالها في أعمال ربوية محرمة . ولا يجوز لمسلم أن يشترك في عمل ربوي . وهذا بما يتفق على منعه المنشددون والمترخصون .
- ٣ - يأخذ المؤمن من الشركة - إذا انقضت المدة المشروطة - مجموع الأقساط التي دفعها ، وفوقها مبلغ زائد ، فهل هو إلا ربا !

كما أن من مناقضات التأمين لمعنى التعاون أن يعطى الغني القادر أكثر مما يعطى العاجز المحتاج ؛ لأن القادر يؤمن بمبلغ أكبر فيعطى عند الوفاة أو الكارثة نصيباً أكثر . مع أن التعاون يقضي أن يعطى المحتاج أكثر من غيره .

- ٤ - ومن أراد الرجوع في عقده انتقص منه جزء كبير . وهو انتقاص لا مبرر له في شرع الإسلام <sup>(٢)</sup> .

#### تعديلات :

على أني أرى أن عقد التأمين ضد الحوادث يمكن أن يعدل إلى صورة قريبة من المعاملات

---

(١) من كتاب « الإسلام والمناهج الاشتراكية » للاستاذ محمد الفزالي ص ١٣١ ط ثانية .  
(٢) انظر في موضوع التأمين « الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة » ص ٦٤ للدكتور يوسف موسى و « الإسلام والمناهج الاشتراكية » للشيخ محمد الفزالي ص ١٢٩ ومقالين في مجلة نور الإسلام للرحوم الشيخ إبراهيم الجبالي العددين السادس والسابع من المجلد الاول ١٣٤٩ هـ وقوى للشيخ احمد إبراهيم نشرتها مجلة منبر الإسلام .

الإسلامية . وهو صورة عقد « التبرع بعوض » فالمؤمن متبرع بما يدفع من مال إلى الشركة على أن يعوّض عند النوازل التي تنزل به بما يعينه ويخفف عنه بلواه . وهذه الصورة من التعامل جائزة في بعض المذاهب الإسلامية .

فلو عدل عقد التأمين إليها ، وخلت معاملة الشركة من الربويات لاتبج القول بالجواز . أما التأمين على الحياة فصورته كما أرى تبعد كثيراً عن المعاملات في الإسلام .

### نظام التأمين الاسلامي .

وإذا كنا نرى الإسلام يعارض شركات التأمين في صورتها الحاضرة ، ومعاملاتها الجارية فليس معنى هذا أنه يجارب فكرة التأمين نفسها . كلا إنه يخالف في المنهج والوسيلة ، أما إذا تبيأت وسائل أخرى للتأمين لا تنافي صورة المعاملات الإسلامية ، فالإسلام يرحب بها . وعلى كل حال فإن نظام الإسلام قد آمن أبناءه بطريقة الخاصة - شأنه في كل شرائعه وتوجيهاته - : إما عن طريق تكافل أبناء المجتمع بعضهم مع بعض . وإما عن طريق الحكومة وبيت المال . فهو - أي بيت المال - شركة التأمين العامة لكل من يستظل بسطان الإسلام .

وفي التعاليم الإسلامية نجد تأمين الأفراد عند الحوادث ومعاونتهم على التغلب على الكوارث التي تصيبهم . وقد ذكرنا من قبل أن من الأمور التي تبيح للفرد المسألة أن تصيبه جائحة . فإذا أصابته جائحة حلت له المسألة حتى يعوّض ما أصابه أو يخفف عنه بعضه (١) .

كما نجد التأمين للورثة بعد الوفاة في قول النبي ﷺ الكريم : « أنا أولى بكل مسلم من نفسه من ترك مالا فلورثته . ومن ترك ديناً أو ضياعاً (أي أسرة أو لدا صغاراً) فلإبي وعلي » (٢)

### استغلال الأرض الزراعية :

إذا امتلك المسلم أرضاً زراعية بطرقها المشروعة فعليه أن يستغلها وينتفع بها زرعاً أو غرساً

(١) انظر حديث قبيصة ص ٩٠ من هذا الكتاب . (٢) متفق عليه .

وقد كره الإسلام تعطيل الأرض عن الزراعة ؛ لما فيه من إهدار للنعمة وإضاعة للمال ، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال .  
ولصاحب الأرض في ذلك عدة طرائق :

### طرائق استغلالها :

١ - أن يقوم بشأنها بنفسه يزرع فيها زرعاً ، أو يغرس غرساً ويتولى سقيها ورعايتها حتى تؤتي أكلها . وهذا أمر محمود ، ويجب لصاحبه مشوية الله ما انتفع بالزرع أو الغرس إنسان أو طير أو بهيمة ، وكان جلة أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يزرعون أرضهم ويقومون عليها بأنفسهم : وقد تقدم ذلك .

### الطريقة الثانية :

٢ - ألا يتمكن من زراعتها بنفسه ، فيعيروها من يقدر على زراعتها بآلته وأعوانه وبذره وحيوانه ، ولا يأخذ من الزارع شيئاً وهذا أمر مطلوب في الإسلام . عن أبي هريرة قال : قال عليه السلام : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه »<sup>(١)</sup> وعن جابر قال : كنا نخابر على عهد رسول الله ﷺ فنصيب من القصرى ومن كذا ومن كذا ، فقال النبي ﷺ من كان له أرض فليزرعها أو ليحرثها أخاه ، وإلا فليدعها<sup>(٢)</sup> (والتخايرة أن يزرع الأرض على جزء منها ، والقصرى والقضارة : بقية الحب في السنبل بعدما يداس . ومعنى يحرثها : يجعلها مزرعة لأخيه أي بلا عوض ) .

وذهب بعض السلف إلى ظاهر هذا الحديث وأن استغلال الأرض لا يكون إلا بأحد هذين : إما أن يزرعها بنفسه وإما أن يعطيها من يزرعها بغير مقابل . وبذلك تكون رقبة الأرض لمن يملكها ، وثمرتها لمن يفلحها .

روى ابن حزم بسنده إلى الأوزاعي قال : كان عطاء ومكحول ومجاهد والحسن البصري يقولون : لا تصلح الأرض البيضاء بالدرهم ولا بالدنانير ، ولا معاملة إلا أن يزرع الرجل أرضه أو يمنحها .

(١) متفق عليه . (٢) أحمد ومسلم .

ويرى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن الأمر في هذه الأحاديث بالمنع ليس للوجوب وإنما هو للندب والاستحباب فقد روى البخاري عن عمرو بن دينار قال قلت لطاوس - من أكبر أصحاب ابن عباس - : لو تركت الحيازة ! فإنهم يزعمون أن النبي ﷺ نهى عنها فقال طاوس : إن أعلمهم - يعني ابن عباس - أخبرني أن النبي ﷺ لم ينه عنها وقال : « لأن يمنع أحدكم أخاه - يعني أرضه - خير من أن يأخذ عليها خراجاً معلوماً » .

### المزراعة على الأرض :

٣ - الطريقة الثالثة : أن يعطيها لمن يزرعها بآلته وبذره وحيوانه على أن يكون له نسبة مئوية محددة بما يخرج من الأرض قد تكون نصفاً أو ثلثاً أو أدنى أو أكثر وفق اتفاقهما . ويجوز له أن يساعد الزارع بالبذر أو به وبالآلة والحيوان . وتسمى هذه الطريقة بالمزراعة أو المساقاة أو الحيازة . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من زرع أو ثمر « وهذا حديث رواه من الصحابة ابن عمر وابن عباس وجابر ابن عبد الله وبهذا الحديث يحتج من أجاز هذا النوع من الزراعة . وقالوا : « هذا أمر صحيح مشهور عمل به رسول الله ﷺ حتى مات ، ثم خلفاؤه الراشدون حتى ماتوا . ثم أهلهم من بعدهم ، ولم يبق من المدينة أهل بيت إلا عمل به . وعمل به أزواج النبي ﷺ من بعده... ومثل هذا مما لا يجوز أن ينسخ ؛ لأن النسخ إنما يكون في حياة رسول الله ﷺ فأما شيء عمل به إلى أن مات ، ثم عمل به خلفاؤه بعده وأجمعت الصحابة - رضوان الله عليهم - عليه ، وعملوا به ، ولم يخالف فيه منهم أحد . فكيف يجوز نسخه ؟ فإن كان نسخه في حياة رسول الله ﷺ فكيف عمل به بعد نسخه ؟ وكيف خفي نسخه فلم يبلغ خلفاؤه مع اشتها قصة خيبر وعملهم فيها ؟ فأين كان راوي النسخ حتى لم يذكره ولم يخبرهم به ؟ » (١) .

(١) نقل ذلك صاحب المعنى عن أبي جعفر ج ٥ ص ٣٨٤

### المزارعة الفاسدة :

وهناك نوع من المزارعة كان شائعاً على عهد النبي ﷺ فنهى عنه أصحابه لما فيه من الغرر والجهالة التي تقضي إلى النزاع ، ولما فيه من مجافاة لروح العدالة الواضحة التي يجرح عليها الإسلام في كل المجالات .

فقد كان أصحاب الأرض يشترطون على الزارع العامل فيها أن يكون لهم ربع مساحة معينة منها يحددها أو مقدار معين من الغلة مكييل أو موزون والباقي للعامل وحده أولها مناصفة مثلاً .

وقد رأى النبي ﷺ أن العدل يقتضي أن يشتركا في كل ما يخرج منها قل أو كثير ، ولا يصح أن يكون لأحدهما نصيب معين قد لا يخرج الأرض غيره ، فيغتم وحده ، ويغرم الآخر وحده ، وقد لا تنتج المساحة المعينة لصاحب الأرض مثلاً فلا يأخذ شيئاً على حين استفاد الطرف الآخر وحده . لا بد إذن أن يأخذ كل منها حظه من الخارج عن الأرض بنسبة يتفقان عليها فإن كثرت الخارج أصاب خيره الطرفين ، وإن قل كانت قلته على كليهما ، وإن لم يخرج شيئاً كان الغرم مشتركاً . وهذا أطيب لنفسهما جميعاً .

روى البخاري عن رافع بن خديج قال : كنا أكثر أهل الأرض - أي في المدينة - مزروعاً كنا نكري الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض . . فربما يصاب ذلك وتسلم الأرض ، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك فنهينا . . ؟

وروى مسلم عنه قال : لما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله ﷺ بما على الماذبانات ( ما ينبت على حافة النهر ومسائل الماء ) وأقبال الجداول ( أوائل السواقي ) وأشياء من الزرع ( كذا إردبا مثلاً ) فهلك هذا ، ويسلم هذا ، ويسلم هذا ، وهلك هذا ولم يكن للناس كرى إلا هذا . فلذلك زجر عنه ، وروى البخاري عنه أيضاً أن النبي ﷺ قال : ماتضعون بمحاقلكم ( مزارعكم ) ؟ قالوا نؤجرها على الربع وعلى الأوسق من التمر والشعير . قال : لاتفعلوا .

فمعنى هذا أنهم يجددون لهم مكيلاً معيناً يأخذونه من فوق الرؤوس - كما يقال - ثم  
يقتسمون الباقي مع المزارعين لهذا الربع وذلك الثلاثة الأرباع مثلاً .  
ومن هنا نرى أن النبي ﷺ كان حريصاً على تحقيق العدل الكامل في مجتمعه وإبعاد  
كل ما يجلب النزاع والحصام عن مجتمع المؤمنين .

وقد روى زيد بن ثابت أن رجلين اختصما في أرض إلى النبي ﷺ فقال : « إن كان  
هذا شأنكم فلا تكرروا المزارع » (١) .

والواجب على كل من رب الأرض والعامل فيها أن يكون سمحاً كريماً مع صاحبه  
رفيقاً به ، فلا يغالي صاحب الأرض فيما يطلب من الخارج منها ، ولا يبض العامل صاحب  
الأرض أرضه . ولهذا جاء عن ابن عباس : « أن النبي ﷺ لم يجرم المزارعة ولكن أمر  
أن يرفق بعضهم ببعض » (٢) .

ولذلك لما قيل لطاووس : يا أبا عبد الرحمن لو تركت هذه المخابرة فلأنهم يزعمون أن  
رسول الله ﷺ نهى عنها ، قال : « إني أعينهم وأعطيهم » (٣) . فليس كل همه أن يكسب  
من أرضه ، ولو كان ذلك على جوع من يعملون فيها . وإنما هو يعينهم ويعطيهم . وهذا  
هو المجتمع المسلم .

وربما كان من ملاك الأرض من يؤثر بقاء الأرض معطلة لا زراعة فيها ولا غرس ،  
على أن يعطيها من يزرعها بنسبة لا تشبع نهمه وطعمه . ومن أجل ذلك بعث عمر بن عبد  
العزير إلى من همهم الأمر في خلافته : أن أعطوا الأرض على الربع والثلث والخمس ..  
إلى العشر ، ولا تدعوا الأرض خراباً .

### إجارة الأرض بالنقود :

٤ - الطريقة الرابعة : أن يعطي أرضه لمن يزرعها على أن يكون للمالك أجر نقدي  
معلوم ( ذهب أو فضة ) .

وقد أجاز هذه الطريقة كثير من الفقهاء المشهورين ، ومنعها آخرون مستندين إلى

(١) أبو داود . (٢) الترمذي وصححه . (٣) ابن ماجه .

ماصح عن النبي ﷺ ، من النهي عن كراء الأرض ، وأن يؤخذ لها أجر أو حظ ، روى ذلك عن النبي ﷺ شيخان بدرينان ، ورافع بن خديج ، وجابر وأبو سعيد وأبو هريرة وابن عمر كلهم يروي عن النبي ﷺ النهي عن كراء الأرض جملة (١) .

استثنى من هذا الكراء صورة المزارعة ، لما ثبت من استمرار النبي ﷺ عليها مع أهل خيبر في حياته ، واستمرار الأمر بعد وفاته في عهد خلفائه الراشدين .

والناظر في التطور التشريعي لهذه المسألة يتبين له ما قاله ابن حزم : أن النبي ﷺ قدم عليهم وهم يكرون مزارعهم - كما روى رافع وغيره - وقد كانت المزارع بلا شك تكري قبل رسول الله ﷺ وبعد مبعثه . هذا أمر لا يمكن أن يشك فيه ذو عقل ، ثم صح من طريق جابر وأبي هريرة وأبي سعيد ورافع وظهير البدري وآخر من البدرين وابن عمر « نهى رسول الله ﷺ عن كراء الأرض جملة » فبطلت الإباحة بيقين لاشك فيه ، فمن ادعى أن المنسوخ (إباحة الكراء) قد رجع ، وأن تعين النسخ قد بطل ، فهو كاذب مكذب ، قائل ما لا علم له به . وهذا حرام بنص القرآن . إلا أن يأتي على ذلك ببرهان ولاسيلا إلى وجوده أبداً إلا في إعطائها بجزء مسمى بما يخرج منها ( كالثلث والرابع ) فإنه قد صح أن رسول الله ﷺ فعل ذلك بخيبر بعد النهي بأعوام ، وأنه بقي على ذلك إلى أن مات عليه السلام (٢) .

وقد ذهب إلى ذلك جماعة من السلف رضي الله عنهم . فكان طاووس فقيه اليمن والتابعي الجليل يكره أن يؤجر أرضه بالذهب والفضة ولا يرى بالثلث والرابع بأساً . ولما احتج عليهم بعضهم بأن النبي ﷺ نهى عن كراء الأرض قال : « قدم علينا معاذ بن جبل - مبعوث رسول الله ﷺ إلى اليمن - فأعطى الأرض على الثلث والرابع فنحن نعملها إلى اليوم » فكأنه يرى الكراء المنهي عنه هو الكراء بالذهب والفضة . أما المزارعة فلا بأس بها .

وقد روي مثل هذا عن محمد بن سيرين وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أنها



كانا لا يريان بأساً أن يعطي أرضه على أن يعطيه الثلث أو الربع أو العشر ، ولا يكون عليه من النفقة شيء . مع ما روي عنهما من النهي عن كراء الأرض .  
وقد روي عن جماعة آخرين من التابعين النهي عن كراء الأرض جملة : بالنقد أو بالمزاعة عليها . ولا شك أنهم محجوجون في جواز المزاعة بفعل رسول الله وفعل خلقائه وفعل معاذ في اليمن . وهو ما استقر عليه التشريع العملي للمسلمين ، في العصر الأول . أما نهيهم عن إجارة الأرض بالنقد فهو موافق للمنقول والمعقول .

### القياس يقتضي منع الإجارة بالنقد :

إن القياس الصحيح على أصول الإسلام ونصوصه الصحيحة الصحيحة يقتضي ألا تجوز إجارة الأرض البيضاء بالنقد .

أ - فقد نهى النبي ﷺ عن كراء الأرض بجزء معين مما يخرج منها كاردب أو اردبين أو قنطار أو قنطارين تعين لصاحب الأرض ، ولم يجز المزاعة عليها إلا بجزء نسبي كالربع والثلث والنصف - أو بتعبيرنا : بنسبة مئوية - وذلك ليشتركا في الغنم إن أثمرت الأرض ولم يصبها شيء ، وبشتركا في الغرم إن أصابتها الآفات . أما تعيين نصيب أحد المتعاقدين ليكون له الغنم قطعاً واحتمالاً ألا يصيب الآخر إلا العرق والتعب والحسرة فما أشبه هذا بالمراباة والقمار !! فإذا تأملنا في إجارة الأرض بالنقد على ضوء هذا فأي فرق نجد بينها وبين هذا النوع من المزاعة المنهي عنه ؟ إن مالك الأرض ضامن نصيبه التقدي بإجارة الأرض لا محالة . أما المستأجر فهو يقامر بعمله وتعبه ولا يدري أي كسب أم يخسر ؟ أنتج الأرض أم لا تنتج ؟

ب - ثم إن من يؤجر شيئاً يملكه إلى آخر ، فإنما يستحق أجره جزاء على تهيئة هذا الشيء للمستأجر وإعداده لينتفع به ، وعوضاً عما يصيب هذا الشيء من الاستهلاك شيئاً فشيئاً . فأي تهيئة قام بها المالك لإعداد الأرض للمستأجر ؟ إن الله هو الذي هيأ الأرض للأنبات لا المالك . ثم أي استهلاك يصيب الأرض بالزراعة ، والأرض لا تتآكل ولا تتخلخل بالزراعة كالمباني والآلات ونحوها ؟

ثم إن الانسان يستأجر الدار فينتفع بسكناها انتفاعاً مباشراً لا يحول دونه شيء .  
ويستأجر الآلة فينتفع بها كذلك . أما الأرض فإن الانتفاع بها غير مباشر ، وغير  
مضمون ، فهو حين يستأجرها لا ينتفع بها كالدار بل يسعى ويكدح فيها على أمل الانتفاع  
بها الذي قد يكون وقد لا يكون . فأى قياس لإجارة الأرض على إجارة الدار ونحوها  
قياس غير صحيح .

ج - وقد ورد في « الصحيح » أن النبي ﷺ نهى عن بيع الثمار في الحقل أو الحدائق  
قبل أن يبدو صلاحها ، ويعرف أنها سالمة من العاهات والآفات . وقال في تعليل ذلك :  
أرأيتم إذا منع الله الثمرة . ثم يستحل أحدكم مال أخيه ؟ ! .

فإذا كان هذا فيمن باع ثمرة قد بدت ولكن لم تتأكد سلامتها ، وقد يصيبها آفة  
تمنعها من تمام النضج . فكيف بمن أعطى أرضاً بيضاء لم يضرب فيها فأساً ولم يلق فيها بذراً .  
أليس هذا أولى أن يقال له : أرأيت إذا منع الله الثمرة فيها إذا تستحل مال أخيك ؟ !

وقد رأيت بعيني حقول القطن تلتهمها الآفات ( الدودة ) حتى تركتها حطباءً يابساً  
لا خير فيه . فما كان من أصحاب الأرض إلا أن طلبوا إيجارهم . وما كان للمستأجرين إلا  
أن يرضخوا - تحت سطوة العقود الممضاة والحاجة الملحة - فأين التكافؤ ؟ وأين العدل هنا  
الذي يحرص عليه الإسلام ؟

إن العدل لا يتحقق إلا بالمزارعة التي يكون فيها الغنم أو الغرم واقعاً على الطرفين .  
والذي يستريح إليه القلب ألا يقل نصيب العامل عن النصف ، كما صنع النبي ﷺ  
وخلفاؤه مع يهود خيبر<sup>(١)</sup> . فليس من اللائق أن يكون نصيب الجماد - الأرض - أرفع  
عند القسمة من نصيب الإنسان .

---

(١) راجع في هذا الموضوع ما كتبه ابن حزم في المحلى ج ٨ والاستاذ ابو الاعلى المودودي في  
رسالة « ملكية الارض في الاسلام » والاستاذ محمود ابو السعود في مجلة « المسلمون » السنة الاولى تحت عنوان  
« استغلال الارض في الاسلام » .

## الشركة في تربية الحيوان :

وهناك معاملة جارية في بلادنا ، وخاصة في الريف ، هي الاشتراك في تربية الحيوانات والمواشي : فيدفع أحد الطرفين الثمن كله أو بعضه ، ويقوم الطرف الآخر بالإشراف والرعاية ، ويقسمان النتائج والربح بعد ذلك .

ولكي نبدي رأينا في هذه الشركة وجب علينا أن نبين ما فيها من صور :

١ - الصورة الأولى : الاشتراك لغرض تجاري بحت من الطرفين ، كالاشتراك في تربية العجول للتسمين أو تربية الأبقار والجواميس لإنتاج اللبن .

والمفروض هنا : أن يبذل الطرف الأول المال أي الثمن من جانبه ، ويبذل الطرف الآخر العمل ، وهو الرعاية والإشراف ، وما أنفق على الأكل والشرب ونحوهما فهو على الشركة لا على واحد منها ، وعند البيع تطرح النفقة من ثمن البيع ، وما بقي من ربح اقتسماه حسب الشرط .

وليس من العدل أن يلزم أحد الطرفين بالإففاق ، مع أنه لا ينتفع بشيء مقابله ، ومع أن الربح يقسم بينها . وهذا واضح .

٢ - الصورة الثانية : الاشتراك بين الطرفين الذي يدفع الثمن والطرف الآخر ، الذي

يقوم بالنفقة والرعاية ، وينتفع في مقابل ذلك بلبن الماشية أو بعملها في حرثه وسقيه وزراعته . ولا بأس بهذه الصورة استحساناً إذا كان الحيوان كبيراً ينتفع به فعلاً بلبن أو عمل . صحيح أن يبذله الطرف الثاني من نفقة ، وما ينتفع به من لبن أو عمل لا يعرف تساويهما ، ولا نسبة أحدهما إلى الآخر ، وفيه نوع من الغرر . غير أننا استحسنا جواز ذلك ولم نعتبر هذا الغرر القليل لورود أمر مشابه لذلك في الشريعة . ففي الحديث الصحيح في شأن الرهن إذا كان المرهون حيواناً يمكن أن يركب أو يجلب ، قال رسول الله ﷺ : « الظَّهْر يَرْكَبُ بِنَفَقَتِهِ إِذَا كَانَ مَرْهُونًا ، وَابْنُ الدَّرِّ يَشْرَبُ بِنَفَقَتِهِ إِذَا كَانَ مَرْهُونًا وَعَلَى الَّذِي يَرْكَبُ وَيَشْرَبُ النِّفْقَةَ » رواه البخاري عن أبي هريرة .

ففي هذا الحديث جعل النبي ﷺ النفقة على الحيوان مقابل ركوبه إذا كانت ذا ظهر يركب أو مقابل لبنه إذا كان ذا در يجلب .

وإذا جاز هذا في الرهن لحاجة التعامل واستيثاق الناس بعضهم من بعض - مع أن قيمة النفقة على الحيوان قد تكون أقل أو أكثر من قيمة ما ينتفع به من ركوبها أو درها - فلا بأس أن نجيز مثل ذلك في شركة الحيوانات التي ذكرناها ، لحاجة الناس أيضاً . وهذا الذي استنتجناه من هذا الحديث رأي خاص لنا . أرجو أن يكون سداداً .  
وأما الاشتراك في العجول الصغيرة ( التي لا ينتفع منها بعمل ولا لبن ) على أساس أن يكون الثمن من جانب ، والنفقة من جانب ، فإن قواعد الإسلام تأبى بإباحة ذلك ؛ لأن الطرف المنفق يفرم وحده ، دون مقابل يعود عليه من عمل أو لبن . والطرف الآخر هو المستفيد الغائم على حساب هذا . وليس ذلك من العدل الذي يتحرّاه الإسلام في كل صور المعاملات .

فإذا أمكن أن يتقاسم النفقة حتى يأتي أوان الانتفاع ، فهذا جائز فيما نرى .



## في اللهو والترفيه

الإسلام دين واقعي لا يخلق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة ، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع . ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أو لو أجنحة منى وثلاث ورباع ، ولكنه يعاملهم كبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق . لذلك لم يفرض على الناس - ولم يفترض فيهم - أن يكون كل كلامهم ذكراً ، وكل صمتهم فكراً ، وكل سماعهم قرآناً ، وكل فراغهم في المسجد . وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها ، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون كما خلقهم يأكلون ويشربون .

### ساعة وساعة :

ولقد بلغ السمو الروحي ببعض أصحاب النبي ﷺ مبلغاً ظنوا معه أن الجذ الصارم ، والتعبد الدائم لا بد أن يكون ديدنهم ، وأن عليهم أن يدبروا ظهورهم لكل متع الحياة ، وطيبات الدنيا ، فلا يلهون ولا يلعبون ، بل تظل أبصارهم وأفكارهم متجهة إلى الآخرة ومعانها بعيدة عن الحياة ولهوها .

ولنستمع إلى حديث هذا الصحابي الجليل حنظلة الأسيدي - وكان من كتاب رسول

الله ﷺ - قال يحدثنا عن نفسه :

لقيني أبو بكر وقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قلت : نافع حنظلة !!

قال : سبحان الله : ما تقول ؟

قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرفنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين ، فإذا

خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا ( لاعبنا ) الأزواج والأولاد والضيعات ،

فنسينا كثيراً !!

قال أبو بكر : فوالله إنا لتلقى مثل هذا !  
قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ  
قلت : تافق حنظلة يا رسول الله !  
فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟  
قلت : يا رسول الله ؛ نكون عندك تذكرونا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين ، فإذا  
خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً !  
قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده : إن لوتدومون علي ما تكونون عندي وفي  
الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ،  
وكرر هذه الكلمة - ساعة وساعة - « ثلاث مرات » (١) .

### الرسول الانسان :

وكانت حياته ﷺ مثلاً رائعاً للحياة الإنسانية المتكاملة : فهو في خلوته يصلي  
ويطيل الخشوع والبكاء والقيام حتى ترم قدماه ، وهو في الحق لا يبالي بأحد في جنب الله ،  
ولكنه مع الحياة والناس بشر سوي يحب الطيبات ، ويبش ويتسم ، ويداعب ويمزح  
ولا يقول إلا حقاً .

كان ﷺ يحب السرور وما يجلبه ، ويكره الحزن وما يدفع إليه من ذيون ومتاعب  
ويستعين بالله من شره ، ويقول : « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن » (٢) .  
ومما روي في مزحه أن امرأة عجوزاً جاءت تقول له : يا رسول الله ، ادع الله لي أن  
يدخلني الجنة . فقال لها : يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز !! وانزعجت المرأة وبكت  
- ظناً منها أنها لن تدخل الجنة - فلما رأى ذلك منها بين لها غرضه : إن العجوز لن تدخل  
الجنة عجوزاً ، بل ينشأها الله خلقاً آخر ، فتدخلها شابة بكرًا . وتلا عليها قول الله تعالى :  
( إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . غُرُبًا أَثَرِ آبَاءٍ ) الواقعة : ٣٥-٣٧

(٢) أبو داود .

(١) صحيح مسلم ،

### القلوب تمل :

و كذلك كان أصحابه الطيبون الطاهرون ، يمزحون ويضحكون ويلعبون ويتندرون ، معرفة منهم بحظ النفس ، وتلبية لنداء الفطرة ، وتمكيناً للقلوب من حقها في الراحة ، واللهو البريء لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الجد . وانه لطريق طويل .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .

وقال : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أكره عمي .

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل ، ليكون أعون لها على الحق .

فلا بأس على المسلم أن يتفكه ويمزح بما يشرح صدره ، ولا حرج عليه أن يروح نفسه ونفس رفيقائه بلهو مباح . على ألا يجعل ذلك ديدنه وخلقه في كل أوقاته ، ويملا به صباحه ومساءه ، فيشتغل به عن الواجبات ، وهزل في موضع الجد . ولذا قيل ( أعط الكلام من المزح بقدر ما يعطى الطعام من الملح ) .

كما أنه لا ينبغي للمسلم أن يجعل من أقدار الناس وأعراضهم محل مزاحه وتندرته قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَمِيَ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ) سورة الحجرات : ١١

ولا ينبغي أن يجره كذلك حب إضحاك الناس ، إلى اتخاذ الكذب وسيلة . وقد حذر من ذلك الرسول الكريم فقال : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ويل له ! ويل له ! » (١) .

### ألوان من اللهو الحلال :

وهناك ألوان كثيرة من اللهو ، وفنون من اللعب شرعها النبي ﷺ للمسلمين ترفيهاً عنهم ، وترويحاً لهم ، وهي في الوقت نفسه تهيء نفوسهم للاقبال على العبادات

والواجبات الاخرى ، أكثر نشاطاً وأشد عزيمة ، وهي مع ذلك في كثير منها رياحات  
تدربهم على معاني القوة ، وتعدم لميادين الجهاد في سبيل الله . ومن ذلك .

### مسابقة العدو ( الجري على الأقدام ) :

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الأقدام ، والنبي ﷺ يقرم عليه ،  
وقد رووا أن علياً كرم الله وجهه كان عداء سريع العدو .

وكان النبي نفسه صلوات الله عليه يسابق زوجته عائشة رضي الله عنها مباسطة لها ،  
وتطيباً لنفسها ، وتعليماً لاصحابه .

قالت عائشة : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبنت حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت)  
سابقني فسبقتني ، فقال : « هذه بتلك »<sup>(١)</sup> يشير إلى المرة الاولى .

### المصارعة :

وقد صارع النبي ﷺ رجلاً معروفاً بقوته يسمى « ركانة » فصرعه النبي أكثر من  
مرة<sup>(٢)</sup> . وفي رواية أن النبي ﷺ صارعه - وكان شديداً - فقال : شاة بشاة<sup>(٣)</sup> . فصرعه  
النبي ﷺ ، فقال : عاودني في أخرى ، فصرعه النبي ، فقال : عاودني ، فصرعه النبي الثالثة !  
فقال الرجل : ماذا أقول لاهلي؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت فما أقول في الثالثة؟!  
فقال النبي ﷺ : ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرملك ، خذ غنمك .

وقد استنبط الفقهاء من هذه الاحاديث النبوية مشروعية المسابقة على الاقدام ، سواء  
أكانت بين الرجال بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين النساء المحارم أو الزوجات . كما أخذوا  
منها أن المسابقة والمصارعة ونحوها لاتنافي الوقار والشرف والعلم والفضل وعلو السن ، فإن  
النبي ﷺ حين سابق عائشة كان فوق الحسين من عمره .

(٢) أبو داود .

(١) أحمد وأبو داود .

(٣) لا بد أن يكون هذا قبل تحريم القمار أو ان النبي لم يقبل هذا ولذلك لم يتغذ .



### اللعب بالسهم ( التصويب ) :

ومن فنون اللهو المشروعة اللعب بالسهم والحراب :  
وكان النبي عليه السلام يبر على أصحابه في حلقات الرمي ( التصويب ) فيشجعهم ويقول : « ارموا وأنا معكم »<sup>(١)</sup>.

ويرى عليه السلام أن هذا الرمي ليس هواية أو لهواً فحسب ، بل هو نوع من القوة التي أمر الله بإعدادها ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) وقال عليه السلام في ذلك : « ألا إن القوة الرمي . ألا إن القوة الرمي . ألا إن القوة الرمي »<sup>(٢)</sup> وقال ﷺ : « عليكم بالرمي فإنه من خير هوكم »<sup>(٣)</sup>.

غير أنه عليه السلام حذر اللاعبين أن يتخذوا من الدواجن ونحوها غرضاً لتصويبهم وتدريبهم - وكان ذلك بما اعتاده بعض العرب في الجاهلية - .  
وقد رأى عبد الله بن عمر جماعة يفعلون ذلك ، فقال : إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئاً في الروح غرضاً<sup>(٤)</sup>.

ولما لعن من فعل ذلك لما فيه من تعذيب للحيوان وإتلاف نفسه فضلاً عن إضاعة المال ولا ينبغي أن يكون هو الإنسان ولعبه على حساب غيره من الكائنات الحية .  
ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن التحريش بين البهائم<sup>(٥)</sup> وذلك بتسليط بعضها على بعض ، وكان من العرب من يأتون بكبشين أو ثورين يتناطحان حتى يهلكا أو يقاربا الهلاك ، وهم يتفرجون ويضحكون . قال العلماء : وجه النهي عن التحريش : أنه إبلام للحيوانات ، وإتعاها ، دون فائدة إلا لمجرد العبث .  
ومن هذه الأحاديث نعرف حكم الإسلام فيما عرف اليوم باسم « مصارعة الثيران » .

(١) البخاري . (٢) مسلم . (٣) البزار والطبراني باسناد جيد (٤) متفق عليه

(٥) أبو داود والترمذي .

### اللعب بالحراب ( الشيش ) :

ومثل اللعب بالسهام : اللعب بالحراب ( الشيش )  
وقد أذن النبي ﷺ للحبشة أن يلعبوا بها في مسجده الشريف ، وأذن لزوج عاتشة أن  
تنظر إليهم ، وهو يقول لهم : « دونكم يا بني أرفدة » وهي كنية ينادي بها أبناء الحبشة  
عند العرب .

ويبدو أن عمر - لطبيعته الصارمة - لم يرقه هذا اللعب ، وأراد أن يمنعهم ، فنهاه النبي  
ﷺ عن ذلك ، فقد روى الصحيحان عن أبي هريرة قال : بينا الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ  
بجراهم ، دخل عمر فأهوى إلى الحصاء فحصبهم بها ، فقال رسول الله ﷺ « دعهم يا عمر » .  
ولأنها لساحة كريمة من رسول الإسلام أن يقر مثل هذا اللعب في مسجده المكرم ،  
ليجمع فيه بين الدين والدنيا ، وليكون ملتقى المسلمين في جدم حين يجدون ، وفي لهوهم  
حين يلهون ، على أن هذا ليس لهواً فقط ، بل هو لهو ورياضة وتدريب . وقد قال العلماء  
تعقيباً على هذا الحديث : إن المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين ، فما كان من الأعمال  
يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه .

فليُنظر مساهم العصور المتأخرة كيف أقفرت مساجدهم من معاني الحياة والقوة ،  
وبقيت في كثير من حالاتها مقرأ للعاطلين ؟

وإنه لتوجيه نبوي كريم في معاملة الزوجات وترويح أنفسهن بإتاحة مثل هذا اللعب  
المباح قالت عاتشة زوج النبي الكريم : « لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى  
الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا الذي أسأله ، فأقدروا قدر الجارية الحديثة  
السن ، تسمع اللهو » (١) .

وقالت كنت أعب بالبنات عند رسول الله ﷺ في بيته - وهن اللُعب - وكان لي  
صواحب يلعبن معي ، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمعن ( يستخفين هيبته منه )  
فيستترن إلي ، فيلعبن معي » (١) .

(١) متفق عليه .

## ألعاب الفروسية :

قال الله تعالى ( والحَيْلُ والبِغَالُ والحَمِيرُ لِيُرَكَّبُوها وَزِينَةٌ ) سورة النحل : ٨  
وقال رسوله الكريم : « الحيل معقود بنواصيها الخير »<sup>(١)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام : « ارموا واركبوا »<sup>(٢)</sup>.

وقال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو ، إلا أربع خصال : مشي  
الرجل بين الغرضين ( للرمي ) وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة »<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً ».

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق<sup>(٤)</sup> وكل هذا من النبي ﷺ

تشجيع على السباق وإغراء به ، لأنه - كما قلنا - هو ورياضة وتدريب .

وقيل لأنس : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ ؟ أكان رسول الله ﷺ يراهن ؟

قال : نعم ، والله لقد راهن على فرس يقال له سبعة ، فسبق الناس ، فهش لذلك وأعجبه<sup>(٥)</sup> .

والرهان المباح أن يكون الجعل الذي يبذل من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط ،

فأما إذا بذل كل منهما جعلاً على أن من سبق منهما أخذ الجعلين معاً فهو القمار المنهي عنه .

وقد سمي النبي ﷺ هذا النوع من الخيل الذي يعد للقمار « فرس الشيطان » وجعل ثمنها

وزراً ، وعلفها وزراً ، وركوبها وزراً<sup>(٥)</sup>.

وقال : الخيل ثلاثة : فرس للرحمن ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان . فأما فرس

الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله فعلفه وروثه وبوله ، وذكر ما شاء الله ( يعني أن كل

ذلك له حسنات ) . وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه . وأما فرس الإنسان

فالذي يرتبطه الإنسان يلتمس بطنها ( أي للتناج ) فهي ستر من فقر<sup>(٥)</sup> .

(١) البخاري . (٢) مسلم . (٣) الطبراني باسناد جيد . (٤) رواها أحمد .

(٥) روى ذلك أحمد .

### الصيد :

ومن اللهو النافع الذي أقره الإسلام: الصيد، وهو في الواقع متعة ورياضة واكتساب سواء أكان عن طريق الآلة كالنبال والرماح ، أو عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور. وقد سبق أن تحدثنا عن الاستراطات والآداب التي طلبها الإسلام فيه .

ولم يمنع الإسلام الصيد إلا في حالتين : حالة المحرم بالحج والعمرة؛ فإنه في مرحلة سلام كامل ، لا يقتل فيها ولا يسفك دمًا كما قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ، وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ) سورة المائدة : ٩٥، ٩٦ والحالة الثانية : حالة المحرم في مكة فقد جعلها الإسلام منطقة سلام وأمن لكل كائن حي ينقل في أرجائها ، أو يطير في سماها ، أو حتى ينبت في أرضها فهي كما قال النبي ﷺ لا يصاد حبيدها ، ولا يقطع شجرها ، ولا يختلى خلاها (١) .

### اللعب بالترد ( الطاولة ) :

وكل لعب فيه قمار فهو حرام. والقمار كل ما لا يخلو اللاعب فيه من ربح أو خسارة. وهو الميسر الذي قرنه القرآن بالخمير والأنصاب والأزلام . وقال النبي ﷺ : « من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » (١) يعني أن مجرد الدعوة إلى المقامرة ذنب يوجب الكفارة بالتصدق .

ومن ذلك اللعب بالترد ( الزهر ) إذا اقترن بقمار ، فهو حرام اتفاقاً . وإن لم يقترن به فقال قوم من العلماء : يحرم . وقال بعضهم . يكره ولا يحرم . وحجة المحرمين ما رواه بريدة عن النبي ﷺ قال : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » (٢) .

وما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ قال : « من لعب بالترد فقد عصى الله ورسوله » (٣) .

---

(١) متفق عليه . (٢) مسلم واحمد وابو داود (٣) احمد وابو داود وابن ماجه ومالك في الموطأ .

والحديثان صريحان عامان في كل لاعب قامر أم لم يقامر .  
قال الشوكاني : روي أنه رخص في النرد ابن مغفل وابن المسيب على غير قمار ،  
ويبدو أنها حملا الأحاديث على من لعب بقمار .

### اللعب بالشطرنج :

ومن ألوان اللهو المعروفة : الشطرنج ، وقد اختلف الفقهاء في حكمه بين الإباحة  
والكراهة والتحريم .

واحتج المحرمون بأحاديث رويها عن النبي ﷺ ، ولكن نقاد الحديث وخبراءه ردوها  
وأبطلوها ، وبينوا أن الشطرنج لم يظهر إلا في زمن الصحابة فكل ماورد فيه من  
أحاديث باطل .

أما الصحابة رضي الله عنهم فاختلّفوا في شأنه : قال ابن عمر : هو شر من النرد ، وقال  
علي هو من الميسر ( ولعله يقصد ما إذا اختلط به القمار ) .

وروي عن بعضهم كراهيته فحسب .

كما روي عن بعض الصحابة والتابعين أنهم أباحوه من هؤلاء ابن عباس ، وأبو هريرة  
وابن سيرين ، وهشام بن عروة ، وسعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير .

وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء الأعلام هو الذي نراه ، فالأصل - كما علمنا - الإباحة ،  
ولم يحىء نص على تحريمه . على أن فيه - فوق اللهو والنملية - رياضة للذهن ، وتدريباً  
للفكر ، وهو لذلك يخالف النرد ولذلك قالوا : إن المعول في النرد على الحظ ، فأشبهه الأعلام  
والمعول في الشطرنج على الحدق والتدبير ، فأشبهه المسابقة بالسهم .

وقد اشترط من أباحه شروطاً ثلاثة :

١ - ألا تؤخر بسببه صلاة عن وقتها ، فإن أكبر خطورته في سرقة الأوقات .

٢ - ألا يخالطه قمار .

٣ - أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب من الفحش والخنا ورديء الكلام .

فلذا فرط في هذه الثلاثة أو بعضها اتجه القول إلى التحريم .

### الغناء والموسيقى :

ومن اللهو الذي تستريح إليه النفوس ، وتطرب له القلوب ، وتنعم به الآذان : الغناء ، وقد أباحه الإسلام ما لم يشتمل على فحش أو خنا أو تحريض على إثم ، ولا بأس بأن تصحبه الموسيقى غير المثيرة .

واستجبه في المناسبات السارة ، إشاعة للمرور ، وترويحاً للنفوس وذلك كأيام العيد والعرس وقدم الغائب ، وفي وقت الوليمة ، والعقيقة ، وعند ولادة المولود .

فعن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ : يا عائشة « ما كان معهم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو ! »<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس : زوجت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أهديتم الفتاة؟ قالوا : نعم . قال : أرسلتم معها من يغني؟ قالت : لا . فقال رسول الله ﷺ : إن الأنصار قوم فيهم غزل ، فلو بعتم معها من يقول : أتيناكم أتيناكم ، فحيانا وحياكم »<sup>(٢)</sup> ؟

وعن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى ( في عيد الاضحى ) تغنيان وتضربان ، والنبي ﷺ متعش بشوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبي ﷺ عن وجهه ، وقال : « دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد »<sup>(٣)</sup> .

وقد ذكر الإمام الغزالي في كتاب « الإحياء »<sup>(٤)</sup> أحاديث غناء الجاريتين ، ولعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ وتشجيع النبي لهم بقوله : دونكم يا بني أرفدة . وقول النبي لعائشة تشهين أن تنظري ، ووقوفه معها حتى تمل هي وتسام ، ولعبها بالبنات مع صواحبها . ثم قال : فهذه الاحاديث كلها في « الصحيحين » ، وهي نص صريح في أن الغناء واللعب ليس مجرام ، وفيها دلالة على أنواع من الرخص :

الاول : اللعب ، ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب .

والثاني : فعل ذلك في المسجد .

(١) البخاري . (٢) ابن ماجه . (٣) متفق عليه . (٤) في كتاب السماع من ربيع العادات .

والثالث : قوله ﷺ : دونكم يا بني أرفدة ، وهذا أمر باللعب والناس له فكيف يقدر كونه حراماً ؟

والرابع : منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتعليل والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد أي هو وقت سرور ، وهذا من أسباب السرور .

والخامس : وقوفه طويلاً في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها ، وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتكشف في الامتناع والمنع منه .

والسادس : قوله ﷺ لعائشة ابتداء : أتشتمين أن تنظري ؟

والسابع : الرخصة في الغناء ، والضرب بالدف من الجاريتين . الخ ما قاله الغزالي في كتاب السماع .

وقد روي عن كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم سمعوا الغناء ولم يروا بسماعه بأساً .

أما ما ورد فيه من أحاديث نبوية فكلها مثخنة بالجراح لم يسلم منها حديث من طعن عند فقهاء الحديث وعلمائه ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : لم يصح في تحريم الغناء شيء ، وقال ابن حزم : كل ما روي فيها باطل موضوع .

وقد اقتصرت الغناء والموسيقى كثيراً بالترويض وبجالس الخمر والسهر الحرام مما جعل كثيراً من العلماء يجرمونه أو يكرهونه ، وقال بعضهم : إن الغناء من « هو الحديث » المذكور في قوله تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّبِينٌ ) سورة : وقال ابن حزم : إن الآية ذكرت صفة من فعلها كان كافراً بلا خلاف إذا اتخذ سبيل الله هزواً ، ولو أنه اشتري مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذ هزواً لكان كافراً ، فهذا هو الذي ذم الله عز وجل ، وما ذم سبحانه قط من اشتري لهو الحديث ليلتهى به ويروح نفسه لايضل عن سبيل الله .

ورد ابن حزم أيضاً على الذين قالوا إن الغناء ليس من الحق فهو إذاً من الضلال قال تعالى :

(مِمَّا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) يونس : ٣٢ . قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »<sup>(١)</sup> فمن نوى باستماع الغناء عوناً على معصية الله فهو فاسق - وكذلك كل شيء غير الغناء - ومن نوى ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل ، وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن ، وفعله هذا من الحق . ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه ، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزهماً ، وقعوده على باب داره متفرجاً ، وصبغه ثوبه لازوردياً أو أخضر أو غير ذلك ... »  
على أن هناك قيوداً لا بد أن نراعيها في أمر الغناء .

١ - فلا بد أن يكون موضوع الغناء بما لا يخالف أدب الإسلام وتعاليمه ، فإذا كانت هناك أغنية تمجد الحجر أو تدعو إلى شربها مثلاً فإن أداءها حرام ، والاستماع إليها حرام وهكذا ما شابه ذلك .

٢ - وربما كان الموضوع غير منافي لتوجيه الإسلام ، ولكن طريقة أداء المعنى له تنقله من دائرة الحل إلى دائرة الحرمة ، وذلك بالتكسر والتميع وتعمد الإثارة للغرائز ، والإغراء بالفتن والشهوات .

٣ - كما أن الدين يجارب الغلو والإسراف في كل شيء حتى في العبادة فمبالغة الإسراف في اللهو ، وشغل الوقت به ، والوقت هو الحياة !

لا شك أن الإسراف في المباحات يأكل وقت الواجبات وقد قيل بحق : « ما رأيت إسرافاً إلا وبجانبه حق مضيع » .

٤ - تبقى هناك أشياء يكون كل مستمع فيها مفتي نفسه ، فإذا كان الغناء أولون خاص منه يستثير غريزته ، ويغريه بالفتن ، ويطغى فيه الجانب الحيواني على الجانب الروحاني ، فعليه أن يتجنبه حينئذ ، ويسد الباب الذي تهب منه رياح الفتنة على قلبه ودينه وخلقه ، فيستريح ويريح .

٥ - ومن المتفق عليه أن الغناء مجرم إذا اقترن بمجرامات أخرى كأن يكون في مجلس شرب أو تخالطه خلاعة أو فيجور ، فهذا هو الذي أنذر رسول الله ﷺ أهله وسامعيه بالعذاب الشديد حين قال : « ليشربن أناس من أمتي الحجر يسمونها بغير اسمها ،

(١) متفق عليه .



يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة  
والخنزير»<sup>(١)</sup>.

وليس بلازم أن يكون مسخ هؤلاء مسخاً للشكل والصورة ، وإنما هو مسخ النفس  
والروح ، فيحملون في إهاب الإنسان نفس القرد وروح الخنزير<sup>(٢)</sup>.

### القمار :

والإسلام الذي أباح للمسلم ألواناً من اللهو والعب حرم كل لعب يخالطه قمار ، وهو  
ما لا يخلو للاعب فيه من ربح أو خسارة . وقد ذكرنا قبل ذلك قول الرسول : «من قال  
لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق» .

ولا يحل لمسلم أن يجعل من لعب القمار (الميسر) وسيلته للهو والتسلية وتمضية أوقات  
الفراغ ، كما لا يحل له أن يتخذ منه وسيلة لاكتساب المال ، بحال من الأحوال .

وللإسلام من وراء هذا التحريم الجازم حكم بالغة ، وأهداف جليلة :

١ - أنه يريد من المسلم أن يتبع سنن الله في اكتساب المال ، وأن يطلب النتائج من  
مقدماتها ، ويأتي البيوت من أبوابها ، وينتظر المسببات من أسبابها .

والقمار - ومنه اليانصيب - يجعل الإنسان يعتمد على الحظ والصدفة ، والأمان في الفارغة  
لا على العمل والجد ، واحترام الأسباب التي وضعها الله ، وأمر باتخاذها .

٢ - والإسلام يجعل مال الغير حرمة فلا يجوز أخذه منه ، إلا عن طريق مبادلة مشروعة  
أو عن طيب نفس منه هبة أو صدقة . أما أخذه بالقمار ، فهو من أكل المال بالباطل .

٣ - ولا عجب بعد هذا ، أن يورث العداوة والبغضاء بين اللاعبين المتقارنين ، وإن  
أظهروا بالسنتهم أنهم راضون ، فإنهم دائماً بين غالب ومغلوب ، وغابن ومغبون : والمغلوب  
إذا سكت ، سكت على غيظ وحنق ، غيظ من خاب أمه ، وحنق من خسرت صفقته ،  
وإن خاصم خاصم فيما التزمه بنفسه ، واقتحم فيه بعضه .

٤ - والحجة تدفع المغلوب إلى المعاودة عسى أن يعرض في الثانية ما خسر في الأولى  
والغالب تدفعه لذة الغلبة إلى التكرار ، ويدعوه قليلاً إلى كثيره ، ولا يدعه حرصه ليقطع

(١) ابن ماجه . (٢) ما كتبهنا هنا عن الفناء ملخص من بحث واف عن حكم الفناء  
والموسيقى في الإسلام ، كنت أعدده منذ سنوات ، وأرجو أن ينشر قريباً إن شاء الله .

وعما قليل تكون الدائرة عليه ، وينتقل من نشوة الظفر الى غم الفشل . وهكذا دواليك بما يربط كليهما بمنضدة اللعب فلا يكادان يفارقانها . وهذا هو السر في كارثة الإدمان في لاعبي الميسر .

٥ - من أجل ذلك كانت هذه الهواية خطراً شديداً على المجتمع ، كما هي خطر على الفرد ؛ لأنها هواية تلتهم الوقت والجهد ، وتجعل من المقامرین أناساً عاطلين ، يأخذون من الحياة ولا يعطون ، ويستهلكون ولا ينتجون . والمقامر مشغول دائماً بقماره عن واجبه نحو ربه ، وواجبه نحو نفسه ، وواجبه نحو أسرته ، وواجبه نحو أمته .

ولا يستبعد على من عشق « المائدة الخضراء » - كما يسمونها - أن يبيع من أجلها دينه وعرضه ووطنه ، فإن صداقة هذه المائدة تنتزعه من الصداقة لأي شيء ، أو أي معنى آخر . كما أنها تغرس فيه حب المقامرة بكل شيء . حتى بشرفه وعقيدته وقومه ، في سبيل كسب موهوم .

وما أصدق القرآن زأروعه حين جمع بين الخمر والميسر في آياته وأحكامه ، فإن أضرارهما على الفرد والأسرة والوطن والأخلاق ، متشابهة ، وما أشبه مدمن القمار بدمن الخمر بل قلما يوجد أحدهما دون الآخر .

ما أصدق القرآن حين علمنا أنها من عمل الشيطان ، وعرفنا بالأنصاب والأزلام ، وجعلها رجساً واجب الاجتناب ( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ) .

### اليانصيب :

وما يسمى « باليانصيب » هو لون من ألوان القمار ، ولا ينبغي التساهل فيه والترخيص به باسم « الجمعيات الخيرية » و « الأغراض الإنسانية » .

إن الذين يستيحيون اليانصيب لهذا ، كالذين يجمعون التبرعات لمثل تلك الأغراض بالرقص الحرام ، و « الفن » الحرام . ونقول لهؤلاء وهؤلاء : « إن الله طيب لا يقبل الاطيبا » .

والذين يلجؤون الى هذه الأساليب يفترضون في المجتمع أن قد ماتت فيه نوازع الخير، وبواعث الرحمة، ومعاني البر، ولا سبيل إلى جمع المال إلا بالقمار أو اللهب المحظور. والإسلام لا يفترض هذا في مجتمعه، بل يؤمن بجانب الخير في الإنسان، فلا يتخذ إلا الوسيلة الطاهرة للغاية الشريفة، تلك الوسيلة هي الدعوة إلى البر، واستئثار المعاني الإنسانية ودواعي الإيمان بالله والآخرة.

### دخول السينما :

ويتساءل كثير من المسلمين عن موقف الإسلام من دور الحياة (السينما) والمسرح وما شابهها. وهل يحل للمسلم ارتيادها أم يحرم عليه؟ ولا شك أن «السينما» وما مثلها أداة هامة من أدوات التوجيه والترفيه، وسأنتها شأن كل أداة فهي إما أن تستعمل في الخير أو تستعمل في الشر، فهي بذاتها لا بأس بها ولا شيء فيها، والحكم في شأنها يكون بحسب ما تؤديه وتقوم به.

وهكذا نرى في السينما: فهي حلال طيب، بل قد تستحب وتطلب إذا توفرت لها الشروط الآتية :

أولاً : أن تتزه موضوعاتها التي تعرض فيها عن المجنون والفسق وكل ما ينافي عقائد الإسلام وشرائعه وآدابه، فأما الروايات التي تثير الغرائز الدنيا أو تحرض على الإثم أو تعري بالجرمة إلى آخر ما نعرف، فهي حرام لا يحل للمسلم أن يشاهدها أو يشجعها.

ثانياً : ألا تشغله عن واجب ديني أو دنيوي. وفي طليعة الواجبات صلوات الخمس التي فرضها الله كل يوم على المسلم، فلا يجوز للمسلم أن يضيع صلاة مكتوبة - كصلاة المغرب من أجل رواية يشاهدها. قال تعالى : ( فويلٌ للمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ) سورة الماعون : ٥، ٤. وفسر السهو عنها بتأخيرها حتى يفوت وقتها.

ثالثاً : أن يتجنب مرتادها الملاصقة والاختلاط المثير بين الرجال والنساء الأجنبية عنهن، منعاً للفتنة، ودرءاً للشبهة، ولا سيما أن المشاهدة لا تتم إلا تحت ستار الظلام قال عليه السلام : « لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » (١).

(١) رواه البيهقي والطبراني ورجاله ثقات رجال الصحيح .

## في العلاقات الاجتماعية

أقام الإسلام العلاقة بين أبناء مجتمعه على دعامتين أصيلتين :

أولاهما : رعاية الأخوة التي هي الرباط الوثيق بين بعضهم وبعض .  
والثانية : صيانة الحقوق والحرمات التي حماها الإسلام لكل فرد منهم من دم وعرض ومال .  
وكل قول أو عمل أو سلوك فيه عدوان على هاتين الدعامتين أو خدش لهما ، يجرمه الإسلام تحريماً يختلف في الدرجة حسب ما ينجم عنه من ضرر مادي أو أدبي .  
وفي الآيات التالية نموذج من هذه الحرمات التي تضر بالأخوة وحرمات الناس .

قال تعالى : ( إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحموا . يا أيها الذين آمنوا لا تسخرن قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهوه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ) سورة الحجرات : ١٢

قرر تعالى في أولى هذه الآيات أن المؤمنين إخوة تجمعهم أخوة الدين مع أخوة البشرية ، ومقتضى الأخوة أن يتعارفوا ولا يتناكروا ، ويتواصلوا ولا يتقاطعوا ، ويتصافوا ولا يتشاحنوا ، ويتحابوا ولا يتباغضوا ، ويتحدوا ولا يختلفوا .  
وفي الحديث « لا تحاسدوا ، ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً » (١) .

### لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً :

ومن هنا حرم الإسلام على المسلم أن يجفو أخاه المسلم ، ويقاطعه ، ويعرض عنه ، ولم يرخص للمتشاكين إلا في ثلاثة أيام حتى تبدأ ثأرتيها ، ثم عليهما أن يسعيا للصلح والصفاء والاستعلاء على نوازع الكبر والغضب والحصومة ، فمن الصفات الممدوحة في القرآن ( أذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) سورة المائدة : ٥٤

قال النبي ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه ، فإن رد عليه السلام فقد استركا في الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم ، وخرج المسلم من الهجرة » (١) .

وتأكد حرمة القطيعة إذا كانت لذي حرم أوجب الإسلام صلته ، وأكد وجوبها ، ورعاية حرمتها . قال تعالى : ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) سورة النساء : ١ وصور الرسول ﷺ هذه الصلة ومبلغ قيمتها عند الله فقال : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله » (٢) وقال « لا يدخل الجنة قاطع » (٣) فسرره بعض العلماء بقاطع الرحم ، وفسره آخرون بقاطع الطريق فكأنها بمنزلة واحدة .

وليست صلة الرحم الواجبة أن يسكفيء القريب قربه صلة بصلة وإحساناً بإحسان ، فهذا أمر طبيعي مفروض إنما الواجب أن يصل ذوي رحمه وإن هجره . قال عليه السلام : « ليس الواصل بالمسكفيء ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها » (٤) .

وهذا ما لم يكن ذلك الهجران ، وتلك المقاطعة لله وفي الله وغضباً للحق ؛ فإن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

وقد هجر النبي ﷺ وأصحابه الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك خمسين يوماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ، ولم يكن أحد يجالسهم أو يكلمهم أو يجيبهم حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم .

(١) أبو داود . (٢) متفق عليها . (٣) البخاري .

وهجر النبي ﷺ بعض نسائه أربعين يوماً .

وهجر عبد الله بن عمر ابناً له إلى أن مات ، لأنه لم ينقذ حديث ذكره له أبوه عن رسول الله ﷺ نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد (١) .  
أما إذا كان المهجران والتشاحن لدنيا ، فإن الدنيا لأهون على الله وعلى المسلم من أن تؤدي إلى التدابر وتقطيع الأواصر بين المسلم وأخيه . كيف وعاقبة التماذي في الشحنة حرمان من مغفرة الله ورحمته . وفي الحديث « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر الله عز وجل لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ؛ إلا رجلاً كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا » (٢) .

ومن كان صاحب حق فيكفي أن يجيئه أخوه معذراً ، وعليه أن يقبل اعتذاره وينهي الخصومة ، ويجرم عليه أن يرده ويرفض اعتذاره . وينذر النبي ﷺ من فعل ذلك بأنه لن يرد عليه الحوض يوم القيامة (٣) .

### إصلاح ذات البين :

وإذا كان على المتخاصمين أن يصفيا ما بينهما وفقاً لمقتضى الأخوة ، فإن على المجتمع واجباً آخر ؛ فإن المفهوم أن المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل متعاون ، فلا يجوز له أن يرى بعض أبنائه يتخاصمون أو يتقاتلون ، وهو يقف موقف المتفرج ، تاركاً النار تزداد اندلاعاً ، والحرق يزداد اتساعاً .

بل على ذوي الرأي والمقدرة أن يتدخلوا لإصلاح ذات البين متجردين للحق ، مبتعدين عن الهوى . كما قال تعالى : ( فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ) . الحجرات : ١٠ .  
وقد بيّن النبي ﷺ في حديثه فضل هذا الإصلاح ، وخطر الخصومة والشحنة فقال :  
« ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول : إنها تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » (٤) .

(١) ألف السيوطي رسالة سماها « الزجر بالهجر » أي التأديب بالمقاطعة استدلل فيها على ذلك بنصوص وآثار كثيرة . (٢) مسلم . (٣) الطبراني . (٤) الترمذي وغيره .

لا يسخر قوم من قوم :

وقد حرم الله في الآيات التي ذكرناها جملة أشياء صان بها الأخوة وما توجبه من حرمة للناس .

١ - وأول هذه الأشياء : السخرية بالناس . فلا يجلب المؤمن يعرف الله ويرجو الدار الآخرة أن يسخر من أحد من الناس أو يجعل من بعض الأشخاص موضع هزئه وسخريته وتندرته ونكاته ، ففي هذا كبر خفي وغرور مقنع ، واحتقار للآخرين ، وجهل بموازين الخيرية عند الله . ولذا قال تعالى : ( لا يسخر قوم من قوم - أي رجال من رجال - عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً ممنهن ) الحجرات : ١١ . إن الخيرية عند الله تقوم على الإيمان والإخلاص وحسن الصلة بالله تعالى لاعلى الصور والأجسام ولا على الجاه والمال . وفي الحديث « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (١) .

فهل يجوز أن يسخر من إنسان رجل أو امرأة ، لعاهة في بدنه أو آفة في خلقته أو فقر في ماله ؟ وقد روي أن عبد الله بن مسعود انكشفت ساقه ، وكانت دقيقة هزيلة - فضحك منها بعض الحاضرين . فقال النبي ﷺ : « أتضحكون من دقة ساقه ، والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد » .

وقد حكى القرآن عن مجرمي المشركين كيف كانوا يسخرون بالمؤمنين الأخيار ، ولا سيما المستضعفين منهم كبلال وعمار ، وكيف ستقلب الموازين يوم الحساب فيصبح الساخرون موضع السخرية والاستهزاء ( إن الذين أجترموا كلوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكين . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ) سورة المطففين : ٢٩-٣٤ .

وقد نصت الآية بصريح العبارة على النهي عن سخرية النساء مع أنها تقم ضمناً ، وتدخل تبعاً ؛ وذلك لأن سخرية النساء بعضهن من بعض من الأخلاق الشائعة بينهن .

### لا تلمزوا أنفسكم :

٢ - وثاني هذه المحرمات هو اللمز . واللمز معناه في اللغة . الوخز والظعن ، ومعناه هنا العيب ؛ فكأن من يعيب الناس إنما يوجه إليهم وخزة بسيف أو طعنة برمح . وهذا حق ، بل ربما كانت وخزة اللسان أشد وأنكى . وقد قيل :

جراحات السنان لها التثام ولا يلتام ما جرح اللسان

ولصيغة النهي في الآية إيجاء جميل ، فهي تقول ( ولا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ) والمراد لا يلمز بعضكم بعضاً ، ولكن القرآن يعبر عن جماعة المؤمنين كأنهم نفس واحدة ؛ لأنهم جميعاً متعاونون متكافلون ، فمن لمز أخاه فلإنما يلمز نفسه في الحقيقة ؛ لأنه منه وله .

### لا تنازوا بالألقاب :

ومن اللمز المحرم التنازير بالألقاب ، وهو التناذي بما يسوء منها ويكره بما يحمل سخرية أو لمزاً ، ولا ينبغي لإنسان أن يسوء أخاه فيناديه بلقب يكرهه ويتأذى منه ، فهذا مدعاة لتغير النفوس ، وعدوان على الأخوة ، ومنافاة للأدب والذوق الرفيع .

### سوء الظن :

٤ - والإسلام يريد أن يقيم مجتمعه على صفاء النفوس ، وتبادل الثقة ، لا على الريب والشكوك ، والتهم والظنون . ولهذا جاءت الآية برابع هذه المحرمات التي حان بها الإسلام حرمت الناس ( يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ) الحجرات : ١٢ . وهذا الظن الآثم هو ظن السوء .

فلا يحمل للمسلم أن يسيء ظنه بأخيه المسلم دون مبرر ولا بينة قاصعة . إن الأصل في الناس أنهم أبرياء . ووساوس الظن لا يصح أن تعرض ساحة البريء للاتهام ؛ وقد قال النبي ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »<sup>(١)</sup> .

والإنسان لضعفه البشري لا يسلم من خواطر الظن والشك في بعض الناس ، وخصوصاً

(١) البخاري وغيره .



فيمن ساءت بهم علاقته . ولكن عليه ألا يستسلم لها ، ولا يسير وراءها وهذا معنى ماورد في الحديث : « إذا ظننت فلاتحقق » (١) .

### التجسس :

إن عدم الثقة في الآخرين يدفع الى عمل قلبي باطن هو سوء الظن ، و الى عمل بدني ظاهر هو التجسس ، والإسلام يقيم مجتمعه على نظافة الظاهر والباطن معاً ، ولهذا قرن النهي عن التجسس بالنهي عن سوء الظن . و كثيراً ما كان هذا سبباً لذلك .

إن للناس حرمة لايجوز أن تهتك بالتجسس عليهم وتنبع عوراتهم ، حتى وإن كانوا يرتكبون إثماً خاصاً بأنفسهم ، ماداموا مستترين به غير مجاهرين .

عن أبي الهيثم كاتب عقبة بن عامر - أحد الصحابة - قال : قلت لعقبة بن عامر : إن لنا جيواناً يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم ! قال : لاتقل وعظهم وهددهم قال : إنني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم . قال عقبة : ويحك لاتفعل ؛ فلاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ستر عورة فكأنما استجيا مؤزودة في قبرها » (٢) .

وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام تتبع عورات الناس من خصال المنافقين الذين قالوا آمنا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وحمل عليهم حملة عنيفة على ملاء الناس ، فعن ابن عمر قال : صعد رسول الله ﷺ على المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان الى قلبه : لاتؤذوا المسلمين ، ولاتتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » (٣) .

ومن أجل الحفاظ على حرمة الناس حرم الرسول ﷺ أشد التحريم أن يطلع أحد على قوم في بيبتهم بغير إذنتهم ، وأهدر في ذلك ما يصبه من أصحاب البيت قال : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنتهم فقد حل لهم أن يفتقروا عينه » (٤) .

(١) الطبراني (٢) ابو داود والنسائي وابن حبان في « صحيحه » واللفظ له والحاكم .

(٣) الترمذي وابن ماجه بنحوه . (٤) متفق عليه .

كما حرم أن يسمع حديثهم بغير علم منهم ولا رضى . قال : « من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة » (١) .  
الآنك : الرصاص المذاب .

وأوجب القرآن على كل من أراد أن يزور انساناً في بيته ألا يدخل حتى يستأذن ويسلم ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . قَبْلَ أَنْ تَدْخُلُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) (النور : ٢٧ ، ٢٨) .

وفي الحديث : « أما رجل كشف ستراً فأدخل بصره قبل أن يؤذن له فقد أتى حداً لا يحل له أن يأتيه » (٢) .

ونصوص النهي عن التجسس وتبع العورات عامة تشبه الحكام والمحكومين معاً . وقد روى معاوية عن الرسول ﷺ قال : « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم » (٣) .

وروى أبو أمامة عنه ﷺ قال : « إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » (٤) .

### الغيبة :

٦- وسادس ما نهت عنه الآيات التي معنا هو : الغيبة (ولا يغتب بعضكم بعضاً) الحجرات : ١٢ . وقد أراد الرسول ﷺ أن يحدد مفهومها لأصحابه على طريقته في التعليم بالسؤال والجواب ، فقال لهم : أتدرون ما الغيبة؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » (٥) .

وما يكرهه الإنسان يتناول خلقه وخلقه ونسبه وكل ما يخصه . وعن عائشة قالت : قلت للنبي حسبك من صفية (زوج النبي) كذا وكذا - تعني أنها قصيرة - فقال النبي ﷺ : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » (٦) .

---

(١) البخاري وغيره . (٢) أحمد والترمذي . (٣) أبو داود وابن حبان في « صحيحه » .  
(٤) أبو داود . (٥) مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . (٦) أبو داود والترمذي والبيهقي .

إن الغيبة هي شهوة الهدم للآخرين ، هي شهوة النهش في أعراض الناس وكراماتهم وحرمانهم وهم غائبون . إنها دليل على الحسة والجن ؛ لأنها طعن من الحلف ، وهي مظهر من مظاهر السلبية ؛ فإن الاغتياب جهد من لاجهده . وهي معول من معاول الهدم ؛ لأن هواة الغيبة قلما يسلم من أسنتهم أحد بغير طعن ولا تجريح .

فلا عجب إذا صورها القرآن في صورة منفرة تتقدر منها النفوس ، وتنبو عنها الأذواق ( وَلَا يَغْتَبِبْ بَعْضُكُمُ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ) الحجرات : ١٢ . والإنسان يأنف أن يأكل لحم أي إنسان ، فكيف إذا كان لحم أخيه ؟ وكيف إذا كان ميتا ؟ !

وقد ظل النبي ﷺ يؤكد هذا التصوير القرآني في الأذهان ، ويثبت في القلوب كلما لاحت فرصة لهذا التأكيد والتثبيت .

قال ابن مسعود : كنا عند النبي ﷺ فقام رجل ( أي غاب عن المجلس ) فوقع فيه رجل من بعده . فقال النبي لهذا الرجل : «تحلل» فقال : «وممّ تحلل؟ ما أكلت لحماً!» قال : «إنك أكلت لحم أخيك»<sup>(١)</sup> !

وعن جابر قال : كنا عند النبي ﷺ فبهت ربيع مننته فقال الرسول ﷺ : «أندرون ماهذه الريح؟ هذه ربيع الذين يفتابون المؤمنين»<sup>(٢)</sup> .

#### حدود الرخصة في الغيبة :

كل هذه النصوص تدلنا على قداسة حرمة الشخصية للفرد في الإسلام . ولكن هناك صور استثنائها علماء الإسلام من الغيبة المحرمة . وهي استثناء يجب الاقتصار فيه على قدر الضرورة .

ومن ذلك المظلوم الذي يشكو ظالمه ، ويتظلم منه فيذكره بما يسوؤه مما هو فيه حقاً ، فقد رخص له في التظلم والشكوى قال الله تعالى : ( لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً ) النساء : ١٤٨ . وقد يسأل سائل عن شخص معين ، لينشركه في تجارة أو يزوجه ابنته أو يولييه من قبله

(١) الطبراني ورواه رواة الصحيح . (٢) احمد ورواه نقات .

عملاً هاماً ، وهنا تعارض واجب النصيحة في الدين وواجب صيانة عرض الغائب ، ولكن الواجب الأول أهم وأقدس فقدم على غيره . وقد أخبرت فاطمة بنت قيس النبي ﷺ عن اثنين تقدمتا حُطبتا فقال لها عن أحدهما : « إنه صعلوك لا مال له » ، وقال عن الآخر : « إنه لا يضع عصاه عن عاتقه » - يعني أنه كثير الضرب للنساء .

ومن ذلك الاستفتاء

والاستعانة على تغيير المنكر

ومن ذلك أن يكون للشخص اسم أو لقب أو وصف يكرهه ولكنه لم يشتهر إلا به كالأعرج والأعمش وابن فلانة .

ومن ذلك تجريح الشهود ورواة الأحاديث والأخبار<sup>(١)</sup> .

والضابط العام في إباحة هذه الصور أمران : ١- الحاجة ٢- والنية .

١ - فما لم تكن هناك حاجة ماسة إلى ذكر غائب بما يكره ، فليس له أن يقتحم هذا الحمى المحرم ، وإذا كانت الحاجة تزول بالتلميح فلا ينبغي أن يلجأ إلى التصريح ، أو بالتعميم فلا يذهب إلى التخصيص . فالمستفتي مثلاً إذا أمكن أن يقول : ما قولك في رجل يضع كذا وكذا . فلا ينبغي أن يقول : ما قولك في فلان بن فلان . وكل هذا بشرط ألا يذكر شيئاً غير مافيه وإلا كان هتاناً حراماً .

٢ - والنية وراء هذا كله فيصل حاسم ، والإنسان أدرى بحقيقة بواعثه من غيره . . النية هي التي تفصل بين التظلم والتشفي ، بين الاستفتاء والتشنيع ، بين الغيبة والنقد ، بين النصيحة والتشهير . والمؤمن - كما قيل - أشد حساباً لنفسه من سلطان غاشم ، ومن شريك شحيح . ومن المقرر في الإسلام أن السامع شريك المغتاب ، وأن عليه أن ينصر أخاه في غيبته ويرد عنه . وفي الحديث « من ذبّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يبعثه من النار »<sup>(٢)</sup> من رد عن عرض أخيه في الدنيا رد الله عن وجهه النار يوم القيامة<sup>(٣)</sup> .

(١) راجع الإحياء للقرظي كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات . وراجع شرح النووي لمسلم ورسالة رفع الرية فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة للشوكاني .

(٢) أحمد باسناد حسن . (٣) الترمذي باسناد حسن .

فمن لم تكن له هذه الهمة ، ولم يستطع رد هذه اللسنة المفتوسة عن عرض أخيه ، فأقل ما يجب عليه أن يعتزل هذا المجلس ويعرض عن القوم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإلا فما أجدره بقول الله : ( إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ) سورة النساء : ١٤٠ .

### النميمة :

وإذا ذكرت الغيبة في الإسلام ذكر بجوارها خصلة تقترن بها حرمة الإسلام كذلك أشد الحرمة ، تلك هي : النميمة . وهي نقل ما يسمعه الإنسان عن شخص إلى ذلك الشخص على وجه يوقع بين الناس ، ويكدر صفو العلائق بينهم أو يزيد بها كدراً .

وقد نزل القرآن بدم هذه الرذيلة منذ أوائل العهد المسيحي إذ قال : ( وَلَا تَطْعَمْ كُلًّا

حَلَاً فِي مَهِينٍ . هَمَّازٍ ( طعان في الناس ) مشاءً بتسييم ) سورة القلم : ١٠ ، ١١ وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة فتات »<sup>(١)</sup> والفتات هو النمام وقيل : النمام : هو الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثاً فيمن عليهم . والفتات : هو الذي يتسمع عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم .

وقال : « شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العيب »<sup>(٢)</sup> إن الإسلام ، في سبيل تصفية الحُصومة وإصلاح ذات البين يبيح للمصلح أن يخفي ما يعلم من كلام سيء ، قاله أحدهما عن الآخر ، ويزيد من عنده كلاماً طيباً لم يسمعه من أحدهما في شأن الآخر . وفي الحديث « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو أتى خيراً » .

ويغضب الإسلام أشد الغضب على أولئك الذين يسمعون كلمة السوء فيبادرون بنقلها تزلفاً أو كيداً ، أو حبا في الهدم والإفساد .

ومثل هؤلاء لا يقفون عندما سمعوا . إن شهوة الهدم عندهم تدفعهم إلى أن يزيدوا على ما سمعوا ، ويختموا إن لم يسمعوا .

إن يسمعوا الخير أخفوه وإن سمعوا شراً أذاعوا ، وإن لم يسمعوا كذبوا دخل رجل على عمر بن العزيز فذكر له عن آخر شيئاً يكرهه . فقال عمر : إن شئت نظرنا في

(١) متفق عليه . (٢) أحمد .

أمرك ، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية ( إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا ) وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية ( هم أئمةٌ منكم ) وإن شئت عفونا عنك . قال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبداً .

### حُرمة الأعراس :

لقد رأينا كيف صان الإسلام بتعاليمه الأعراس والكرامات ، بل كيف وصل برعاية الحرمة للناس إلى حد التقديس . وقد نظر عبد الله بن عمر رضي الله عنه يوماً إلى الكعبة فقال : « ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن أعظم حرمة منك ! ! » وحرمة المؤمن تتمثل في حرمة عرضه ودمه وماله .

وفي حجة الوداع خطب النبي ﷺ في جموع المسلمين فقال : « إن أموالكم وأعراضكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » . وقد حفظ الإسلام عرض الفرد من الكلمة التي يكرهها تذكراً في غيبته وهي صدق ، فكيف إذا كان الكلام افتراءً لا أصل له ؟ إنما حينئذ تكون حوباً كبيراً ، وإثماً عظيماً . في الحديث « من ذكر امرأةً بشيء ليس فيه ليعيبه به ، حبه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه » (١) .

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال لأصحابه : « تدرُونَ أربى الربا عند الله ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم » . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ( والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ) سورة الأحزاب : ٥٨

وأشد هذا اللون من الاعتداء على الأعراس ، هو رمي المؤمنات العفيفات بالفاحشة لما فيه من ضرر بالغ بسمعتين وسمعة أسرهن وخطر على مستقبلهن ، فضلاً عما فيه من حجب إشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن .

ولذا عده الرسول من الكبائر السبع الموبقات ، وأوعد القرآن عليه بأشد أنواع الوعيد

(١) الطبراني . (٢) أبو يعلى .

( إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة  
ولهن عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ،  
يومئذ يؤفئهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين ) (النور : ٢٣-٢٥)  
وقال : ( إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا هم عذاب ألم  
في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ) (النور : ١٩)

### حرمة الدماء :

قدس الإسلام الحياة البشرية ، وصان حرمة النفوس ، وجعل الاعتداء عليها أكبر  
الجرائم عند الله ، بعد الكفر به تعالى . وقرر القرآن ( أنه من قتل نفساً بغير نفس  
أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ) (المائدة : ٣٢)  
ذلك أن النوع الإنساني كله أسرة واحدة ، والعدوان على نفس من أنفسه هو في  
الحقيقة عدوان على النوع ، وتجريء عليه .

وتشتد الحرمة إذا كان المقتول مؤمناً بالله ( ومن يقتل مؤمناً متعمداً فبجزاؤه  
جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ) (النساء : ٩٣)  
ويقول الرسول ﷺ « لزال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم »<sup>(١)</sup> .  
ويقول : « لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً »<sup>(٢)</sup> .  
ويقول : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركاً ، أو الرجل يقتل  
مؤمناً متعمداً »<sup>(٣)</sup> .

ولهذه الآيات والأحاديث رأى ابن عباس رضي الله عنه أن توبة القاتل لا تقبل ، وكأنه  
رأى أن من شرط التوبة ألا تقبل إلا برد الحقوق إلى أهلها أو استرضائهم . فكيف السبيل  
إلى رد حق المقتول إليه أو استرضائه ؟

وقال غيره : إن التوبة النصح مقبولة ، وإنها تمحو الشرك فكيف مادونه ؟

(١) مسلم والنسائي والترمذي . (٢) البخاري . (٣) أبو داود وابن حبان والحاكم .

وقال تعالى : ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) الفرقان : ٦٨-٧٠

### القاتل والمقتول في النار :

وعدَّ النبي ﷺ قتال المسلم للمسلم باباً من الكفر ، وعملاً من أعمال أهل الجاهلية الذين كانوا يشنون الحرب ويريقون الدماء من أجل ناقة أو فرس . قال عليه السلام : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »<sup>(١)</sup> .

« لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »<sup>(٢)</sup> .

« إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فها على حرف جهنم ؛ فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلها جميعاً » . قيل : يا رسول الله ! هذا القاتل ، فما بال المقتول؟! قال : « إنه أراد قتل صاحبه؟ »<sup>(٣)</sup> .

ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن كل عمل يؤدي إلى القتل أو القتال ولو كان إشارة بالسلاح : « لا يبشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان يستزع في يده فيقع في حفرة من النار »<sup>(٤)</sup> .

« من أشار إلى أخيه بمجديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينهي ، وإن كانت أخاه لأبيه وأمه »<sup>(٥)</sup> بل قال عليه السلام : « لا يجلب لمسلم أن يروع مسلماً »<sup>(٦)</sup> أي يخيفه ويفزعه . ولا يقف الإثم عند حد القاتل وحده ، بل كل من شاركه بقول أو فعل يصيبه من سخط الله بقدر مشاركته ، حتى من حضر القتل يناله نصيب من الإثم ؛ ففي الحديث « لا يقفن أحدكم موقفاً يقتل فيه رجل ظالماً؟ فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه »<sup>(٧)</sup> .

(١) (٤٤٣، ٢١١) متفق عليه . (٥) مسلم . (٦) أبو داود والطبراني ورواه ثقات .

(٧) الطبراني والبيهقي باسناد حسن .



### حرمة دم المعاهد والذمي :

ولما عنيت النصوص بالتحذير من قتل المسلم وقتاله ، لأنها جاءت تشريعاً وإرشاداً لمسلمين في مجتمع إسلامي ، وليس معنى هذا أن غير المسلم دمه حلال ، فإن النفس البشرية معصومة الدم حرمها الله وصانها بحكم بشريتها ، ما لم يكن غير المسلم محارباً للمسلمين ، فعند ذلك قد أحل هو دمه . أما إذا كان معاهداً أو ذمياً فإن دمه مضمون لا يجلب لمسلم الاعتداء عليه . وفي ذلك يقول نبي الإسلام : « من قتل معاهداً لم يرحَ رائحة الجنة (أي لم يشمها) وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً »<sup>(١)</sup> .

وفي رواية « من قتل رجلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة »<sup>(٢)</sup> .

### متى تسقط حرمة الدم ؟

قال تعالى : ( وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) الأنعام : ١٥١

وهذا الحق الذي ذكره القرآن : أن يكون جزاء على جريمة من ثلاث :

١ - القتل ظلماً ؛ فمن ثبتت عليه جريمة القتل وجب عليه القصاص نفساً بنفس ، والشر

بالشر يحسم والباديء أظلم ( وَاكْفُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً ) البقرة : ١٧٩ .

٢ - المجاهرة بارتكاب فاحشة الزنا بحيث يراه أربعة من خيار الناس ووثبة عيانية وهو

يرتكبها ، ويشهدون عليه بذلك ، بشرط أن يكون قد عرف طريق الحلال بالزواج .

ويقوم مقام الشهادة أن يقر على نفسه بذلك أمام الحاكم أربع مرات .

٣ - الخروج على دين الإسلام بعد الدخول فيه ، والمجاهرة بهذا الخروج تحدياً للجماعة

الإسلامية . والإسلام لا يكره أحد على الدخول فيه ، ولكنه يرفض التلاعب بالدين ، شأن

اليهود الذين قالوا ( آمينوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ووجه النهار واكفروا

آخراً لعنتهم يرجعون ) آل عمران : ٧٢

وقد حصر النبي ﷺ استحابة الدم المحرم في هذه الثلاثة فقال : « لا يجلب دم امرئ

(٢) النسائي .

(١) البخاري وغيره .

مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة<sup>(١)</sup> ولكن حق استباحة الدم بإحدى هذه الثلاث إنما يستوفيه ولي الأمر وليس للأفراد أن يستوفوه بأنفسهم حتى لا يضطرب الأمر، وتسود الفوضى، ويجعل كل فرد من نفسه قاضياً ومنفذاً.

### قتل الانسان نفسه :

وكل ماورد في جريمة القتل يشمل قتل الإنسان لنفسه كما يشمل قتله لغيره فمن قتل نفسه بأي وسيلة من الوسائل، فقد قتل نفساً حرم الله قتلها بغير حق.

وحياة الإنسان ليست ملكاً له، فهو لم يخلق نفسه، ولا عضواً من أعضائه أو خلية من خلاياه، وإنما نفسه ودبعة عنده استودعه الله إياها، فلا يجوز له التفريط فيها، فكيف بالاعتداء عليها؟ فكيف بالتخلص منها؟ قال تعالى: ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ) النساء : ٢٩

إن الإسلام يريد من المسلم أن يكون صلب العود قوي العزم في مواجهة الشدائد، ولم يبع له مجال أن يفر من الحياة، ويخلع ثوبها، لبلاء نزل به، أو أمل كان يحلم به فظاب فإن المؤمن خلق للجهاد لا للعود، وللكفاح لا للفرار، وإيمانه وخلقه يأيان عليه أن يفر من ميدان الحياة، ومعه السلاح الذي لا يفشل، والذخيرة التي لا تنفد: سلاح الإيمان المكين وذخيرة الخلق المتين.

لقد أذّر الرسول ﷺ من يقدم على هذه الجريمة البشعة - جريمة الانتحار - بحرمانه من رحمة الله في الجنة، واستحقاق غضب الله في النار.

قال ﷺ: « كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جَرَحٌ ، فَجَزَع ، فَأَخَذَ سَكِينًا فَجَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَارَقَا الدَّمَ حَتَّى مَاتَ . فَقَالَ اللَّهُ : بَادِرْنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ ، فَحَرَمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »<sup>(١)</sup> . فإذا كان هذا حرمت عليه الجنة من أجل جراحة لم يحتمل ألمها فقتل نفسه . فكيف

(١) متفق عليه .

بمن يقتل نفسه من أجل صفقة بخسر فيها قليلاً أو كثيراً ، أو من أجل امتحان يفشل فيه أو فتاة صدت عنه !؟

ألا فليسمع ضعاف العزائم هذا الوعيد الذي جاء به الحديث النبوي يبرق ويرعد :  
« من تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلدّاً فيها أبداً ، ومن نحسّ سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلدّاً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بمجديدة ، فجديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلدّاً فيها أبداً » (١)

### حرمة الأموال:

لا حرج على المسلم في أن يجمع من المال ما شاء ، ما دام يجعه من حله ، وينميّه بالوسائل المشروعة .

وإذا كان في بعض الأديان « أن الغني لا يدخل ملكوت السموات حتى يدخل الجمل سم الخياط » فإن الإسلام يقول : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » (٢).  
وما دام الإسلام يقر ملكية الفرد المشروعة للمال ، فإنه يحميها بتشريعه القانوني ، وتوجيه الأخلاقي أن تعدو عليها يد العادين غضباً أو سرقة أو احتيالاً .

وجمع الرسول ﷺ بين حرمة المال وحرمة الدم والعرض في سياق واحد ، وجعل السرقة منافية لما يوجبه الإيمان ، فقال : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » (٣)  
وقال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من

الله والله عزيز حكيم » (سورة المائدة : ٣٨)

وقال ﷺ : « لا يجلس مسلم أن يأخذ عصابغير طيب نفس منه » (٤) قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم .

وقال عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ) (سورة النساء : ٢٩)

(١) متفق عليه . (٢) أحمد . (٣) متفق عليه . (٤) ابن حبان في « صحيحه » .

### الرشوة حرام :

ومن أكل أموال الناس بالباطل أخذ الرشوة ، وهي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة ، ليحكم له أو على خصمه بما يريد هو أو ينجز له عملاً أو يؤخر لغيره عملاً . وعلم جراً .

وقد حرم الإسلام على المسلم أن يسلك طريق الرشوة للحكام وأعرانهم ، كما حرم على هؤلاء أن يقبلوها إذا بذلت لهم . كما حذر على غيرهم أن يتوسطوا بين الآخذين والدافعين .

قال تعالى : ( وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) سورة البقرة : ١٨٨

وقال عليه السلام : « لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم » (١) .

وعن ثوبان قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الراشي والمرتشي والرائش » (٢) والرائش

هو الوسيط بين الراشي والمرتشي .

وإذا كان أخذ الرشوة قد أخذها ليظلم فما أشد جرمه ! وإن كان سيتحرى العدل فذلك

واجب عليه - لا يؤخذ في مقابلة مال .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليقدر ما يجب عليهم في نخيلهم من

خراج ، فعرضوا عليه شيئاً من المال يبدلون له ، فقال لهم : « فأما ما عرضتم من الرشوة

فإنها سحت ، وإننا لا نأكلها » (٣) .

ولا غرابة في تحريم الإسلام للرشوة ، وتشديده على كل من اشترك فيها ، فإن شيوعها

في مجتمع شيوع للفساد والظلم ، من حكم بغير الحق أو امتناع عن الحكم بالحق ، وتقديم

من يستحق التأخير ، وتأخير من يستحق التقديم ، وشيوع روح النفعية في المجتمع لا روح الواجب .

### هدايا الرعية إلى الحكام :

والإسلام يحرم الرشوة في أي صورة كانت ، وبأي اسم سميت . فتسميتها باسم « الهدية »

لا يخرجها من دائرة الحرام إلى الحلال .

(١) احمد والترمذي وابن جبان في « صحيحه » . (٢) احمد والحاكم . (٣) مالك .

وفي الحديث : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً ( منحناه راتباً ) فما أخذه بعد ذلك فهو غلول »<sup>(١)</sup>.

وأهدي الى عمر بن عبد العزيز هدية - وهو خليفة - فردها ، فقيل له : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ! قال : كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة .

وبعث الرسول ﷺ والياً يجمع صدقات «الأزد» - قبيلة - فلما جاء الى الرسول أمسك بعض مامعه وقال : هذا لكم وهذا لي هدية ، فغضب النبي وقال : ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً!

ثم قال : مالي أستعمل الرجل منكم فيقول : هذا لكم وهذا لي هدية؟ ألا جلس في بيت أمه لهدى له ! والذي نفسي بيده ، لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حق إلا أتى الله بحمله - يعني يوم القيامة - فلا يأتين أحدكم يوم القيامة بغير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو ساة تيعر !! ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه ثم قال : « اللهم هل بلغت؟ »<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الغزالي : « إذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي - ومن في حكمهما - ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه ، فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته ، وما يعلم أنه يعطاه لولايته فحرام أخذه ، وما أمكن عليه من هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولاً؟ فهو شبهة فليجنبه »<sup>(٣)</sup>.

### الرشوة لرفع الظلم :

ومن كان له حق مضيع لم يجد طريقة للوصول اليه إلا بالرشوة أو وقع عليه ظلم لم يستطع دفعه عنه إلا بالرشوة ، فالأفضل له أن يصبر حتى يبسر الله له أفضل السبل لرفع الظلم ، ونيل الحق .

فإن سلك سبيل الرشوة من أجل ذلك فلا يتم على الآخذ المرتشي وليس عليه إثم الرائي في هذه الحالة مادام قد جرب كل الوسائل الأخرى فلم تأت بجدوى ، ومادام يرفع عن نفسه ظملاً أو يأخذ حقاً له دون عدوان على حقوق الآخرين .

(١) أبو داود . (٢) تنفق عليه . (٣) «أحباب علوم الدين» كتاب الحلال والحرام من ربيع العادات ص ١٣٧ (١٦ - الحلال والحرام)

وقد استدل بعض العلماء على ذلك بأحاديث الملحفين الذين كانوا يسألون النبي ﷺ من الصدقة فيعطهم وهم لا يستحقون فعن عمر أن النبي ﷺ قال : إن أحدكم ليخرج بصدقته من عندي متأبطها - يحملها تحت إبطه - وإنما هي له فار! قال عمر : يا رسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها له فار ?

قال : « فما أصنع؟ بأبون إلا مسألتي ويأبى الله عز وجل لي البخل »<sup>(١)</sup> .  
فإذا كان ضغط الإلحاح جعل الرسول ﷺ يعطي السائل ما يعلم أنه فار على آخذه ، فكيف يكون ضغط الحاجة إلى دفع ظلم أو أخذ حق مهدر؟!

### إسراف الفرد في ماله حرام :

وإذا كان مال الغير حرمة تمتع من التعدي عليه خفية أو جهاراً. فإن لمال الإنسان نفسه حرمة أيضاً بالنسبة لأصاحبه ، تمتعه أن يضيعه أو يسرف فيه أو يبعثه ذات اليمين وذات الشمال . ذلك أن الأمة حقاً في مال الأشخاص ، وهي مالكة وراء كل مالك ، ولذلك جعل الإسلام للأمة الحق في الحجر على السفيه المتلاف في ماله ، لأنها صاحبة الحق فيه وفي ذلك يقول القرآن : ( وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ) النساء : ٥ .  
فهنا يخاطب الله الأمة بقوله ( لا توتوا السفهاء أموالكم ) مع أنها في ظاهر الأمر أموالهم . ولكن مال كل فرد في الحقيقة هو مال لأمة جمعاء .

إن الإسلام دين القسط والاعتدال ، وأمة الإسلام أمة وسط ، والمسلم عدل في كل أموره ، ومن هنا نهى الله المؤمنين عن الإسراف والتبذير كما نهام عن الشح والتقتير قال تعالى : ( يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) الأعراف : ٣١ .

والإسراف إنما يكون بالإنفاق فيما حرم الله كالخمر والمخدرات وأواني الذهب والفضة ونحوها ، قل القدر المنفق أو أكثر .

(١) أبو يعلى بإسناد جيد ، وروى أحمد نحوه ورجاه رجال الصحيح .

أو يكون بإضاعة المال بإتلافه على نفسه وعلى الناس ، وقد نهى الرسول ﷺ من  
إضاعة المال<sup>(١)</sup>.

أو بالتوسع في الإنفاق فيما لا يحتاج إليه ، مما لا يبقى للمنفق بعده غنى يغنيه .  
قال الإمام الرازي : في تفسير قوله تعالى : ( ويسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو )  
سورة البقرة : ٢١٩ إن الله تعالى أدب الناس في الإنفاق فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام :  
( وآت ذا القربى حقه والميسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين  
كانوا إخوان الشياطين ) سورة الإسراء : ٢٦ وقال : ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى  
عنقك ولا تبسطها كل البسط ) سورة الإسراء : ٢٩ وقال : ( والذين إذا أنفقوا  
لم يسرفوا ولم يقتسروا ) وقال ﷺ : « إذا كان عند أحدكم شيء فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول  
وهكذا وهكذا » وقال عليه الصلاة والسلام : « خير الصدقة ما أبقت غنى »<sup>(٢)</sup> وعن  
جابر بن عبد الله قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب  
فقال : يا رسول الله : خذها صدقة ، فوالله لا أملك غيرها . فأعرض عنه رسول الله ﷺ .  
ثم أتاه من بين يديه فقال « هاتها » مغضباً فأخذها منه ثم حذفه بها بحيث لو أصابته لأوجعته  
ثم قال : « بأتيني أحدكم بماله لا يملك غيره ثم يجلس يتكفف الناس . إنما الصدقة عن ظهر  
غنى ، خذها لا حاجة لنا فيها »<sup>(٣)</sup> وعن النبي ﷺ أنه كان يجبس لأهله قوت سنة<sup>(٤)</sup> وقال  
الحكماء : الفضيلة بين طرفي الإفراط والتفريط . فالإنفاق الكثير هو التبذير ، والتقليل  
جداً هو التقدير ، والعدل هو الفضيلة . وهو المراد من قوله تعالى ( قل العفو ) ومدار  
شرع محمد ﷺ على رعاية هذه الدققة . فشرع اليهود مبناه على الحشونة التامة ، وشرع  
النصارى على المساهلة التامة ، وشرع محمد ﷺ متوسط في كل هذه الأمور . فلذلك كان  
أكل من الكل<sup>(٥)</sup> .

(١) البخاري (٢) الطبراني بإسناد حسن ، وتقريب منه في « الصحيح » (٣) أبو داود والحاكم

(٤) البخاري . (٥) تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ٥٦ بتصرف قليل .

## علاقة المسلم بغير المسلم

إذا أردنا أن نجمل تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له - في ضوء ما يحل وما يحرم - فحسبنا آيتان من كتاب الله ، جديرتان أن تكونا دستوراً جامعاً في هذا الشأن . وهما قوله تعالى : ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ) ، ومن يتوهم فأولئك هم الظالمون ) سورة الممتحنة : ٨ ، ٩

فالآية الأولى لم ترغب في العدل والإقساط ؛ فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين ، ولم يخرجوهم من ديارهم - أي أولئك الذين لا حرب ولا عداوة بينهم وبين المسلمين - بل رغبت الآية في برهم والإحسان بهم . والبر كلمة جامعة لمعاني الخير والتوضيح فيه ، فهو أمر فوق العدل . وهي الكلمة التي يعبر بها المسلمون عن أوجب الحقوق البشرية عليهم ، وذلك هو « بر » الوالدين .

وإنما قلنا : إن الآية رغبت في ذلك ؛ لقوله تعالى : ( إن الله يحب المقسطين ) والمؤمن يسمى دائماً إلى تحقيق ما يحبه الله . ولا ينفي معنى التبرؤ والطلب في الآية أنها جاءت بلفظ ( لا ينهاكم الله ) فهذا التعبير قصد به نفي ما كان عالقاً بالأذهان - وما لا يزال - أن المخالف في الدين لا يستحق برأ ولا قسطاً ، ولا مودة ولا حسن عشرة : فبين الله تعالى أنه لا ينهى المؤمنين عن ذلك مع كل المخالفين لهم ، بل مع المخارئين لهم ، العادين عليهم .

ويشبه هذا التعبير قوله تعالى في شأن الصفا والمرورة - لما تخرج بعض الناس من الطواف بها لبعض ملابسات كانت في الجاهلية - : ( فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ) فنفي الجناح لإزالة ذلك الوهم ، وإن كان الطواف بها واجباً ، وشعيرة من شعائر الحج .



### نظرة خاصة لأهل الكتاب :

وإذا كان الإسلام لا ينهى عن البر والإقساط إلى مخالفه من أي دين ، ولو كانوا وثنيين مشركين - كمشركي العرب الذين نزلت في شأنهم الآيات السالفتان - فإن الإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى. سواء أكانوا في دار الإسلام أو خارجها. فالقرآن لا يناديهم إلا بـ ( يا أهل الكتاب ) ( يا أيها الذين أوتوا الكتاب ) بشير بهذا إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي ، فينبههم وبين المسلمين رحم وقربى ، تتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث الله به أنبياءه جميعاً ( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) الشورى : ١٣ .

والمسلمون مطالبون بالإيمان بكتب الله قاطبة ، ورسول الله جميعاً ، لا يتحقق إيمانهم إلا بهذا ( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربه ) لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ( البقرة : ١٣٦ ) .

وأهل الكتاب إذا قرؤوا القرآن يجدون الثناء على كتبهم ورسولهم وأنبيائهم . وإذا جادل المسلمون أهل الكتاب فليجتنبوا المراء الذي يوغر الصدور ، ويثير العداوات ( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ) وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ( العنكبوت : ٤٦ ) .

وقد رأينا كيف أباح الإسلام مواكبة أهل الكتاب وتناول ذبايحهم . كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسايتهم مع ما في الزواج من سكن ومودة ورحمة . وفي هذا قال تعالى : ( وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ) المائدة : ٥ . هذا في أهل الكتاب عامة . أما النصارى منهم خاصة ، فقد وضعهم القرآن موضعاً قريباً من قلوب المسلمين فقال : ( ولتجدن أقربتهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ؛ ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون )

## أهل الذمة :

وهذه الوصايا المذكورة تشمل جميع أهل الكتاب حيث كانوا. غير أن المقيمين في ظل دولة الإسلام منهم لهم وضع خاص. وهم الذين يسمون في اصطلاح المسلمين باسم «أهل الذمة» والذمة معناها: العهد. وهي كلمة توحى بأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين.

وهؤلاء بالتعبير الحديث «مواطنون» في الدولة الإسلامية، أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم مال المسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شئون الدين والعقيدة، فإن الإسلام يتركهم وما يدينون.

وقد شدد النبي ﷺ الوصية بأهل الذمة وتوعد كل مخالف لهذه الوصايا بسخط الله وعذابه، فجاء في أحاديثه الكريمة: «من آذى ذمياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»<sup>(١)</sup> «من آذى ذمياً فأنا خصمه»، ومن كنت خصمه خصته يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> «من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه. فأنا حجيجه يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وقد جرى خلفاء الرسول ﷺ على رعاية هذه الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين. وأكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والحرمات. قال الفقيه المالكي شهاب الدين القرافي: إن عقد الذمة بوجوب حقاً علينا؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا ودمتنا وذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام. فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو أي نوع من أنواع الأذى أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن حزم الفقيه الظاهري: إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرع والسلاح ونموت دون ذلك، صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ فإن تسليته دون ذلك إهمال لعقد الذمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبراني في الاوسط باسناد حسن . (٢) الخطيب باسناد حسن . (٣) ابو داود .

(٤) من كتاب الفروق للقرافي . (٥) من كتاب مراتب الإجماع لابن حزم .

### موالاة غير المسلمين ومعناها :

ولعل سؤالاً يجول في بعض الحواطر ، أو يتردد على بعض اللسنة ، وهو :

كيف يتحقق البر والمودة وحسن العشرة مع غير المسلمين ، والقرآن نفسه ينهى عن موادة الكفار واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) التوبة : ٢٣ ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم المائدة: ٥٢ والجواب : أن هذه الآيات ليست على إطلاقها ، ولا تشمل كل يهودي أو نصراني أو كافر . ولو فهمت هكذا لتناقضت الآيات والنصوص الأخرى ، التي شرعت موادة أهل الخير والمعروف من أي دين كانوا ، والتي أباحت مصاهرة أهل الكتاب ، واتخاذ زوجة كتابية مع قوله تعالى في الزوجية وآثارها ( وجعل بينكم مودةً ورحمةً ) وقال تعالى في النصارى ( ولتجدن أقربيهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى ) .

إنما جاءت تلك الآيات في قوم معادين للإسلام ، محاربين للمسلمين ، فلا يجزى للمسلم حينذاك مناصرتهم ومظاهرتهم - وهو معنى الموالاة - واتخاذهم بطانة يفضي إليهم بالأسرار ، وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته . وقد وضحت ذلك آيات أخر كقوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً ، ودهوا ما عنتنهم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحببونهم ولا يحببونكم ) آل عمران : ١١٩

فهذه الآية تبيّن لنا صفات هؤلاء ، وأنهم يكتنون العداوة والكراهية للمسلمين في قلوبهم ، وقد فاضت آثارها على ألسنتهم .

وقال تعالى : ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ) المجادلة الآية الأخيرة .

ومحادثة الله ورسوله ليست مجرد الكفر ، وإنما هي مناقبة العداة للإسلام والمسلمين .  
وقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ، تَلْقَوْنَ  
إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ،  
أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ) أول الممتحنة . فهذه الآية نزلت في موالة مشركي مكة  
الذين حاربوا الله ورسوله ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا  
الله . فمثل هؤلاء هم الذين لا تجوز موالاتهم بحال . ومع هذا فالقرآن لم يقطع الرجاء في  
مصافات الذين هؤلاء ، ولم يعلن اليأس البات منهم ، بل أطمع المؤمنين في تغير الأحوال وصفاء  
النفوس ، فقال في السورة نفسها بعد آيات : ( عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ  
الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ، وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) الممتحنة : ٧

وهذا التنبيه من القرآن الكريم كفيلا أن يكفكف من حدة الحصومة وصرامة  
العداوة ، كما قيل : « أبغض عدوك هوناً ما ، عسى أن يكون جيبك يوماً ما » .

وتأكد حرمة الموالة للأعداء إذا كانوا أقوياء ، يرجسون ويخشون ، فيسعى إلى  
موالاتهم المنافقون ومرضى القلوب ، يتخذون عندهم يداً ، يرجون أن تتفهم غداً . كما  
قال تعالى : ( فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ  
تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا  
فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ) المائدة : ٥٢ ( بشر المشافقين بأن لهم عذاباً أليماً ! الذين  
يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . أيبستغون عندهم العزة ؟ فإن  
العزة لله جميعاً ) النساء : ١٣٨ ، ١٣٩

### استعانة المسلم بغير المسلم :

ولابأس أن يستعين المسلمون - حكماً ورعية - بغير المسلمين في الأمور الفنية التي  
لا تتصل بالدين من طب وصناعة وزراعة وغيرها .

وقد رأينا في السيرة النبوية كيف استأجر رسول الله ﷺ عبد الله بن أريقط - وهو  
مشرك - ليكون دليلًا له في الهجرة . قال العلماء : ولا يلزم من كونه كافراً ألا يوثق به في  
شيء أصلاً ؛ فإنه لاشيء أخطر من الدلالة في الطريق ولا سباجي مثل طريق الهجرة إلى المدينة .

وأكثر من هذا أنهم جوزوا لإمام المسلمين أن يستعين بغير المسلمين - ومخافة أهل الكتاب - في الشؤون الحربية ، وأن يسهم لهم من الغنائم كالمسلمين .  
روى الزهري أن رسول الله ﷺ استعان بناس من اليهود في حربه فأسهم لهم ، وأن صفوان بن أمية خرج مع النبي ﷺ في غزوة حنين وكان لا يزال على شركه (١) .  
ويشترط أن يكون من يستعان به حسن الرأي في المسلمين ، فإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة به ؛ لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يؤمن من المسلمين مثل المخذل والمرحف فالكافر أولى (٢) .

ويجوز للمسلم أن يهدي إلى غير المسلم ، وأن يقبل الهدية منه ، ويكافيء عليها ، كما ثبت أن النبي ﷺ أهدى إليه الملوك فقبل منهم (٣) . وكانوا غير مسلمين .  
قال حفاظ الحديث : والأحاديث في قبوله ﷺ هدايا الكفار كثيرة جداً وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنه قال لها : إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي من حرير . . . (٤)  
إن الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان فكيف إذا كان من أهل الكتاب؟ وكيف إذا كان معاهداً أو ذمياً ؟

مرت جنازة على رسول الله ﷺ فقام لها واقفاً ، فقيل له : يا رسول الله لمنها جنازة يهودي؟! فقال: أليست نفساً؟! بلى ، وكل نفس في الإسلام لها حرمة ومكان .

### الاسلام رحمة عامة حتى على الحيوان :

وكيف يبيح الإسلام للمسلم أن يبيع إلى غير المسلم أو يؤذيه ، وهو يوصي بالرحمة بكل ذي روح ، ويهني عن القسوة على الحيوان الأعجم .  
لقد سبق الإسلام جمعيات الرفق بالحيوان بثلاثة عشر قرناً ، فجعل الإحسان إليه من شعب الإيمان ، وإيذاءه والقسوة عليه من موجبات النار .

ويحدث رسول الله أصحابه عن رجل وجد كلباً يلهث من العطش ، فنزل بشراً فملاخفه

(١) رواه سعيد في سننه . (٢) انتهى ج ٨ ص ٤٠ (٣) احمد والترمذي .

(٤) احمد والطبراني . (٥) البخاري .

منها ماء فسقى الكلب حتى روي.. قال الرسول : فشكر الله فغفر له . فقال الصحابة :  
«أن لنا في البهائم لأجراً يارسول الله؟ قال : «في كل كبد رطبة أجر» (١).

ولمى جوار هذه الصورة المضيئة التي توجب مغفرة الله ورضوانه يرسم النبي صورة أخرى  
توجب مقت الله وعذابه فيقول : «دخلت امرأة النار في مرة حبستها ، فلا هي أطعمتها ولا  
هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (٢).

وبلغ من احترام حيوانية الحيوان أن رأى النبي ﷺ حماراً موسوم الوجه ( مكروباً  
في وجهه ) فأنكر ذلك وقال : «والله لأسمه إلا في أقصى شيء من الوجه» (٣).

وفي حديث آخر أنه مر عليه بحمار قد رسم في وجهه فقال : «أما بلغكم أني لعنت من  
وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها» (٤).

وقد ذكرنا قبل أن ابن عمر رأى أناساً اتخذوا من دجاجة غرضاً يتعلمون عليه الرمي  
والإصابة بالسهم فقال : «إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً» .

وقال عبد الله بن عباس : «نهى النبي ﷺ عن التحريش بين البهائم» (٥) والتحريش  
بينها : هو اغراء بعضها ببعض لتتطاحن وتتصارع إلى حد الموت أو مقاربتة . ويشبه هذا  
مانسعه عن مصارعة الثيران .

وروى ابن عباس أيضاً أن النبي ﷺ «نهى عن إخضاع البهائم نهياً شديداً» (٦) والإخضاع:  
سل الخصية .

وكذلك شنع القرآن على أهل الجاهلية بتبتيكهم لأذان الأنعام (سقها) وجعل هذا من  
وحي الشيطان (٧) .

وقد عرفنا عند الكلام على الذبيح كيف حرص الإسلام على إراحة الذبيحة بأيسر  
وسيلة ممكنة ، وكيف أمر أن تحمد الشفار وتواري عن البهيمة ؟

ونهى أن يذبح حيوان أمام آخر..

ومارات الدنيا عناية بالحيوان إلى هذا الحد الذي يفوق الخيال !!

(٢١) البخاري . (٣) مسلم . (٤) أبو داود . (٥) أبو داود والترمذي .

(٦) أخرجه البزار بإسناد صحيح . (٧) ذكر هذا في سورة النساء آية: ١١٩ .

## الخاتمة

لم نقصد في هذا الكتاب إلا إلى ذكر الحلال والحرام في أعمال الجوارح ، والسلوك الظاهر . أما أعمال القلوب ، وحركات النفوس والعواطف والإرادات ، مما يميزه الإسلام منها ، وما يجرمه بل يشتد في تحريمه كالحسد والحقد ، والكبر والغرور ، والرياء والنفاق ، والشح والحرص . . وغيرها ، فليست هذه مما قصد إليه هذا الكتاب . وإن كانت تلك الغوائل النفسية من أكبر المحرمات التي ألح الإسلام في محاربتها ، وحذر النبي من شرها ، ووصف بعضها بأنها « داء الأمم » من قبلنا ، وسمّاها « الخالقة » لاجمعي أنها تخلق الشعر ، ولكن تخلق الدين .

وكل مطالع للقرآن الكريم والسنة المحمدية يراهما قد جعلتا سلامة الكيان المعنوي للإنسان (القلب) أساس الفلاح ، للفرد والجماعة ، في الدنيا والآخرة : ( **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ) ( **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ) .

ومن هنا ذكر النبي ﷺ في حديثه المشهور أن « الحلال بين ، والحرام بين ، وأن بينهما مشبهات من اتقاهما فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فيها أوشك أن يواقع الحرام ، وأن لكل ملك حمى ، وأن حمى الله في أرضه ومحارمه » ، ثم عقب على ذلك ببيان قيمة القلب وما يصدر عنه من دوافع وميول وإرادات هي أساس السلوك البشري كله بقوله : « **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهي القلب** » .

فالقلب هو رئيس أعضاء البدن ، وراعي جوارحه كلها ، وبصلاح هذا الراعي تصلح الرعية كلها ، وبفساده تفسد .

وميزان القبول عند الله هو القلب والنية ، لا الصورة واللسان : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يُنظِرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ** » « **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** » . هذه هي مكانة الأعمال القلبية ، والأمور النفسية في الإسلام ، ولكننا لم نذكرها هنا ؛ لأنها أدخلت في باب « الأخلاق » منها في باب « الحلال والحرام » . ولذا عني بها علماء

الأخلاق والتصوف المسلمون، وسموا المحرمات منها «أمراض القلوب» وشخصوا عليها، ووصفوا لها علاجها، على ضوء الكتاب العزيز والسنة المطهرة. وقد ضمنها الإمام الغزالي ربيع موسوعته الإسلامية «أحياء علوم الدين» وسمتها «المهلكات» اذ هي سبب الهلاك في الدنيا بالحسرة والبوار، وفي الآخرة بدخول النار، وبئس القرار.

وحين ذكرنا المحرمات لم يكن غرضنا الا المحرمات الإيجابية؛ فلان المحرم نوعان: إما فعل محظور وهو الإيجابي - وإما ترك واجب وهو السلبي. وهذا الثاني ليس من غرض الكتاب بالذات، وان جاء في بعض الأحيان بالتبع. ولو قصدنا الى ذلك لانقلنا الى موضوع آخر، وكان لزاماً علينا أن نذكر كل الواجبات التي كلف الله بها المسلم، فان تركها أو الاستهانة بها حرام بلا ريب. فطلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة، وترك المسلم نفسه في ظلمات الجهل يتخبط فيها حرام عليه.. وفرائض العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج - التي هي الأركان الأولى للإسلام كدين - لا يحل لمسلم تركها بغير عذر، ومن تركها فقد ارتكب أثماً من كبائر الآثام، ومن استهان بها واستخف بقيمتها فقد خلع ربة الإسلام من عنقه.

واعداد الأمة ما استطاعت من قوة للذود عن كيانها، وارهاب عدو الله وعدوها، واجب اسلامي على الأمة بعامه، وأولي الأمر فيها بحاجة، فاذا أهملت هذا الواجب فقد اقتوت محرمات عظيمة وحبوا كبيراً.. وهكذا كل الواجبات في الحياة الخاصة والعامه. ولان دعوى أننا استقصينا - بعد ذلك - كل صغيرة وكبيرة في الحلال والحرام. يكفيننا أننا جلينا في هذه الصحائف أهم ما يجب أن يعرفه المسلم بما يحل له، وما يحرم عليه، في حياته الشخصية، وفي حياته العائلية، وفي حياته الاجتماعية. وبخاصة ما يحل كثير من الناس حكمه أو حكمته، أو يستخفون به ويتهاونون فيه.

وأحسب أننا قد أمطنا اللثام عن حكمة الإسلام البالغة في حلاله وحرامه، وتبين لكل ذي عينين أن الله سبحانه لم يرد أن يدل الناس بما أحل، ولا أن يضيقت عليهم بما حرم. وانما شرع لهم ما يصلحهم، ويحفظ عليهم دينهم وديارهم، ويصون أنفسهم وعقولهم وأخلاقهم وأعراضهم وأموالهم، وكيانهم الإنساني كله، أفراداً وجماعات.

ألا إن عيب التشريع البشري الأرضي أنه تشريع قاصر ناقص. فلان واضعيه - سواء



كانوا أفراداً أم حكومات أم برلمانات - يحرصون أنفسهم في المصلحة المادية وحدها ، غافلين عن مقتضيات الدين والأخلاق وهم دائماً محبوسون في تمقم الوطنية والقومية الضيقة ، غير عابئين بالعالم الكبير والإنسانية الرحبة .

وهم بشرٌ عون ليومهم وحاضرهم المحدود ، ذاهلين عن غدٍهم ، جاهلين ما تأتي به الأيام . وهم فوق ذلك بشرفهم ضعف الإنسان وقصوره وشهواته ( إنه ' كان ظلوماً جهولاً ) . فلا عجب أن تأتي التشريعات البشرية ضيقة النظرة ، سطحية الفكرة ، مادية المنزع ، وقتية العلاج ، موضعية الاتجاه .

ولا عجب أن ترى المشرع البشري كثيراً ما يجل ويحرم تبعاً للهوى ، وإرضاء لمشاعر الرأي العام . مع ما يعلم في ذلك من الخطر الكبير ، والشر المستطير . وحسبنا مثلاً على ذلك ما صنعتته الولايات المتحدة الأمريكية من إباحة للخمر ، والغناء لتشريعات حظرها الأولى ، رغم اقتناعها بشرها وويلاتها ، وضررها على الأفراد والأسر والأوطان . أما تشريع الإسلام فقد برىء من هذا النقص كله .

إنه تشريع خالقٍ عليم ، خبير بخلقهِ ، وما يصلح لهم ، وما يصلحون له ، وكيف لا وهو تعالى ( يَتَعَلَّمُ الْمُنْفِسِدِ مِنَ الْمُنْصَلِحِ ) البقرة : ٢٢٠ علم الصانع بما صنع ( أَلَا يَتَعَلَّمُ مَنْ خَلَقَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) ( الملك : ١٤ )

إنه تشريع الحكيم . لا يحرم شيئاً عبثاً ، ولا يجل شيئاً جزافاً فكل شيء خلقه بقدر وكل شيء شرعه بميزان .

إنه تشريع رب رحيم ، يريد بعباده اليسر ، ولا يريد بهم العسر . كيف وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ؟

وهو تشريع ملك قادر ، غني عن عباده ، لا يتحيز لطائفة أو جنس أو جيل ، فيجل لهم ما يحرم على آخرين . كيف وهو رب العالمين جميعاً ؟

هذا ما يعتقدده المسلم فيما شرعه له ربه في الحلال والحرام وفي غيرهما . ولهذا يتقبله بعقل ملؤه الاقتناع . وقلب ملؤه الرضا واليقين ، وإرادة كلها تصمim على التنفيذ . إنه يؤمن أن سعادته في الدنيا ، وفلاحه في الآخرة موقوفة على رعايته لحدود الله فيما أمر ونهى ،

وما أحل وحرم .

فلا بد أن يأخذ نفسه بالوقوف عند هذه الحدود ، ليفوز بالسعادتين ويفلح في الدارين .  
ولنضرب لذلك مثلين من حياة المسلمين في العصر الأول . كيف كانوا يراعون حدود  
الله في الحلال والحرام . ويسارعون في تنفيذ ما أمر .

أولهما : ما أشرنا إليه عند حديثنا عن تحريم الخمر . وقد كان للعرب ولع بشرها  
وأفداحها وبجالسها . وقد عرف الله ذلك منهم ، فأخذهم بسنة التدريج في تحريمها ، حتى نزلت  
الآية الفاصلة من سورة المائدة تحرمها تحريماً باتاً ، وتعلن أنها ( رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ )  
المائدة : ٩٠ . وبهذا حرم النبي ﷺ شربها ، وبيعها ، واهدائها لغير المسلمين . فما كان من  
المسلمين حينذاك إلا أن جاؤوا بما عندهم من مخزون الخمر وأوعيتها ، فأراقوها في طرق  
المدينة إعلالاً عن براعتهم منها .

ومن عجيب أمر الانقياد لشرع الله أن فريقاً منهم حين بلغته هذه الآية ، كان منهم من  
في يده الكأس ، قد شرب بعضها وبقي بعضها في يده ، فرمى بها من فيه ، وقال - إجابة  
لقول الله ( فَبَلِّغْ أَلْسِنُكُمْ مُمْتَنِينَ ) المائدة : ٩١ قد انتهينا يارب ! قد انتهينا يارب !

ولو وازنا هذا النصر المبين في محاربة الخمر والقضاء عليها في البيئة الإسلامية ، بالفشل  
الذي منيت به الولايات المتحدة (١) ، حين أرادت يوماً أن تحارب الخمر بالقوانين  
والأساطيل - لعرفنا أن البشر لا يصلحهم إلا تشريع السماء ، الذي يعتمد على الضمير  
والإيمان قبل الاعتماد على القوة والسلطان .

وثانيهما : موقف النساء المسلمات الأول بما حرم الله عليهن من تبرج الجاهلية ، وما أوجب  
عليهن من الاحتشام والتستر ، فقد كانت المرأة في الجاهلية تمر بين الرجال كاشفة صدرها ،  
لإيواريه شيء ، وكتيراً ما أظهرت عنقها وذوائب شعرها ، وأقراط آذانها ، فحرم الله  
على المؤمنات تبرج الجاهلية الأولى ، وأمرهن أن يتميزن عن نساء الجاهلية ، وبخالفن شعارهن  
ويلزمن للستر والأدب في عيشتن وأحوالهن ، بأن يضرين بخمرهن على جيوبهن ، أي يشددن  
أغطية رؤوسهن بحيث تغطي فتحة الثوب من الصدر ، فتواري النحر والعنق والأذن .

وهنا تروي لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كيف استقبل نساء المهاجرين  
والأنصار في المجتمع الإسلامي الأول ، هذا التشريع الإلهي ، الذي يتعلق بتغيير شيء  
هام في حياة النساء ، وهو الهيئة والزينة والنياب .

(١) أفرد هذه الموازنة بتفصيل في كتابنا تحت الطبع « العقيدة ضرورة للحياة » في موضوع « الإيمان والأخلاق »

قالت عائشة : يرحم الله نساء المهاجرات الأول . لما أنزل الله ( وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ) شققن مروطين ( أكسية من حوف أو خز ) فاختمن بها <sup>(١)</sup> . وجلس لهما بعض النساء يوماً ، فذكرن نساء قريش وفضلن ، فقالت : إن لنساء قريش لفضلاً ، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله ، ولا إيماناً بالتنزيل . لقد أنزلت سورة النور ( وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ) فانقلب رجالهن اليمين يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها ، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته ، وكل ذي قرابته ، فممنهن امرأة الا قامت الى ميرطها المرحل ( المزخرف الذي فيه تصاوير ) فاعتجرت به ( شدته على رأسها ) تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه فأصبحن وراء رسول الله ﷺ معجرات كأن على رؤوسهن الغربان <sup>(٢)</sup> .

هذا هو موقف النساء المؤمنات بما شرع الله لهن . موقف المسارعة الى تنفيذ ما أمر ، واجتناب ما نهى ، بلا تردد ، ولا توقف ولا انتظار ، أجل لم ينتظرن يوماً أو يومين أو أكثر حتى يشترين أو يخطن أكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس ، وتدسع لضرب على الجيوب . بل أي كساء وجد ، وأي لون تيسر ، فهو الملائم والموافق ، فإن لم يوجد شققن من ثيابهن ومروطين ، وشددنهن على رؤوسهن ، غير مباليات بظهرهن الذي بدون به كأن على رؤوسهن الغربان . كما وصفت أم المؤمنين .

إننا نؤكدها أن المعرفة الذهنية بالحلال والحرام وحده الاتكفي ، فأهات الحلال والحرام بينة لا تخفى على مسلم ومع هذا يتورط كثير من المسلمين في المصريات ، ويتحمون النار على بصيرة . فلا بد إذن من تقوى الله التي هي ملاك الأمر كله ، وبعبارة حديثة : لا بد من الضمير الحي الذي يوقف المسلم عند حدود الحلال ، ويدعه عن اقتواف الحرام . ذلك الضمير الذي لا ينمو غرسه إلا في تربة الإيمان بالله والدار الآخرة .

فإذا توافر للمسلم المعرفة الواعية بحدود دينه وشريعته ، والضمير اليقظ الذي يحرس هذه الحدود أن يعتديها أو يقربها ، فقد توافر له الخير كله . وصدق رسول الله ﷺ « إذا أراد الله بامرئ خيراً جعل له واعظاً من نفسه » <sup>(٣)</sup> .

ولنختم كتابنا بهذا الدعاء المأثور عن سلفنا : اللهم أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عن سواك .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

(١) البخاري . (٢) ذكره ابن كثير في تفسيره التور عن ابن أبي حاتم .

(٣) قال المزاني : رواه الديلمي في مسند الفردوس بأستاد جيد .

## تقرير عن هذا الكتاب

أحالت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر هذا الكتاب إلى رجل من قادة الفكر وأساطين الثقافة الإسلامية في سورية ، هو الأستاذ الدكتور محمد المبارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق ، وذلك للاطلاع عليه ، وكتابة تقرير عنه ، ومدى صلاحيته للترجمة ، ووفائه بالغرض المطلوب .

وقد قرأ الأستاذ المبارك الكتاب قراءة دقيقة فاحصة ، وكتب عنه تقريراً هو في الواقع تقدير كريم نعتز به لهذا الكتاب . ومما جاء فيه :

« الكتاب جيد في اختيار موضوعه الذي يجب أن يعرفه كل مسلم ، ويمكن أن يستفيد من الاطلاع عليه غير المسلمين أيضاً ، لأخذ فكرة صحيحة عن الحياة الإسلامية . وهو كذلك جيد في مادته . فقد جمع أحكام الحلال والحرام جمعاً وافياً ، فعرّف المسلم وغير المسلم بطريقة الإسلام في الحياة والسلوك . هذا مع حسن تصنيف وتبويب ... »  
« وقد التزم المؤلف الجادة القويمة في بيان أحكام الإسلام : فتجنب الأقوال المذهبية الضيقة ، كما تجنب التساهل والتفريط في حدود الله ، وبين في كثير من المواقف المشبهة والمختلف عليها آراء المذاهب . وقد أتت الآراء التي عرضها بالأحاديث الصحيحة مقرونة بمرجعها من كتب الحديث الموثوقة . ولذلك جاءت أحكامه غاية في الاعتدال وتحري الصواب . »

ثم أبدى الأستاذ المبارك بعض ملاحظات بعضها استفسارات أجبنا سيادته عنها ، وبعضها تنبيهات واعية عملنا على رعايتها ووافق عليها ، كما أضفنا هنا بعض أحكام وتفصيلات رأيناها لازمة لبيئتنا العربية كإجارة الأرض والشركة في الحيوان . ثم ختم التقرير بقوله :  
« وخلاصة الرأي أن الكتاب جيد في بابه ضروري في موضوعه . وإذا تم استدراك بعض الملاحظات كان خير كتاب من نوعه فيما أعلم ، وهو جدير بالنشر والترجمة . فجزى الله مؤلفه خيراً . وبارك في الأزهر على ما يبذل من جهد في سبيل الإسلام ، ينتظر المسلمون أن يزيد ويتضاعف ويتوسع . »

عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق

محمد المبارك

# الفهرس

المقدمة

تعريفات : الحلال .. الحرام .. المكروه

## الفصل الاول

### مبادئ الاسلام في شأن الحلال والحرام

صفحة		صفحة	
٢١	التحريم يتبع الحث والضرر	١٤	الحلال والحرام في الجاهلية
٢٣	في الحلال ما يغني عن الحرام	»	البرهمية الهندية والرهبانية المسيحية
٢٤	ما أدى الى الحرام فهو حرام	»	مذهب مزدك الفارسي
٢٥	التحليل على الحرام حرام	»	عرب الجاهلية
»	النية الحسنة لا تبور الحرام	١٥	المبادئ التي نظم بها الاسلام أمر الحلال والحرام
٢٧	اتقاء الشبهات خشية الوقوع في الحرام	»	الأصل في الأشياء الإباحة
٢٨	الحرام حرام على الجميع	١٧	التحليل والتحريم حق الله وحده
٣٠	الضرورات تبيح المحظورات	١٩	تحريم الحلال قرين الشرك

## الفصل الثاني

### الحلال والحرام في الحياة الشخصية للمسلم

صفحة		صفحة	
٣٦	تحريم الدم المسفوح		في الأطعمة والأشربة :
»	تحريم لحم الخنزير	٣٢	اختلاف الأمم من قديم في شأن الأطعمة
»	ما أهل لغير الله به	»	ذبح الحيوان وأكله عند البراهمة
٣٧	أنواع من الميتة	٣٣	الحيوانات المحرمة عند اليهود والنصارى
٣٧	حكمة تحريم هذه الأنواع	»	استباحة النصارى ما حرم عليهم في التوراة
٣٨	ما ذبح على النصب	٣٤	المحرمات عند عرب الجاهلية
»	السمك والجراد مستثنى من الميتة	»	الإسلام يبيح الطيبات
٣٩	الانتفاع بمجد الميتة وعظما وشعرها	٣٥	الإسلام يحرم الحباث
٤٠	حالة الضرورة مستثناة	٣٥	تحريم الميتة وحكمته

صفحة		صفحة	
٥٧	الاسلام يجعل كل مسكر محرماً	٤٠	ضرورة الدواء وهل تعتبر
»	مأسكر كثيره فقليله حرام		الفرد ليس بمضطر إذا كان في المجتمع ما يدفع
»	الاتجار بالمحرم حرام	٤١	ضرورته
»	المسلم لا يهدي محرماً		<b>الذكاة الشرعية :</b>
٥٨	مقاطعة مجالس الخمر	٤٢	الحيوانات البحرية حلال كلها
٥٩	الخمر داء وليست بدواء	٤٢	المحرم من الحيوانات البرية
	<b>المخدرات :</b>	٤٣	اشتراط الذكاة لإباحة الحيوانات المستأنسة
٦١	المخدرات تدخل في معنى الخمر	٤٤	شروط الذكاة الشرعية
»	المخدرات خبائث مضرة	٤٥	سر هذه الذكاة وحكمتها
٦٢	رأي ابن تيمية في الحشيشة	٤٦	حكمة التسمية عند الذبح
»	كل ما يضر فأكله أو شربه حرام	»	ذبايح أهل الكتاب «اليهود والنصارى»
»	حكم تناول «الدخان»	٤٨	ما يذبح للكنائس والأعياد
	<b>في الملابس والزينة :</b>	»	ما ذكوه بطريق الصعق الكهربائي ونحوه
٦٣	الملبس مطلوب للستر والزينة	٤٩	ذبيحة الجوسي ومن مثله
٦٤	دين النظافة		<b>الصيد :</b>
٦٥	الذهب والحرير الخالص حرام على الرجال	٥٠	تنظيحات الإسلام واشتراطه في أمر الصيد
٦٦	حكمة تحريمها على الرجال	٥١	ما يتعلق بالصائد
٦٧	تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة	٥٢	ما يتعلق بالمصيد
٦٨	ثياب الشهرة والاختيال	»	ما يكون به الصيد
»	الغلو في الزينة بتغيير خلق الله	»	الصيد بالسلاح الجارح
	<b>في البيت :</b>	٥٣	الصيد بالكلاب ونحوها
٧٠	الاسلام يستحب في البيت السعة والنظافة والجمال	٥٥	إذا وجد الصيد ميتاً بعد الرمية
»	مظاهر الترف والثنية		<b>الخمر :</b>
٧١	آنية الذهب والفضة	٥٥	أضرار الخمر على الفرد والجماعة
٧٢	الاسلام يحرم التائبيل	٥٦	تحريم الاسلام للخمر تحريماً باتاً
»	الحكمة في تحريم التائبيل	٥٧	موقف المسيحية من الخمر

صفحة	صفحة
٩٢	٧٤
»	٧٦
٩٣	٧٧
٩٤	»
٩٥	٨٠
٩٦	٨١
»	٨٢
٩٧	٨٣
»	٨٤
٩٨	٨٥
١٠١	٨٩
١٠٢	٩٠
١٠٤	»
١٠٥	٩١
١٠٦	

### الفصل الثالث

#### الحلال والحرام في الزواج وحياة الأسرة

صفحة	صفحة
١١٣	١٠٨
١١٤	»
١١٥	»
١١٦	١٠٩
١١٧	»
١١٨	١١٠
١١٩	١١٢

#### في مجال الغريزة :

سر خلق الغريزة الجنسية في الإنسان
موقف الإنسان أمام الغريزة الجنسية
موقف الإسلام موقف وسط
لا تقربوا الزنا
الحلوة بالأجنبي
النظر الآثم إلى الرجل أو المرأة
النظر إلى العورات

صفحة	صفحة
١٤٢	النظر إلى المخطوبة وحدوده
١٤٤	الحطبة المحرمة
»	السكر تستأذن ولا تجبر
١٤٦	» المحرمات من النساء
»	» المحرمات بالقرابة
١٤٧	» المحرمات بالرضاعة
	» المحرمات بالمصاهرة
	الجمع بين الأختين
١٤٨	» المتزوجات
١٤٩	المشركات
»	كفر فريد في بابه
١٥٠	زواج الكتابيات
١٥١	زواج المسامة من غير المسلم
»	الزانيات « البغايا »
١٥٣	زواج المتعة
»	الزواج بأكثر من واحدة
١٥٤	العدل شرط في إباحة تعدد الزوجات
»	الحكمة في إباحة التعدد
١٥٥	في العلاقة بين الزوجين :
١٥٦	إبراز القرآن للغايات الروحية من الزواج
»	في العلاقة الحسية بين الزوجين
١٥٧	اتقاء الدبر
	حفظ أسرار الزوجية
١٥٨	تنظيم النسل
»	مبورات لتنظيم النسل للأفراد
١٥٩	المدة المثلى بين الطفلين في نظر الإسلام
١٦١	إسقاط الحمل
	الطلاق في المعاشرة بين الزوجين
	على كل من الزوجين أن يصبوا على صاحبه
	عند النشوز والشقاق
	هنا فقط يباح الطلاق
	الطلاق في الأمم قبل الإسلام
	الطلاق في الديانة الموسوية
	<b>الطلاق في الديانة المسيحية :</b>
	اختلاف المذاهب المسيحية في شأن الطلاق
	نتيجة ترمت المسيحية في الطلاق
	كفر فريد في بابه
	المسيحية كانت علاجاً مؤقتاً لا شريعة عامة
	قيود الإسلام للعهد من الطلاق
	طلاق المرأة وهي حائض حرام
	الحلف بالطلاق حرام
	المطلقة تبقى في بيت الزوجية مدة العدة
	الطلاق مرة بعد مرة
	إمساك بمعروف أو تمريح بإحسان
	لا يجوز منع المطلقة عن الزواج بمن ترضى
	حق الزوجة الكارهة
	مضارة الزوجة حرام
	الحلف على هجر الزوجة حرام
	<b>بين الوالدين والأولاد :</b>
	الإسلام يحفظ الأنساب
	التبني حرام في الإسلام
	إبطال التبني بالتشريع العملي بعد التشريع
	القبولي



صفحة	صفحة
١٦٥	التبني بمعنى التربية والرعاية
١٦٦	التلقيح الصناعي
١٦٧	انتساب الولد إلى غير أبيه بوجوب اللعنة
	لا تقتلوا أولادكم
	التسوية بين الأولاد في العطاء
	الوقوف في الميراث عند حدود الله
	عقوق الوالدين من الكبائر
	التسبب في سب الوالدين من الكبائر
	التطوع للجهاد بغير إذن الوالدين لا يجوز
	الوالدان المشركان

## الفصل الرابع

### الحلال والحرام في الحياة العامة للمسلم

١٨٢	التلاعب بالأسعار	في المعتقدات والتقاليد :
١٨٣	المحتكر ملعون	احترام سنن الله في الكون
١٨٤	التدخل المقتعل في حرية السوق	حرب على الأوهام والخرافات
١٨٥	السمسرة حلال	تصديق الكهان كفر
١٨٦	الاستغلال والخداع التجاري حرام	الاستقسام بالأزلام
»	من غشنا فليس منا	السكر
١٨٧	كثرة الحلف	تعليق التائم « الأجابة »
»	تظيف الكيل والميزان	التظير « التثاؤم »
	شراء المنهوب والمسروق مشاركة للنهاب	حرب على تقاليد الجاهلية
١٨٨	والسارق	لا عصبية في الإسلام
١٨٩	تحريم الربا	لا فضل لأبيض على أسود
١٩٠	حكمة تحريم الربا	لا افتخار بالأنساب
١٩١	مؤكل الربا وكاتبه	النياحة على عمل الجاهلية
»	الرسول يستعذ بالله من الدين	في المعاملات :
١٩٢	البيع لأجل مع زيادة الثمن	حاجة الناس إلى التعامل والتبادل
١٩٣	السلم	بيع الأشياء المحرمة حرام
١٩٤	تعاون العمل ورأس المال	بيع الغرر محظور

صفحة		صفحة	
٢١٧	الشطرنج	١٩٥	اشتراك أصحاب رؤوس الأموال
٢١٨	الغناء والموسيقى	١٩٦	شركات التأمين
٢٢١	القمار حرام	»	هل هي مؤسسات تجارية ؟
٢٢٢	اليانصيب	١٩٧	هل هي مؤسسات تعاونية
٢٢٣	دخول السيدا	١٩٨	تعديلات بعض عقود التأمين
	في العلاقات الاجتماعية :	١٩٩	نظام التأمين الإسلامي
٢٢٤	رعاية الأخوة وصيانة الحرمات	»	استغلال الأرض الزراعية
٢٢٥	لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً	٢٠٠	طرائق استغلالها
٢٢٦	إصلاح ذات البين	٢٠١	المزارعة على الأرض
٢٢٧	لا يسخر قوم من قوم	٢٠٢	المزارعة الفاسدة
٢٢٨	لا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا	٢٠٣	إجارة الأرض بالنقود
»	سوء الظن	٢٠٥	القياس يقتضي منع الإجارة بالنقد
٢٢٩	التجسس	٢٠٧	الشركة في تربية الحيوان
٢٣٠	الغيبة - حدود الرخصة في الغيبة		في اللهو والترفيه :
٢٣٣	النميمة	٢٠٩	الإسلام دين واقعي
٢٣٤	حرمة الأعراض	»	ساعة وساعة
٢٣٥	حرمة الدماء	٢١٠	الرسول الإنسان
٢٣٧	القاتل والمقتول في النار	٢١١	القلوب مثل
»	حرمة دم المعاهد والذمي	»	ألوان من اللهو الحلال
٢٣٨	متى تسقط حرمة الدم ؟	٢١٢	مسابقة العدو
٢٣٩	قتل الإنسان نفسه	»	المصارعة
٢٤٠	حرمة الأموال	٢١٣	اللعب بالسهم
»	الرشوة حرام	٢١٤	اللعب بالخراب
٢٤١	هدايا الرعية إلى الحكام	٢١٦	الصيد
٢٤٢	الرشوة لرفع الظلم		اللعب بالنرد « الطاولة »
	إسراف الفرد في ماله		

صفحة		صفحة	
٢٤٨	استعانة المسلم بغير المسلم		في علاقة المسلم بغير المسلم :
٢٤٩	الإسلام رحمة عامة حتى على الحيوان	٢٤٤	دستور المسلم في معاملة غير المسلم
٢٥١	الحاقمة	٢٤٥	نظرة خاصة لأهل الكتاب
٢٥٦	تقرير عن هذا الكتاب	٢٤٦	أهل الذمة
٢٥٧	الفهرس	٢٤٧	موالاة غير المسلمين ومعناها

### كتب تالية : ١ - العقيدة والحياة

بيان واف لصلة العقيدة بالحياة ، وأثرها في سعادة الفرد واستقرار المجتمع

بعض منشورات

المكتب الإسلامي

للطباعة والنشر

دمشق - الملبيني

ص. ب. : ٨٠٠ - هاتف : ١١٦٣٧ - برقية : ( إسلامي )

5

١ - مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي

٢ - شرح العقيدة الطحاوية

٣ - من كتب شيخ الاسلام :

الإيمان - الفرقان - شرح حديث النزول - العبودية - الواسطة - حقيقة الصيام

٤ - من كتب الاستاذ المحدث محمد ناصر الدين الألباني :

صفة صلاة النبي ﷺ - الأحاديث الضعيفة الجزء الأول والثاني

الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة وحكم الجمعة وبدعها

٥ - شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد بن حنبل للشيخ محمد السفاريني

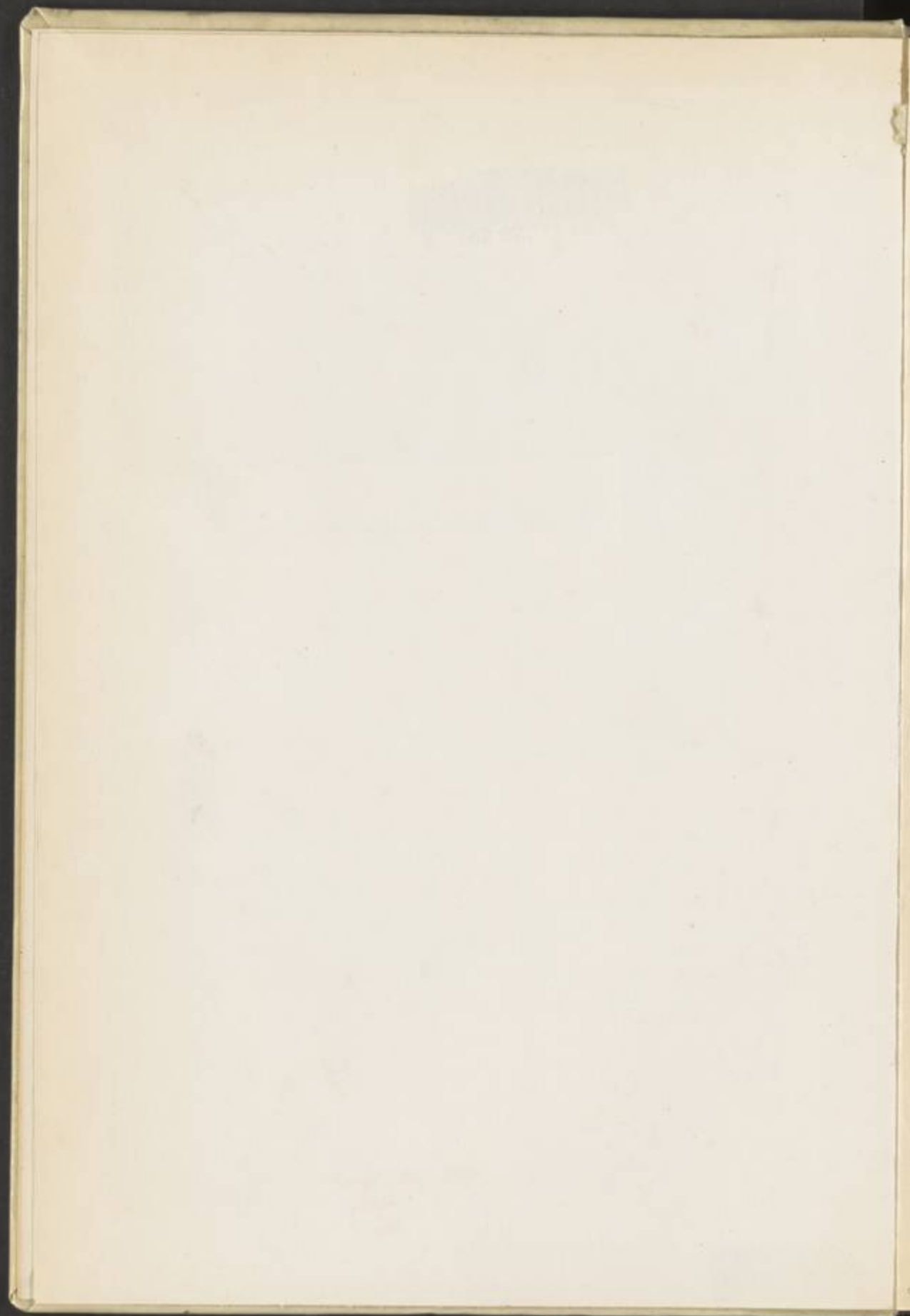
٦ - دراسات في العربية وتاريخها للخضر حسين

٧ - مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح بتحقيق

محمد ناصر الدين الألباني ومحمد زهير الشاويش

سنة

0 5 \*PB-36334-A  
5-05  
CC



**DATE DUE**


DEMCO 38-297

BOBST LIBRARY



3 1142 02771 8876



NYU - BOBST



31142 02771 8876

BJ1291 .Q3 1962 al-Halal wa-al-Haram fi al-Ij

صَدْرُ حَدِيثًا

# العَبْوِيُّونَ

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

المكتب الإسلامي  
للطباعة والنشر